ـمد أحمد باشميل

موسوعة الغزوات الكبرى ١

غزوة بدر الكبرى

المكتبة السلفية

محمد أحمد باشميل

الكتاب الأول

من معارك الإسلام الفاصلة



غزوة بدر الكبرى

المكتبة السلفية - ومطبعتها

٢١ شارع الفتح بالروضة • القاهرة • تليفون ٨٤٠٣٦٤

﴿ الطبعة الثامنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م ﴾

غزوة بدر الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

إنتصار الإسلام في يوم بدر

بقلم

اللواء الركن
محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

- ١ -

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدى ومولاى رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، ورضى الله عن قادة الفتح الإسلامى وجنوده الغر الميامين.

قضى رسول الله ﷺ، فترة حياته المباركة فى مكة المكرمة من بعثته رحمة للعالمين إلى هجرته إلى المدينة المنورة فى الجهاد الأكبر لوضع الأسس السليمة لدولة الإسلام موحداً من أجل الجهاد.

وفى هذه الفترة لاقى المسلمون أذى كثيراً : طوردوا وعذبوا، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

وهاجر المسلمون إلى المدينة بأنفسهم تاركين ذويهم الأقربين تحت رحمة أعدائهم فى خطر داهم مقيم، فابتدأت فى المدينة فترة الجهاد الأصغر من حياة سيد القادات وقائد السادات عليه أفضل الصلاة والسلام، فكانت حياته الغالية فى المدينة من هجرته إليها حتى التحاقه بالرفيق الأعلى جهاداً من أجل التوحيد.

وأُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، فركبت خيل الله عليها فرسان النهار ورهبان الليل : البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، لا مدد لهم ولا كمين ، يهدرون بالقرآن الكريم وبذكر الله ويرددون فى دعائهم : « يا نصر الله اقترب » .

وفى بدر ، التقى الظلام بالنور ، والكفر بالإيمان ، والباطل بالحق، والتقت الجاهلية بالإسلام ، فجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .

ودارت فى بدر رحى معركة طاحنة بين فئتين غير متكافئتين: فئة قليلة مؤمنة ، وفئة كثيرة كافرة ، فانتصرت الفئة القليلة على الفئة الكثيرة بإذن الله : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » .

ولست أعرف معركة حاسمة من معارك الحرب الحاسمة ، كيوم بدر ، انتصرت فيه العقيدة السليمة على العقيدة الفاسدة ، فكانت العقيدة وحدها هى السلاح الأول والأخير للمنتصرين .

كان المشركون أكثر عدداً من المسلمين ، وكانوا أحسن عدداً وأغنى فى قضاياهم الإدارية : كان عدة أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثمائة وبضعة عشر ، وكان عدة المشركين ألفاً ، وكان مع المسلمين فرسان ، وكان مع المشركين مائة فرس ، وكان المسلمون حفاة عراة جياعا ، وكان المشركون ينحرون يوماً عشراً ويوماً تسعاً من الإبل ، وكان المسلمون من قبائل شتى ، وكان المشركون من قريش !! .

إنه انتصار عقيدة لا مراء ، فكيف كان ذلك ؟

لقد بدل الإسلام العقول والنفوس من حال إلى حال ! كان الرسول القائد ﷺ مثالاً شخصياً رائعاً لأصحابه فى التضحية والفداء .

كان المسلمون يوم بدر كل ثلاثة على بعير : فكان إذا كانت عقبة النبي ﷺ قال له صاحباه : « اركب حتى نمشي عنك » ، فيقول : « ما أنتما بأقوى على المشي مني ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وعند نشوب القتال يوم بدر ، خرج ثلاثة من رجالات المشركين وقادتهم فدعوا إلى البراز ، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار ، فكره رسول الله ﷺ أن يكون أول قتال لقي فيه المسلمون المشركين في الأنصار ، وأحب أن تكون الشوكة ببني عمه وقومه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا بني هاشم ! قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاؤوكم بباطلهم ليطفئوا نور الله » .

وفي المعركة كان النبي ﷺ يضرب بنفسه لأصحابه في الشجاعة والإقدام أروع الأمثال . قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لما كان يوم بدر وحضر البأس ، اتقينا برسول الله ﷺ ، وكان من أشد الناس بأسا ، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه » .

وكان رسول الله ﷺ في أثر المشركين بعد انهيار صفوفهم يتلو الآية الكريمة : ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ ، فأجاز على جريحهم وطلب مدبرهم .

وبعد المعركة سلم ﷺ وسلم الغنيمة للمسلمين الذين حضروا بدراً ، وأخذ سهمه مع المسلمين ، لا فرق بينه وبين أي مسلم آخر .

لم يستأثر بالدعة والأمن بل قاتل هو قتال الأبطال الصناديد أمام المقاتلين من أصحابه ، ولم يؤثر ذوي قرباه بالراحة والاطمئنان بل آثرهم بالنزال والطعان ، فلما انتصر المسلمون كان نصيبه من الغنائم نصيب أحدهم لا يزيد .

لقد كان الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه أسوة حسنة لأصحابه بأعماله لا بأقواله ، وشتان بين الأعمال والأقوال ، فلا موعظة فى كلام لم يمتلئ من نفس صاحبه ليكون عملاً ، فيتحول فى النفوس الأخرى عملاً ولا يبقى كلاماً .

ذلك هو الرسول القائد ﷺ ، أما جنوده فكان أمرهم كله عجباً .

آخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، فآخى مثلاً بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضى الله عنهما ، فقال سعد لعبد الرحمن : « إنى أكثر الأنصار مالا ، فأقسم مالى إلى نصفين ، ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لى أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها » .

هذا مثال واحد للإيثار الذى كان نتيجة من نتائج هذا التآخى.

وفى الطريق إلى بدر ، هتف متكلم المهاجرين : « والذى بعثك بالحق ، لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك حتى تنتهى إليه » . وهتف متكلم الأنصار : « فامض يانبى الله لما أردت ، فوالذى بعثك بالحق ، لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما بقى منا رجل واحد » .

ويوم بدر ، قتل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه أباه ، وكان أبو بكر رضى الله عنه مع المسلمين ، وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين ، وكان عتبة بن ربيعة مع قريش ، وكان ولده أبو حذيفة مع المسلمين .

فى هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء ، والإخوة بالإخوة !.

خالفت بينهم المبادئ ، ففصلت بينهم السيوف !..

وفى يوم بدر تسابق المسلمون إلى الشهادة ، وكان كل واحد منهم يتمنى أن يموت قبل صاحبه ، وكان كل واحد من المشركين يتمنى أن يموت صاحبه قبله ، وكان الشهيد يردد وهو يحتضر : « وعجلت إليك رب لترضى» .

وبعد معركة بدر ، استشار النبي ﷺ أصحابه فى مصير الأسرى ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « أرى أن تمكنى من فلان – قريب عمر – فأضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم » .

وكان فداءُ أسرى بدر أربعة آلاف إلى ما دون ذلك ، فمن لم يكن عنده شىء كان فداؤه أن يعلم غلمان الأنصار الكتابة .

هكذا كان جنود الرسول القائد عليه الصلاة والسلام يؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة ، ويؤثرون عقيدتهم على آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم وأموالهم ، بل يؤثرون عقيدتهم على أنفسهم ، فيتسابقون إلى الشهادة ، فيقول أحدهم للآخر : « هنيأً لك الشهادة » ، وتقول الأمهات والأخوات والزوجات حين يعلمن باستشهاد ذويهن : « الحمد لله الذى أكرمهم بالشهادة » .

وهؤلاءُ قادة وجنوداً ، يبنون للمستقبل ، فيعتبرون العلم فريضة لا نافلة ، ويعتبرونه عبادة لا تجارة ، ويعتبرونه غاية لا وسيلة .. ! .

كانوا إخوة فى الله يحب أحدهم لأخيه ما يحبه لنفسه ، وكانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، وكانوا كالجسد السليم المعافى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ! ..

هؤلاءِ قادة وجنوداً ، كانوا يبنون ولا يهدمون ويعمرون ولا يخربون ويفعلون ولا يقولون ..

كان انتصار المسلمين فى بدر ، إيذاناً بمولد دولة الإسلام عملياً ، فقاد المسلمون بعدها العالم إلى الخير والصلاح والمدينة والنور قروناً طويلة .

وكان انتصارهم بالإسلام ، ولن ينتصروا بغيره ، وتاريخ المسلمين خير دليل على ذلك .

كان العرب فى الجاهلية متفرقين فتوحدوا بالإسلام ، وكانوا أعداء فألف الإسلام بين قلوبهم ، وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الإسلام منها ، فأصبح العرب بالإسلام (وحدة) رصينة ، و (دولة) عظيمة و(أمة) متماسكة و (قوة) ضاربة وجدت لها متنفساً بالفتح الإسلامى العظيم ، فسارت رايات العرب المسلمين تهدى الدنيا وتحضِّر العالم وتمدّن الناس ، فامتدت . دولة الإسلام من سيبيريا شمالاً إلى فرنسا غرباً إلى الصين شرقاً إلى المحيط جنوباً .

كانوا ضعفاء فأصبحوا بالإسلام أقوياء ، وكانوا أعداء فأصبحوا إخوة ، وكانوا مستعبدين فأصبحوا فاتحين .. ! .

ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فأصبحوا مستعمرين مستعبدين أذلاء غثاء كغثاء السيل ، والله لا يغيِّر ما بقوْم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

أصبح هؤلاء الخلف يستوردون المبادئ من الشرق والغرب مبهورين متخاذلين ، وأصبحوا يتعشقون تراث الأجنبى ويحتقرون تراثهم ، ويتدارسون تاريخ أعدائهم ويتركون تاريخهم وراءهم ظهرياً ، حتى أصبحنا نسمع بعض العرب والمسلمين يقولون ويكتبون ويذيعون علناً

باسم الثقافة وباسم التحرر ما لم يستطع أن يقوله أو يكتبه أو يذيعه المبشرون وأعداء الإسلام ! ! ..

وإذا كان أكثر المستشرقين قد بذلوا قصارى جهودهم لتعميق آثار الاستعمار الفكرى بين العرب والمسلمين ، فما عذر المستغربين من العرب المسلمين ؟ ! .

إن الدعوة التى تبناها المبشرون وعملاء الاستعمار وأذنابهم فى أبعاد الدين الإسلامى عن الحياة ، دعوة مريبة هدفها إبعاد العرب عن الناحية المعنوية فى حياتهم ، فالعرب جسم والإسلام روحه ، ولا بقاء للجسم بدون روح .

والدعوة التى تبناها هؤلاء لاستعمال العامية بدل العربية الفصحى دعوة مريبة ، هدفها أن يجعلوا من الأُمة العربية أمماً ، ومن الشعب العربى شعوباً ، لأن اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة الرسول ﷺ ، ولغة قادة الفتح وجنوده ولغة الفكر وجنوده .

والدعوة التى تبناها هؤلاء لإشاعة الفحشاء والتخنث فى العرب خلافاً لعقيدتهم وتقاليدهم ، دعوة مريبة لاتخدم غير الاستعمار وأعداء العرب وإسرائيل ، وكيف تنتظر من الديوثين والبغايا أن يبذلوا أرواحهم فى ميادين الشرف والفداء ؟ ؟ ! !

إنى أتحدى كل من يزعم أن هناك عقيدة أفضل من عقيدتنا ، وأن هناك رجالا أعظم من رجالنا وأن هناك تاريخاً أنصع من تاريخنا ، وأن هناك تراثاً أروع من تراثنا ..

والذين يزعمون أنهم طردوا الاستعمار العسكرى والاستعمار السياسى والاستعمار الاقتصادى من بلادهم ، ثم يعماون ليلاً ونهاراً

على ترسيخ الاستعمار الفكرى فى بلادهم ، لم يصنعوا شيئاً أكثر من إخراج الاستعمار من باب ضيق ، وإدخاله بمحض إرادتهم من باب فسيح .

نطرد الاستعمار ثم نترجم قوانينه ونعمل بها نصاً وروحاً ، فنشيع فى بلادنا فجور القانون ... !

ونتخلص من الاستعمار ثم نستورد مبادئه ونطبقها حرفياً . فنستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

ونحارب الاستعمار ثم نستورد منه التحلل الخلقى ، فنفسد جيلنا الصاعد ونشيع بينهم الفاحشة والمنكر ! عقوبة السارق فى الإسلام قطع اليد ، فيقول عن ذلك الجهلاء منا : أن ذلك رجعية ، وهذا همجية وهو لا يتفق مع روح القرن العشرين !!

وعقوبة السارق فى أعظم دول الاشتراكية الإعدام ، فيقول عن ذلك الجهلاء منا : هذه تقدمية ، وهذه مثالية ، وهذا يتفق مع روح القرن العشرين !!

فلمصلحة من هذا التهافت الذليل ؟؟ !! وأى استعمار فكرى شنيع نعانى ؟؟ !!

أن الذين يدّعون بأن السلوك السياسى لا علاقة له بالسلوك الشخصى التزاماً بالمبادئ الخلقية الرفيعة ، واهمون كل الوهم أو أغبياء كل الغباوة أو عملاء كل العمالة .

والذين يريدون إشاعة الفحشاء والتخنث فى أبنائنا لا يخدمون غير الاستعمار وإسرائيل .

إن عقيدتنا المستمدة من رسالة السماء ، وتاريخنا الذى هو التطبيق العملى لتعاليم الإسلام ، ورجالنا الذين هم الترجمة العملية لروح

الإسلام ، وتراثنا الذى هو حصيلة الفكر الإسلامى ، هى أعظم وأرفع وأنصع وأروع وأنقى وأطهر وأسمى وأبهر من كل ما وجد على الأرض من عقائد وتواريخ وتراث .

وأتحدى كل من يدعى خلاف ذلك ، إلا أن يكون جاهلاً أو غبياً أو عميلاً ، فلا يجدى شىء مع الجهلاء والأغبياء والعملاء ..

إن الماضى هو أساس الحاضر والمستقبل ، فكيف نتنكر لماضينا المجيد ؟ .

وهل هناك عاقل يبدأ ببناء البنيان أول ما يبدأ من قمته ؟ !!

إننا سدنا بالإسلام عقيدة وعملاً وتضحية وفداء ،ولن نسود بغيره أبداً مهما نحاول من محاولات ..

إن الإسلام مفخرة الدنيا ومعجزة العالم ، فيجب أن نهاجم به أعداء الإسلام .

يا أتباع محمد ﷺ فى كل مكان من دار الإسلام :

يجب أن تهاجموا بالإسلام أعداء الإسلام ، فلا يقولن قائل بعد اليوم ، إننى أدافع عن الإسلام ، لأن الإسلام أقوى من أن يدافع عنه إنسان : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوَّان كفور. أذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ .

تمسكوا بالإسلام بما فيه من تكاليف التضحية والفداء ، وبذلك وحده تعودوا إلى قيادة العالم كما فعل أجدادكم من قبل ، وصدق الله العظيم : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذَّبُوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ .

رددوا معى ما كان يردده السلف الصالح من رجالنا الغر الميامين : « يا نصر الله اقترب » .

إننا مع المسلمين فى كل مكان على أعدائهم فى كل مكان فهم إخوتنا فى الدين ، وهم إخوتنا فى الله ، والله يقول : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ ، وعلينا واجب نصرهم ، والذى لا ينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً عليه ألا يدّعى الإسلام .

إننا مع لغة القرآن ، لغة النبى ﷺ ، ولغة العرب الفاتحين ، على دعاة العامية الذين يتظاهرون بالشعارات الزائفة ويخفون ما لا يظهرون .

وكل من لا يكون مع مبادئ القرآن ولغة القرآن ، منحرف عن الحق ، يعمل لحساب الاستعمار وإسرائيل ولو تظاهر بالعروبة والإسلام .

وإلى هؤلاء المنحرفين ، أقول مذكراً ومنذراً ما قاله الله فى القرآن الكريم : ﴿وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الأمثال ﴾ .

وحّد الله العرب من المحيط إلى الخليج تحت لواء الإسلام ، وجعل وحدتهم قاعدة رصينة لوحدة المسلمين من المحيط إلى المحيط ، فالعرب بالإسلام كل شيء ، والعرب بغير إسلام لا شيء ..

والحمد لله كثيراً ، وصلى الله على سيدى ومولاى رسول الله : سيد القادات وقائد السادات ، ورجل الرجال وبطل الأبطال ، ورضى الله عن أصحابه وعن كل من يخدم العرب والإسلام بأمانة وإخلاص .

مقدمة المؤلف عن الطبعة الثانية

الحمد لله نستعينه ونستهديه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونصلى ونسلم على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الذين نصروه فى كل موطن وحين .

وبعد ، لقد كان صدور كتابنا هذا ــ وهو الكتاب الأول من سلسلة معارك الإسلام الفاصلة ــ تجربة شجعنا نجاحها على المضى فيما اعتزمنا القيام بتنفيذه من إصدار سلسلة كاملة عن معارك الإسلام الفاصلة .

لقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى شهر محرم ١٣٨٣ ، ولم يأت شهر شوال من السنة نفسها إلا وقد نفدت نسخ هذه الطبعة ، فشجعنا ذلك النجاح على المسارعة إلى إصدار الطبعة الثانية هذه ، التى أضفنا إليها زيادات بلغت أكثر من ضعف الطبعة الأولى .

فقد كانت صفحات الكتاب من الطبعة الأولى لا تزيد على ١٦٠ صفحة ، بينما بلغت صفحات الكتاب فى هذه الطبعة (كما يرى القارئ) أكثر من ٢٩٦ صفحة ، كما شجعنا ذلك النجاح على المسارعة إلى إصدار كتابنا (غزوة أحد) .وهو الكتاب الثانى من سلسلة معارك الإسلام الفاصلة ، وعلى المضى فى إخراج كتابنا (غزوة الأحزاب) وهو الكتاب الثالث من هذه السلسلة ، والذى سيأخذ طريقه إلى المطابع قريباً إن شاء الله

فشكراً لله أولًا وآخراً ، وله الحمد والمنة ، على ما تفضل به علينا من نعمه الظاهرة والباطنة ، ونسأله تعالى أن يمدنا بعونه ويسندنا بتوفيقه ، وأن يحمينا من مضلات الفتن ومزالق الغرور . وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه تعالى ، وأن يكون نصيرنا – ما دمنا على الحق – إنه نعم المولى ونعم النصير .

محمد أحمد باشميل

مكة المكرمة : ربيع الثاني ١٣٨٤هـ

آب – أغسطس ١٩٦٤م

مقدمة الطبعة الأولى

اللهم صل على محمد سيد المكافحين وإمام المجاهدين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأوفياء الصامدين .

اللهم نستمد منك العون والتوفيق .

وبعد ، لقد عزمنا (بعون الله تعالى) على وضع سلسلة تاريخية مفصلة عن معارك الإسلام الفاصلة ، التى قلبت موازين القوى وغيرت مجرى التاريخ بالنسبة لقيام الدولة الإسلامية وانتشار العقيدة التى ارتكزت عليها وحملت لواءها فى العالمين .

إن هذه السلسلة لن تقتصر على المعارك الكبرى التى تم الفوز فيها للإسلام فقط ، كمعركة بدر الكبرى .

بل سنتناول كبريات المعارك الهائلة الشهيرة الأخرى التى خاضها المسلمون وتمت الغلبة فيها لأعدائهم كمعركة أحد فى يثرب ، ومعركة بلاط الشهداء فى فرنسا .

والهدف الأول من وضع هذه السلسلة هو إزاحة الستار (وخاصة أمام الشباب المثقف ثقافة عصرية) عن جزء ثمين من كنوز تاريخنا الإسلامى الزاخر بالبطولات والتضحيات ، والذى تآمر عليه العدو من الخارج بالاتفاق مع فئات آثمة فى الداخل .

فئات اصطنعها العدو الخارجى (أيام حكمه) وأجلسها أمام قيادات التربية والتعليم ، وجعل لها الهيمنة على مركز الصحافة وقيادة الإذاعة والنشر .

فأجرمت فى حق تاريخنا الإسلامى إجراماً كبيراً ، إذ طمست (فى فصل المدرسة ومدرج الكلية) ، عن عمد وإصرار ، كل جانب مشرق من جوانب هذا التاريخ العظيم ، وخاصة جانب البطولة والفداء والنجدة الذى يتمثل فى المعارك الفاصلة التى خاضها الإيمان ضد الكفر ، وقادها العدل ضد الطغيان ، والتى تجلى فيها زخم العقيدة وشرف المبدأ .

فقد رأينا ولا نزال نرى حتى هذا اليوم ، هذه الفئات التى شاء لها الأجنبى أن تضع (حسب وحيه ورغبته) برامج التعليم ومقررات التدريس للنشء الإسلامى فى كثير من أقطارنا الإسلامية .

نعم رأينا ولا نزال نرى هذه الفئات الآثمة ، تجعل هذا الجيل الناشىء يتلهى (فى مراحل دراسته التاريخية) ، بالنظر فى وقائع تاريخ مبتوت الصلة كلياً بتاريخنا الإسلامى .

وإذا ما تعرضت هذه الفئات الخطيرة للتاريخ الإسلامى ، (سواء تدريساً أو محاضرة أو إذاعة) لا تتعرض (فى الغالب) إلا لما كان نزاعاً واختلافاً بين المسلمين .

كالحوادث المؤسفة التى حدثت أيام عثمان وبعد موته ، بين على ومعاوية[1]

---

(١) هو معاوية بن أبى سفيان ، صخر بن حرب الأموى القرشى ، أول من وضع أسس الدولة الأموية العظيمة فى الشام ، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها ، وكان أحد كتاب الوحى ، تولى قيادة إحدى الكتائب تحت قيادة أخيه يزيد فى حرب الروم فى الشام ، بأمر من الخليفة أبى بكر ، كان على رأس الجيوش التى فتحت بيروت وصيداء وعرقة وجبيل ، قاد الجناح الأكبر من المعارضة المسلحة لخلافة على ، بعد أن اتهمه بدم عثمان ، بايعه المسلمون بالخلافة العامة سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وذلك بعد وفاة أمير المؤمنين على ، فقد تنازل له الحسن بن على وبايعه بالخلافة إطفاء للفتنة وحقنا لدماء المسلمين ، كان معاوية أحد عظماء الفاتحين فى الإسلام ، فقد وصلت طلائع جيوشه إلى شواطىء المحيط الأطلسى فى الشمال الإفريقى ، وفى أيامه تم فتح السودان ، وكان أول من حاصر القسطنطينية (أسطنبول) براً وبحراً ، ومعاوية هو الذى قام بإنشاء أول أسطول بحرى =

وعائشة [1] وطلحة والزبير رضى الله عنهم أجمعين .

فتطنب هذه الفئات فى ذكر تلك الحوادث وتتفلسف فى أسبابها ومسبباتها ، وتنشرها بين الطلبة تدريساً ومطالعة ومحاضرة ، وكأنها وحدها هى التاريخ الإسلامى .

بينما تهمل إهمالًا كاملًا . باقى الجوانب الوضاءة المشرقة التى يمكن أن تكون حافزاً للشباب المسلم على السير فى طريق الرجولة والتضحية والاستقامة تحت لواء القرآن .

ولا شك أن هذا عمل تخريبى مقصود ، سارت عليه هذه الفئات الآثمة فى المدرسة والجامعة ، منذ عشرات السنين ، لتثبيت دعائم الاستعمار الثقافى والفكرى - الذى هو الاستعمار الأكبر - والذى قرر الأعداء أن يكون خليفة الاستعمار السياسى - الذى هو الاستعمار الأصغر وهذا ما حدث فعلًا ، عندما رحل الأجنبى بجلدته عن أكثر الأوطان الإسلامية .

إن القصد من إهمال التاريخ الإسلامى - إلا ما كان نادراً ، أو خلافاً بين المسلمين أو مجوناً ولهواً من بعض حكامهم - هو قطع الصلة

= للإسلام ، وهوأول حاكم مسلم قام بأول حملة بحرية ضد الرومان فى البحر الأبيض المتوسط ، وقام أسطوله باحتلال جزائر كريت وردوس وقبرص ، وجزر الدردنيل ؛ ويقدر بعض المؤرخين أسطول الإسلام الذى أنشأه معاوية بألف وسبعمائة سفينة يعيب عليه الكثير أخذه البيعة لابنه يزيد الذى لم يكن أهلا لها ، ومطاعن الشيعة فيه أكثر من أن تحصى وغلاتهم يعتبرونه كافراً ، مات معاوية بدمشق سنة ستين من الهجرة

(1) هى أم المؤمنين ، عائشة بنت أبى بكر الصديق غنية عن التعريف ، أفقه نساء المسلمين وأكثرهن علماً بالدين والأدب ، تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية من الهجرة ، كانت أكثر النساء حديثاً عن رسول الله . روى المحدثون عنها ٢٢١٠ حديثاً . كانت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، شهدت معركة الجمل ، وكانت من الناقمين على قتلة عثمان توفيت رضى الله عنها سنة ثمان وخمسين من الهجرة

بين الشباب المسلم وبين الاطلاع على الصفحات الناصعة المشرقة ، من تاريخ أسلافهم المجيد ، الذى يخشى الأجنبى الحاقد على الإسلام ، أن يحملهم النظر فى هذا التاريخ على التأسى بأولئك الأبطال الميامين الذين اجتذبهم الإسلام من الكهوف وأغوار الوديان ، حفاة أشباه عراة ، ثم أقعدهم (بعد أن صهرهم فى بوتقة الإيمان) أمام دفة قيادة الدنيا ، فصنعوا بالإسلام ، وصنع الإسلام بهم تاريخاً ، لم تشهد الدنيا مثله فى البناء والعظمة والنزاهة والإشراق ، من لدن آدم حتى يومنا هذا .

تاريخاً لو اعتنى به الأستاذ فى مدرسته والعميد فى جامعته ؛ لصنعت لنا هذه المدارس والجامعات ، شباباً قوياً فى عقيدته ، متيناً فى خلقه ، عظيماً فى بطولته ، فذاً فى استقامته ، مفلح فى قيادته .

شباباً بإمكانه أن يجمع بين صدق أبى بكر ، وعدل عمر ، ونبل عثمان ، وبسالة علىّ ، وفروسية خالد ، وحنكة عمرو ، وحلم معاوية ، وإقدام ابن الزبير .

ولما خلقت لنا هـذه المشكلة الخطيرة التى نواجهها فى كل قطر إسلامى .. مشكلة هذا القطيع المائج ، ممن يسمون أنفسهم التقدميين ، المتحررين ، الذين أصبحوا ، أشد ضرراً على الإسلام ، وأعظم تجريحاً لتاريخه من أعدائه الأصليين الذين قاموا بتفريخهم فى معامل استعمارهم الثقافى ، أيام سيطرتهم وحكمهم .

ولكنه الاستعمار الحقود ، وسماسرته من المحسوبين علينا ، دبروا (فى غفلة منا طويلة) خطة اغتيال هذا التاريخ ، ونجحوا فى إهالة التراب عليه ، بأيدى رجال ينتسبون إلينا ، فلم يبقوا منه فى مقررات التدريس ، إلا مقاطع لا تصلح لشىء ، إلا للنيل من ماضى الإسلام والطعن على بناة دولته ، والتشهير بمن قادوا معارك الإسلام والحط من

مكانتهم[١] كتطاولهم على عثمان وابن الزبير[٢] ومعاوية وعمرو ابن العاص[٣] وتوسعهم فى نشر مايظنه خصومهم طعناً فى دينهم وأمانتهم ، وكتعمدهم الإسهاب فى نظرية أبي ذر الغفارى رضى الله عنه

---

(١) قرأت مرة قصة فلم فى مجلة المصور ، عن خالد بن الوليد وإذا أبرز ما فى الفلم قصة قتل مالك بن نويرة وغرام خالد بزوجة القتيل نوار التى يقول بعض المؤرخين إن خالداً تزوجها بعد قتله ابن نويرة (كمرتد) فى حروب الردة ، وأوجع منظر رأيته أن ممثل البطل فى الفلم ، قد ظهر ملتصقاً (فى حالة مزرية) بممثلة أخرى ، على اعتبار أن هذا الممثل هو خالد بن الوليد ، والممثلة نوار ، زوجة القتيل مالك بن نويرة ، وهكذا يشن فروخ الاستعمار حرباً واسعة على قادة الإسلام وأبطاله حتى فى الأفلام السينمائية .

فقد عز على هؤلاء العملاء أن يمر هذا الفلم فى جميع أدواره مرور البطولة الكاملة المنزهة عن نزوات الجنس ، فأفسدوه بذلك المنظر الذى كان من أسباب كساده .

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام أشهر من نار على علم ، كان فارس قريش فى زمنه ، كان أحد القادة الذين اشتركوا فى فتح تونس ، وهو الذى قتل جرجس ملك الرومان هناك ، نازع بنى أمية الخلافة ، أعلن نفسه خليفة عقيب موت يزيد بن معاوية فتمت له السيطرة على الحجاز ومصر والعراق واليمن وخراسان وأكثر الشام ، كانت له مع الأمويين وقائع رهيبة ، تغلب عليه عبد الملك بن مروان فى آخر الأمر ، حاصرته جيوش الشام فى الحرم بقيادة الحجاج ، فقاتل قتال الأبطال حتى قتل وهو فى الثمانين وذلك سنة ثلاث وسبعين . كان أول مولود فى المدينة بعد الهجرة استمرت خلافته تسع سنين .

(٣) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى ، قال صاحب كتاب (الأعلام) كان أحد عظماء العرب ودهاتها وأولى الرأى والحزم والمكيدة فيهم ، كان عمرو من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية ، سافر إلى الحبشة للإيقاع بالمسلمين فيها عند النجاشى فلم يفلح ، أسلم فى هدنة الحديبية وكان إسلامه وخالد بن الوليد فى آن واحد ، ولاه الرسول قيادة جيش (ذات السلاسل) وأمده بأبى بكر وعمر ، ثم جعله عاملا على منطقة عمان ، كان أحد القادة الأربعة الكبار الذين تولوا فتح الشام ، إليه يعود الفضل فى فتح فلسطين ومصر ، ولاه ابن الخطاب إمارة فلسطين ثم مصر ، عزله عثمان عن الإمارة ، كان فى جانب معاوية أيام الفتنة ، وتولى مصر بعد أن تم الأمر لمعاوية ومات وهو أمير عليها ، كان ابن الخطاب من المعجبين برجاحة عقله ودهائه ، كان يقول إذا رأى رجلا يتلجلج كلامه : .. إن خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد ، توفى رضى الله عنه فى مصر سنة ثلاث وأربعين من الهجرة .

التى خالف بها جميع الصحابة ونفاه الخليفة الثالث من أجل التمسك بها .. إلى الربذة .

وكتوسعهم فى تدريس القصص والتمثيليات (المفتعل أكثرها) التى تصور بذخ ومجون بعض الخلفاء من بنى أمية وقادتهم الذين لم يكره الصليبيون والوثنيون والمجوس ، محاربين إسلاميين أعظم منهم . لأن زحف الإسلام وقوته العسكرية وهيبته السياسية وصلت (أيام هؤلاء الخلفاء والقادة) إلى درجة لم يصل إليها أحد قبلهم ولا بعدهم.

فبينما كانت جيوشهم تتوغل فى أحشاء أوروبا الغربية ، ويقف منها (أيام بنى أمية) خمسمائة ألف مقاتل على بعد ثلاثمائة كيلو متراً من باريس ، كانت مئات الآلاف من جنود دمشق الأموية . وقادتها تندفع كالطوفان نحو الشرق جارفة أمامها معالم الوثنية وآثار المجوسية .

وهذا هو السبب فى الحقد المشبوب من هذا الثالوث المعادى على هؤلاء القادة والخلفاء ، هذا الحقد الذى نراه متمثلًا فيما يدرسه وينشره ويذيعه فروخ الصليبيين من أدعياء الإسلام ، من طعن فى خلفاء الإسلام وكبار قادته ممن خاض الإسلام بقيادتهم أعنف المعارك ضد الصليبيين فى الغرب والوثنيين والمجوس فى الشرق .

إن إهمال التاريخ الإسلامى فى فصل المدرسة ومدرج الكلية أو الاقتصار على مقاطع مشوهة مما نسب إليه ، إنما يخدم الأعداء ويزهد الشباب المسلم ، بل ويكرهه فى تاريخ الإسلام .

وهذا أقصى ما يهدف إليه أعداء الإسلام الذين نجحوا (بواسطة المخربين من أبنائه) فى أن ينحرفوا بالشباب المسلم (إلا من عصم الله ، وقليل ما هم) عن الاتجاه الإسلامى الصحيح ، واتجهوا به نحو أوروبا

وحضارة وعظمة رجالها ، حتى أصبحوا لا يرون شيئاً جديراً بالدرس وأولى بالإعجاب والتقدير إلا ما كان آتياً عن أوروبا ، وأوروبا وحدها .

والسبب فى ذلك أنهم (منذ تفتح أعين عقولهم) ، وطيلة مراحل التدريس لم يسمعوا ولم يقرأوا فى معرض تاريخ البطولات والمعارك والحضارات والتضحية والعلوم إلا عن معارك الطرف الأغر ، ووقائع (واترلو) وبطولات انطونيو ، وغرام كليوبترا ، وشجاعة نابليون وثبات ولنجتون ، وبسالة نلسون ، ومغامرات كرستوف كولمبس ، وحضارات الفراعنة ، ومدنيات روما ، وفلسفات اليونان ، وصلاح سانت ماريا ، وعفة جان دارك ، وغير ذلك مما لا يجعلون معه أى مكان فى ذهن الطالب المسلم لما يجب أن يعرفه عن تاريخ دينه ، وأخبار بطولات رجالاته ، وشجاعة قادته ، ونزاهة حكامه ، وعدل خلفائه وإشراق حضاراته وعظمة مدنياته ونباهة علمائه ، وذكاء فلاسفته .

والأغرب من هذا أن هؤلاء الآثمين فى حق التاريخ الإسلامى ، عندما يضطرون إلى التحدث عن تاريخ الإسلام ، يتجنبون ذكر الإسلام كلياً ، ويتحدثون عنه كتاريخ قومى مجرد ، وكأنه قد بنته سواعد لا علاقة لها بهذا الدين البتة .

سألت (مرة) أحد هؤلاء الحائزين على الشهادات العالية من تلك الجامعات ، سألته عن معركة الصوارى ، فاستغرب هذا الاسم ، وقال ضاحكاً ، إنه لم يسمع بمعركة تحمل هذا الاسم الغريب .

بينما هذه المعركة تعد من أهم المعارك البحرية الفاصلة فى تاريخ حروب الإسلام والإمبراطورية الرومانية ، فقد هزم الأسطول الإسلامى الأسطول الرومانى فى هذه المعركة شر هزيمة لم تقم بعدها للرومان

قائمة وذلك فى عصر الخليفة عثمان بن عفان وبقيادة الأمير عبد الله ابن سعد بن أبى سرح بالقرب من المياه التونسية .

ولكنى عندما سألت هذا الجامعى المثقف (الذى يجهل معركة الصوارى) عندما سألته عن معركة الطرف الأغر [1] أخذ يشرح لى تفاصيل هذه المعركة وكأنه أحد الذين شهدوها ، فقد اندفع يتحدث عن بسالة نلسون وثباته وكيف جرح وهو على ظهر سفينة القيادة يدير دفة المعركة ، وكيف انهزم الأسطول الفرنسى بعد أن خسر ثمانى عشرة سفينة وكيف أسر الإنكليز قائد الأسطول الفرنسى .

وما هذا الجهل بالتاريخ الإسلامى والإلمام بالتاريخ الأجنبى إلا حصيلة التثقيف الحديث الذى أخذه شبابنا المسلم حسب المخطط التعليمى الذى وضعه أعداءُ الإسلام منذ عشرات السنين .

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته المثلى أن يثبتنا على ديننا ويأخذ بأيدينا للسير على الصراط السوى إنه على كل شئ قدير .

محمد أحمد باشميل

مكة المكرمة .. رمضان المبارك ١٣٨٢هـ — ١٩٦٣م

---

(١) معركة بحرية شهيرة دارت بين الأسطول الفرنسى والبريطانى بالقرب من الشواطىء الأسبانية فى عهد نابليون بونابرت عام ١٨٠٥ م .

بـــدر

بدر – بفتح أوله وسكون ثانيه – ماء من مياه العرب الشهيرة وأسواقهم المشهورة ، وقد أطلق على هذا المكان اسم أول من حفر بئراً فيه وهو رجل من غفار ، واسمه : بدر بن قريش بن مخلد بن النضر ابن كنانة .

وقال الزبير بن بكار ، هو قريش بن الحارث ... سميت به قريش قريشاً ، فغلب عليها ، لأنه كان دليلها وصاحب ميرتها ، وكانوا يقولون جاءت عير قريش ، وخرجت عير قريش ، وابنه بدر بن قريش به سميت بدر التى كانت بها الواقعة المباركة [1] .

تقع بدر جنوب غرب المدينة ، والمسافة بينها وبين المدينة – بطرق القوافل التى سلكها الرسول ﷺ – حوالى ١٦٠ ميلا .

كما أن بدراً تقع شمالى مكة ، والمسافة بينها وبين مكة – بطرق القوافل القديمة التى سلكها المشركون – حوالى ٢٥٠ ميلا .

أما المسافة اليوم بين مكة وبدر – بطرق السيارات – فهى ٣٤٣ كيلو متراً ، والمسافة بين المدينة وبدر بهذا الطريق فهى ١٥٣ كيلو متراً .

أما المسافة بين بدر وساحل البحر الأحمر الواقع غربيها فهى حوالى ثلاثين كيلو متراً .

---

(١) عمدة الأخبار ص ٢٣٨ .



الفصل الأول

ما قبل المعركة

- بدء الصراع بين الإسلام والوثنية فى مكة .
- حرب الدعاية والتشويش والإيذاء ضد النبي صلى الله عليه وسلم
- قريش تنذر أبا طالب بحرب أهلية .
- أبو طالب يرفض الإنذار .
- فرض العزل المدنى والحصار الاقتصادى على بنى هاشم وبنى المطلب
- فشل سياسة العزل والحصار .

قبل الدخول فى تفاصيل هذه المعركة ، لابد من إلقاء نظرة عابرة على الحوادث والتطورات الهامة التى سبقت هذه المعركة مما له علاقة بها ويعد بعضاً من أسبابها .

لقد استمر الرسول ﷺ فى منطقة مكة ثلاث عشرة سنة ، وهو يدعو إلى ربه مناضلًا ومجاهداً من أجل نشر العقيدة التى ألقى الله تعالى علىَّ عاتقه مهمة نشرها .

وقد كان جهاده (طيلة تلك السنين) جهاداً سلمياً بحتاً لم يشهر فيه سلاحاً . وكان خصوم دعوته من جانبهم (كذلك) يسلكون كافة السبل ويعملون بكل الوسائل لمقاومة دعوة الإسلام وقطع تيار نورها عن أقوامهم ، (بالإيذاء ، بالتهديد ، بالمقاطعة) إلا الحرب .

فقد اقتصرت قريش (أول الأمر) فى مقاومتها لدعوة الإسلام ،

على استخدام وسائل الإعلام والنشر للتشويش على صوت هذه الدعوة الكريمة لئلا يصل (أو لكى يصل على غير حقيقته) إلى الأسماع .

ففى داخل مكة جندت قريش السفهاء ، واستخدمت القاصين والشعراء ليقوموا بحملات السخرية والاستهزاء ضد النبى ﷺ ويشنوا عليه حرب أعصاب قاسية بغية إقلاقه ومضايقته والتضييق على الذين اتبعوه رجاء أن ينفضوا من حوله .

ولقد لاقت هذه الحملات من قريش نجاحاً كبيراً فى أول الأمر ، حيث تمكنت من عزل الناس عن النبى ﷺ ودعوته عزلاً يكاد يكون تاماً .. قال ابن هشام :

« إن أشد مالقى رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حر ولا عبد فرجع ﷺ إلى منزله (مغتماً) فتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه ﴿ يا أيها المدثر ، قم فأنذر ﴾ ، الآية » .

تنظيم الحملات الدعائية ضد النبى صلى الله عليه وسلم

أما فى مجال الدعاية الخارجية (ونعنى بها العمل على صد غير القرشيين عن دعوة الإسلام) فقد كان القرشيون (فى هذا المجال) يقومون بأعمال المقاومة على شكل وفود وبعثات تشويش وتضليل ، وكانت أهم حركات تلك المقاومة ، هى حركات تلك الجماعات المنظمة التى كانت قريش تشكلها كل عام عند اقتراب موسم الحج لبلبلة أفكار الحجاج وتشويش أذهانهم وتشكيكهم فيما يقوله النبى ﷺ ويدعو إليه .

لقد فشلت قريش فى إيقاف تيار دعوة محمد ﷺ – بالرغم من النجاح الذى أحرزته ضدها أول الأمر – عن طريق حرب الاستهزاء

والسخرية والاستعداء والتنفير التى كانت تقوم بها داخل مكة – فقد ظل النبى ﷺ ثابتاً على دعوته لم يتزحزح .

فبدلا من أن ينكمش نشاط دعوته ويتلاشى داخل مكة (كما كانت تطمع قريش) نقل هذا النشاط إلى خارج النطاق القرشى ، حيث أخذ فى الاتصال بوفود الحجيج من مختلف قبائل العرب التى كانت كلها يوم ذاك على دين الوثنية ، وصار يشرح لهم دعوته وأهدافها ويدعوهم إلى اعتناق الإسلام .

برلمان مكة يجتمع

وهنا اتسع نطاق دائرة الخطر بالنسبة لمركز قريش الروحى الممتاز بين العرب ، فقد خافت قريش مغبة تزايد هذا النشاط النبوى بين وفود الحجيج ، ولذلك سارع زعماء مكة إلى الاجتماع فى برلمان قريش (دار الندوة) للتشاور فيما يجب اتخاذه من وسائل فعالة يضعون بها حداً للنشاط المتزايد الذى يقوم به صاحب الدعوة الجديدة النبى محمد ﷺ مما اعتبروه خطراً على دينهم وشتماً لآلهتهم ، .

وقد استعرض المجتمعون الموقف من جميع نواحيه وناقشوه مناقشة طويلة واستمعوا إلى مختلف الحلول والاقتراحات التى تقدم بها بعض الرؤساء والقادة .

وكان أول الخطباء فى (برلمان مكة) الوليد بن المغيرة المخزومى الذى تحدث إلى المجتمعين قائلاً :

يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم (يعنى الحج) وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا (يعنى النبى ﷺ) ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم

بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ، قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً نقول به ، قال .. بل أنتم فقولوا أسمع ، وهنا تعاقب الخطباء للإدلاء بآرائهم ، فقال أحدهم .. نقول كاهن .. فقال الوليد .. لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكهان[1] ولا سجعه ، فقالوا .. نقول مجنون .. قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، قالوا .. فنقول شاعر ، قال ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا .. فنقول ساحر ، قال .. ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم ، قالوا ، فما نقول يا أبا عبد شمس ؟؟ فقال لهم (فى صراحة) : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق[2] ، وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، ثم قال لهم الوليد :

وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، وقد وافق المجتمعون على هذا الاقتراح الذى قدمه الوليد ابن المغيرة بالإجماع .

منظمات التشويش

وتنفيذاً لهذا الاقتراح نظمت قريش جماعات مخصوصة كلفتها بالمرابطة فى كل سبيل يمر به القادمون إلى الحج لتذكر لهم أمر

---

(١) الزمزمة ، الكلام الخفى الذى لا يسمع .

(٢) العذق (بفتح أوله) النخلة :: يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها إذا جنى .

النبي ﷺ وأنه ساحر يفرق بين المرء وأبيه الخ ، وتحذرهم الاستماع إليه والإصغاء لما يقول .

قال ابن إسحاق .. فجعل أولئك النفر يقولون ذلك فى رسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس . وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ ، فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها .

غير أن كل هذه المقاومة الدعائية أو الحرب الباردة (كما يسمونها اليوم) لم تستفد قريش منها شيئاً ، فلم تفتّ فى عضد النبى ﷺ ولم توهن من عزمه كل المشاغبات والعراقيل والاتهامات التى قامت بها قريش لصد الناس عن الإسلام ، والتأثير على حامل رسالته رجاء أن يتخاذل فيتخلى عن دعوته ، بل ظل النبى الأعظم ﷺ صامداً فى وجه كل هذه الأحداث المتعبة ، يواصل الدعوة إلى ربه صابراً محتسباً ، غير آبه بكل ما يعترضه من عراقيل ، فزاد أمره انتشاراً ، وتزايد عدد الذين اتبعوه على دينه ، مما ضاعف قلق قريش وزاد من حيرتها .

التهديد بالحرب الأهلية

ولما رأى قادة مكة أنهم قد فشلوا فى حربهم الدعائية المنظمة التى شنوها على النبى ﷺ ودعوته ، وتأكد لديهم تصميم الرسول على المضى فى دعوته مهما كلفه الأمر ، سلكوا سبيلاً آخر لإجبار النبى محمد ﷺ على التخلى عن دعوة الإسلام التى قامت على أساس هدم الوثنية التى هى دين القرشيين يوم ذاك .. سلكوا سبيل التهديد بالحرب إن لم يكف محمد ﷺ عن عيب آلهتهم ودعوة الناس إلى اعتزالها .

ولما كان أبو طالب (وهو عم النبى وكافله بعد جده عبد المطلب) بمثابة الحامى لرسول الله ﷺ والذائد عنه بين هذه القبائل الناقمة

عليه ، فقد قررت قريش إرسال وفد إلى أبى طالب ليبلغه احتجاجها الشديد على ما يقوم به ابن أخيه النبى محمد ﷺ من عيب لآلهتها وتحقير لأوثانها ، وقد فوض برلمان مكة أعضاء هذا الوفد بأن يحذر عميد الأسرة الهاشمية (يوم ذاك أبا طالب) من حرب أهلية قد يندلع لهيبها إذا ما استمر ابن أخيه فى دعوته القائمة على هدم الوثنية ونبذ الأصنام ، واستمر هو (أى أبا طالب) فى حمايته لابن أخيه وسكوته على ما يقوم به من نشاط معاد لدينهم .

وفد قريش عند أبى طالب

وفعلًا اجتمع وفد دار الندوة بعميد الأسرة الهاشمية بمقره فى نادى بنى هاشم .

وعلى مسمع من أقطاب أسرة بنى عبد مناف تكلم رئيس الوفد وقال :

يا أبا طالب .. إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين » ؛ أو كما قال له .

ولقد أثّرت كلمات هذا الإنذار الشديد على أبى طالب تأثيراً كبيراً ، ودب عند سماعها ضعف الشيخوخة فى نفسه فكاد يرضخ للإنذار .

فقد بعث إلى رسول الله ﷺ ، ولما حضر أبلغه خبر الوفد الذى جاء إليه بشأنه ، وحدّثه عن الإنذار الشديد الذى تبلغه من قبائل قريش على لسان ذلك الوفد ، ثم قال له طالباً منه الكف عن عيب آلهتهم : « فأبْقِ علىَّ وعلى نفسك ولا تحمّلنى من الأمر ما لا أطيق » .

وكان هذا كافياً لأن يفهم النبي ﷺ أن عمه قد ضعف عن نصرته وفكر فى التخلى عنه .

إلا أن النبي ﷺ أمام هذا الحدث العظيم أعلن ـ دونما أى تردد أو تلجلج ـ بأنه غير مستعد للدخول فى أية مساومة على حساب الإخلال بالأمانة العظمى التى كلفه الله بأدائها ، حتى وإن تخلى عمه أبو طالب عن نصرته .

فقد قال لعمه (وفى عزم يدك الجبال) : «يا عمّ ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته » ، ثم غادر المجلس .

أبو طالب يرفض الإنذار

غير أن هذه الكلمات النبوية كان وقعها على نفس أبى طالب أشد من وقع كلمات الإنذار الذى سمعه من وفد قريش ، فلم يكد يسمع هذه الكلمات العظيمة من ابن أخيه النبي حتى عاد إليه صوابه ، فقد نسى قريشاً وتناسى قوتها أمام تلك الكلمات النبوية الرائعة ، ونادى ابن أخيه محمداً ﷺ ـ وكان قد ولّى خارجاً ـ فقال له .. أقبل يا ابن أخى ، فلما أقبل عليه رسول الله ﷺ قال له :

« اذهب يا ابن أخى ، فقل ما أحببت ، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً »

وقد كان أبو طالب يعرف ماذا سيكون رد الفعل من جانب قريش إزاء تصريحه بحماية ابن أخيه وعدم التخلى عنه ، ولذلك فقد استدعى زعماء بنى هاشم وبنى المطلب ، وأبلغهم خطورة الموقف (بعد التصريح الذى أدلى به وتحدثت به مكة كلها) وطلب منهم أن يكونوا بجانبه لحماية محمد من قريش ، فاستجاب له جميع بنى المطلب وبنى هاشم

(مسلمهم وكافرهم) إلا أبا لهب (عم النبى ﷺ) فإنه صارحهم العداوة ورفض الانضمام إليهم وانضم إلى خصومهم .

وبهذا التصريح الذى أدلى به أبو طالب وأبلغه زعماء مكة رسمياً ، دخل النزاع بين الوثنية والإسلام فى طور جديد ، وازدادت مخاوف قريش أكثر من ذى قبل ، لاسيما بعد موقف التحدى الذى وقفته من قريش الغاضبة على النبى ، قبيلتا بنى هاشم وبنى المطلب اللتان كان لهما وزنهما الكبير بين القبائل المكية ، سواء كان ذلك فى ميدان الحرب أو السياسة .

ولا شك أن قريشاً قد فكرت فى شن حرب دموية على قبيلتى بنى هاشم وبنى المطلب ، بسبب موقفهما الحازم من صاحب رسالة الإسلام ، ولكن عقلاء قريش خافوا مغبة هذه الحرب الأهلية التى خوفهم منها دائماً هو الذى كان يحول بينهم وبين الإقدام على قتل النبى الأعظم .

ولذلك عدلوا هذه المرة (أيضاً) عن اتباع خطة الحرب الدموية لمقاومة دعوة الإسلام (ولو مؤقتاً) ولجأوا (بدلا عنها) إلى حرب المقاطعة ، وهى لا شك حرب قاسية لا تقل ضرراً عن الحرب الدامية ، ففرضوا الحصار الاقتصادى على قبيلتى بنى هاشم وبنى المطلب ، كما اتبعوا خطة عزل هاتين القبيلتين عن المجتمع القرشى عزلا تاماً

قريش تساوم الرسول شخصياً

غير أن قريشاً قبل أن تقدم على تنفيذ مخطط الحصار الاقتصادى والعزل الاجتماعى ، لجأت إلى مساومة النبى ﷺ شخصياً ، لعله يقبل المساومة فتنتهى الخصومة .

فقد تحدث مرة عتبة بن ربيعة فى برلمان مكة واستعرض تزايد خطر الدعوة المحمدية بشدة إقبال الناس عليها وخاصة الشباب القرشى ، وكان عتبة هذا من سادات بنى عبد مناف وذوى الحلم والرأى فيهم وبعد مناقشات ومداولات وافق برلمان مكة (دار الندوة) على انتداب عتبة هذا شخصياً ، ليتصل بمحمد شخصياً أيضاً فيساومه ويعرض عليه كل ما يمكن أن يرضيه من منصب أو جاه أو مال لقاء سكوته عن دعوته .

وفعلا تم الاجتماع الشخصى بين الزعيم القرشى (عتبة) والنبى محمد ﷺ ، وفى هذا الاجتماع (الذى كاد يكون سرياً) قال عتبة لمحمد ﷺ :

يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من المكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم ، وسفهت أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فقال رسول الله ﷺ ... قل يا أبا الوليد أسمع .

قال : يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا ،وإن كان هذا الذى يأتيك رئياً [1] تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا لك فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع [2] على الرجل حتى يداوى منه .

---

(١) الرئى (بفتح الراء وكسرها) ما يتراءى للإنسان من الجن .

(٢) التابع من يتبع الناس من الجن :

فلما انتهى عتبة بن ربيعة من حديثه ، قال له رسول الله ﷺ : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟؟ قال .. نعم قال ﷺ فاسمع منى ، قال : أفعل ، فقال النبي ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم ، حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون [1] ، ثم مضى ﷺ فى تلاوة آيات هذه السورة . وعتبة يستمع إليه منصتاً وقد ألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما ، ولما وصل النبي ﷺ إلى السجدة منها قطع التلاوة ثم سجد لله تعالى ، وبعدها قال لزعيم قريش ومندوبها (عتبة بن ربيعة) .. قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك ، وكان النبي ﷺ يعنى أن جواب قريش على عروضها واقتراحاتها التى حملها عتبة هو ما سمعه عتبة من الآيات القرآنية التى تلاها عليه من سورة السجدة .

ولقد دهش عتبة لبلاغة وروعة ماسمع حتى لقد ارتج عليه فلم يرد على النبي ﷺ بكلمة واحدة ، بل بمجرد انتهاء الرسول ﷺ من تلاوة الآيات البينات على مسامع عتبة ، انصرف هذا مأخوذاً إلى قومه ، وقد تغير رأيه فى النبي ﷺ وتبدل موقفه من دعوته تبدلاً جذرياً .

وقد عرف زعماءُ مكة هذا التغير والتبدل فى وجه عتبة لما أقبل عليهم ، فقال بعضهم (بعد أن رأى عتبة قادماً) : نحلف بالله ، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به .

---

(١) سورة فصلت : آية ١ — ٣ .

وكان عتبة بن ربيعة من خيار القوم ، وذوى العقل الراجح ، وكان مشهوراً ببعد النظر وأصالة الفكر وحسن السياسة وشدة الصراحة .

ولذلك فإنه لما جلس إلى زعماء مكة وقالوا (مستفسرين عن نتائج محادثاته مع الرسول ﷺ) : ما وراءك يا أبا الوليد ؟؟ قال :

ورائى أنى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا هو بالسحر ، ولا بالكهانة ، ثم قال ناصحاً قومه .. يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل (يعنى محمداً ﷺ ، وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فو الله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا .. سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيى فاصنعوا ما بدا لكم .

وبدلا من أن تستجيب قريش لنصيحة عتبة بن ربيعة اتهمته بأنه قد وقع تحت تأثير سحر محمد ﷺ ، فقالوا له .. سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه .. فقال لهم عتبة (بلسان الواثق بما يقول) .. هذا رأيى فاصنعوا ما بدا لكم .

سياسة العزل الاجتماعى والمقاطعة الاقتصادية

ولما فشلت قريش فى حمل النبى ﷺ على التخلى عن دعوته ، عن طريق إغرائه بالجاه والمال والمنصب حيث لم تنجح وساطة عتبة ابن ربيعة فى ذلك ، كما فشلت من قبل فى إقناع أبى طالب وبنى هاشم وبنى المطلب بالتخلى عن رسول الله ﷺ ، لجأت إلى تنفيذ مخطط الحرب الاقتصادية والاجتماعية ضد هاتين القبيلتين (بنى هاشم وبنى المطلب) ، ففرضت عليهما حصاراً اقتصادياً خانقاً وعزلاً اجتماعياً قاسياً .

فقد اجتمعت فى برلمانها للتشاور فيما يجب أن يتخذوه من خطوات حاسمة إزاء الانتصارات المتزايدة التى تسجلها دعوة النبى ﷺ يوماً بعد يوم ، لا داخل مكة فحسب ، بل وخارجها بين القبائل المجاورة ، ومما زاد مركز قريش حرجاً أن أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب ، وهما رجلان تحسب لهما قريش حساباً كبيراً ، وفعلا أحدث إسلامهما ثقلاً كبيراً فى كفة المسلمين الذين اشتد بهما جانبهم

موافقة البرلمان على قرار المقاطعة

فإزاء هذا كله اتخذ برلمان مكة قراراً يقضى بفرض الحصار الاقتصادى والعزل الاجتماعى على قبيلتى بنى هاشم وبنى المطلب ، وصمدت هاتان القبيلتان (مسلمهما وكافرهما) فى وجه هذا الحصار الشديد ، فلم تخذل محمداً بل ظلت بجانبه تحميه بالرغم من الأضرار الجسيمة التى نزلت بها نتيجة لذلك الحصار الشديد .

قال ابن إسحاق ، فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمنا وقراراً ، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه . وجعل الإسلام يفشو فى القبائل ، اجتمعوا وائتمروا بينهم ، أن يكتبوا كتاباً يتعاقدوا فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب ،

فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا إليه . وخرج من بنى هاشم أبو لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) إلى قريش فظاهرهم .

تطور النزاع بعد المقاطعة

وهكذا تطور النزاع بين الفريقين واتسع نطاقه ، حيث لم يعد محمد ﷺ وحده فى الميدان ، بل وقفت إلى جانبه قبيلتان لا يستهان بهما من قبائل قريش .

ولقد اشتد الحصار على المسلمين ومن معهم من قبيلتى بنى هاشم والمطلب ، وتعنتت قريش فى مقاطعتها الآثمة ، حتى أقامت مخافر على الطرق المؤدية إلى الشعب الذى حوصر فيه المسلمون ، لمراقبة ما قد يتسرب على أيدى بعض ذوى المروءات من طعام إلى المحصورين فى الشعب ، والدليل على ذلك أن أبا جهل بن هشام كان بنفسه يقوم (أحياناً) بأعمال الدورية لهذا الغرض ، فقد التقى أبو جهل مرة بحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، ولدى تفتيشه وجد غلاماً له يحمل شيئاً من القمح يريد إيصاله إلى عمته خديجة بنت خويلد [1]

---

(١) هى أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشية ، أول زوجة تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت (عند زواجها) تكبره بخمس عشرة سنة ، قتل أبوها فى حرب الفجار ، وكانت قبل زواجها من النبى صلى الله عليه وسلم قد تزوجت من أبى هالة بن زرارة التميمى فمات عنها ، كانت (رضى الله عنها) من أصحاب الأموال الكثيرة ، وكانت ذات نشاط تجارى واسع ، وكانت تستأجر ذوى النشاط للتجارة ، وتدفع لهم رؤوس الأموال (مضاربة) وخاصة فى رحلات مكة التجارية المشهورة إلى الشام ، اتفقت مع النبى صلى الله عليه وسلم – قبل البعثة – ليذهب فى تجارة لها إلى الشام ، فتوجه مع القافلة وتاجر باسمها فى سوق بصرى فى الشام ، وعاد من رحلته تلك رابحاً ، وكان (يوم ذاك) قد بلغ الخامسة والعشرين ، وبعد عودته من الشام أرسلت إليه من يعرض عليه الزواج بها فقبل ، وعند ذاك ، أبلغت عمها (عمرو بن أسد بن عبد العزى) رغبتها فوافق مسروراً ، ثم تم عقد زواجها =

(زوجة رسول الله ﷺ – والموجودة عنده فى الشعب) فمنعه من ذلك وحاول مصادرة القمح .

دوام الحصار ثلاث سنوات

وقد دامت المقاطعة التى فرضتها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب ثلاث سنوات كاملة ، عانى المحصورون فيها الحرمان ألواناً ، وبلغ بهم الضيق غايته ، فلم يكن يتاح لهم الاتصال بالناس أو الاختلاط بهم ، فتضرروا لذلك كثيراً .

وقد كانت قريش تهدف من وراء سياسة التجويع والمقاطعة هذه إجبار قوم محمد (من بنى هاشم وبنى المطلب) على اعتزاله ليعود وحيداً فلا يبقى له ولا لدعوته من خطر .

ولكن هذه السياسة الغاشمة لم تحقق لقريش شيئاً مما كانت تهدف إليه ، فلم يردد محمد ﷺ إلا اعتصاماً بحبل الله وثباتاً على عقيدته ، ولم يزدد الذين آمنوا به إلا تكتلاً والتفافاً حوله ، وظل الذين لم يتابعوه على دينه من أهله بجانبه يحرسونه ويذودون عنه ، ولم تؤثر على موقفهم سياسة التجويع والمقاطعة بأى حال من الأحوال .

أما بالنسبة لانتشار الإسلام ، فإن تنفيذ مخطط الحصار الاقتصادى

= على رسول الله صلى الله عليه وسلم – قبل النبوة – فولدت له صلى الله عليه وسلم ذكرين هما القاسم (وكان يكنى به) وعبد الله (وهو الطاهر والطيب) ، كما ولدت له أربع إناث وهن : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة رضى الله عنها ، ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أول إنسان آمنت به ، كانت (رضى الله عنها) أعلى مثل للزوجة الصالحة الطيبة الحنون ، فقد كانت رضى الله عنها (بمعاملتها الحسنة وقلبها الطيب المشرق الكبير من أكبر مصادر تخفيف الآلام عن النبى صلى الله عليه وسلم أيام اشتداد المحنة عليه فى مكة قبل الهجرة ، توفيت بمكة سنة ثلاث قبل الهجرة عن عمر دام ٦٤ سنة .

والعزل الاجتماعى ضد النبي ومن ناصره وآمن به لم يكن له أثر فعال فى منع هذا الدين من الانتشار ، فقد ظلت الدعوة إلى الإسلام تشق طريقها وتسجل كل يوم نصراً جديداً ، لا بين أهل مكة فحسب ، بل بين كثير من قبائل العرب خارج مكة ، فقد فشا ذكر الإسلام فى شبه الجزيرة العربية بأكملها ، مما حمل الكثير على السفر إلى مكة للتعرف على هذا الدين الذى جاء به من عند الله ، ثم الدخول فيه بعد الاقتناع بصدقه .

إلغاء الحصار الآثم

ظل النبي ﷺ ومن تبعه على دينه أو ناصره ممن ليس على دينه ، ظلوا صامدين ثابتين أمام تعنت قريش وتعسفها ، وتحدوا ذلك الحصار الآثم بشجاعة وثبات ، بالرغم من أنهم كادوا أن يهلكوا جوعاً لشدة ذلك الحصار الاقتصادى الخانق ، لولا أن بعض المروءة والنجدة من مشركى مكة أنفسهم ، كانوا يقومون (فى ظلام الليل) بتهريب بعض الأطعمة الضرورية إليهم داخل الشعب .

غير أن العنت والتعسف والقسوة إذا كانت قد بلغت من أكثر زعماء مكة غايتها ، فارتكبوا جريمة المقاطعة الاقتصادية والعزل الاجتماعى فى حق إخوانهم وأبناء عمومتهم وأصهارهم من بنى هاشم وبنى المطلب ، فإن ضمائر بعض هؤلاء الزعماء قد تيقظت فشعروا بفدح ما ارتكبت قريش من ظلم وقسوة وتعسف .

فقد تذاكر هؤلاء الزعماء حول بشاعة الجريمة التى ارتكبتها قريش بحق المحصورين فى الشعب ، وتعاهدوا على إزالة معالم هذه الجريمة بالسعى الجدى لإلغاء ذلك الحصار الآثم .

بل لقد بلغ بهم النبل إلى التعاهد على تحقيق هذا المطلب الشريف، حتى ولو أدى بهم الأمر إلى أن يمزقوا بأيديهم صحيفة المقاطعة الظالمة المعلقة فى جوف الكعبة .

النبلاء الخمسة

وكان الذين فكروا فى هذا العمل النبيل ونفذوه فى النهاية هم :

١ ـ هشام بن عمرو بن ربيعة العامرى(١)

٢ ـ زهير بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى (٢)

٣ ـ المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف (٣)

٤ ـ البخترى بن هشام (٤)

٥ ـ زمعة بن الأسود بن المطلب الأسدى (٥)

فقد عقد هؤلاء الخمسة النبلاء ، اجتماعاً سرياً فيما بينهم (ليلا) فى منطقة الحجون بأعلى مكة ، وتم الاتفاق فيما بينهم على تمزيق الصحيفة ليكون ذلك نهاية المقاطعة الآثمة .

---

(١) أسلم هذا الرجل النبيل (هشام بن عمرو) وحسن إسلامه ، وقد أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم من غنائم معركة حنين خمسين من الإبل .

(٢) هو زهير بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى ، أسلم هذا الرجل النبيل بعد الفتح ، وهوأخو أم سلمة (زوج النبى صلى الله عليه وسلم) .

(٣) مات مطعم هذاكافراً على ما ذكر ابن حجر فى الإصابة .

(٤) قتل هذا الرجل الشهم (أبو البخترى) يوم بدر مشركاً ، وقدكان النبى أمر الجند الإسلامى بعدم قتله اعترافاً له بالفضل لما له من موقف مشرف فى إلغاء هذا الحصار الآثم ، ولكن لأمر يريده الله قتله المجذر بن زياد البلوى بعد أن رفض أبو البخترى إلا القتال .

(٥) قتل زمعة بن الأسود مشركاً يوم بدر ، وقدكان هذا الشاب من أحب أبناء أبيه إليه :

وقد رسموا لتنفيذ ذلك محكمة حيث اتفقوا على أن يقف زهير ابن أبى أمية بين أندية قريش فى المسجد ويشجب ما تضمنته تلك الصحيفة من مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب ويدعو إلى إنهاء هذه المقاطعة ، وإذا ما عارضه أحد من زعماء مكة سارع إلى تأييده بقية الخمسة حسب تكتيك منظم اتفق عليه الخمسة فى اجتماعهم السرى بالحجون .

هذا أمر قضى بليل

فى صبيحة تلك الليلة غدا كل من النبلاء الخمسة إلى نادى قومه بالمسجد ، وغدا زهير بن أبى أمية فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أقبل على أندية قريش ونادى بصوت يسمعه الجميع :

يا أهل مكة ، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم ؟ ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة [1] .

وهنا ثار أبو جهل غاضباً وصاح بزهير بن أبى أمية .. كذبت والله لا تشق ، فقاطع أبا جهل (حسب الخطة المرسومة) زمعة بن الأسود قائلاً .. أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حيث كتبت ، ثم ساند زمعة فى قوله أبو البخترى بن هشام قائلا .. صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرّ به ، ثم ساند الثلاثة فى رأيهم المطعم بن عدى فقال ـ معقباً بالتأييد على قول زمعة وأبى البخترى ـ صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ، ومما كتب فيها ولا نقر به .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٦ .

وهنا أدرك أبو جهل أن الأمر قد جاء بتدبير سابق ، فقال كلمته المشهورة .. هذا أمر قضى بليل .. كما أنه أيقن أنه من الصعب الحيلولة بين هؤلاء الزعماء الخمسة وبين ما اعتزموا تحقيقه من إنهاء المقاطعة ، وأن مقاومتهم قد تثير شراً وتشعل حرباً ، فتراجع ولاذ بالصمت ، وهنا تقدم المطعم بن عدى إلى صحيفة المقاطعة ليمزقها ، ليكون ذلك إيذاناً بانتهاء المقاطعة الآثمة ، فوجد الصحيفة قد أكلتها الأرضة إلا فاتحتها (باسمك اللهم) . وبتمزيق الصحيفة وإخراجها من جوف الكعبة أصبح الحصار الاقتصادى والعزل الاجتماعى (الذى فرضته قريش على بنى هاشم وبنى المطلب) لاغياً .

وبهذا خرج المسلمون ومَن ناصرهم من مشركى بنى هاشم وبنى المطلب منتصرين من محنتهم ، وعادوا من الشعب إلى مكة لم تنحن لهم هامة ، يبيعون كما يشاؤون ، وتنفست الدعوة الإسلامية الصعداء من جديد وازداد نشاطها ،وفشلت (نهائياً) سياسة التجويع والتضييق والمقاطعة .

الفصل الثاني

* التحول الخطير فى الصراع .
* اللقاء الأول بين النبي والأنصار .
* بيعة العقبة الأولى .
* سفير النبي صلى الله عليه وسلم فى يثرب .
* التحالف العسكرى بين النبي والأنصار .
* قريش تنزعج وتحتج على هذا التحالف .
* هجرة المسلمين قبل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .
* برلمان مكة فى جلسته التاريخية .
* إجماع قريش على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ومنعه من الهجرة .
* فشل المؤامرة ونجاح الهجرة .

لقد ظلت جل أعمال المقاومة القرشية لدعوة الإسلام وحامل لوائها منذ بدأت مقتصرة على حرب الدعاية والتضييق والإعنات والمقاطعة ، وكان كفار مكة يظنون أن سلوك هذا السبيل كفيل وحده بأن يحقق لهم ما يصبون إليه من تفرّق الناس عن النبي ﷺ وانفضاض أتباعه من حوله ، وتركه ودعوته وحيداً فى الميدان مما يحقق لها الظفر به والقضاء عليه منفرداً .

إلا أنه فى أواخر سنوات الصراع حدث تطور سياسى خطير ، أقضّ مضاجع مشركى مكة ، وأثبت لهم خطأ ظنهم ، وجعلهم يغيّرون من

نظرتهم إلى المشكلة ، وهذا التطور هو نجاح النبي ﷺ فى الاتصال بأهل يثرب وإقناع الكثير منهم باعتناق الإسلام ، ثم إقامة حلف عسكرى بينهم وبين النبي ﷺ يمنعونه بموجبه كما يمنعون أنفسهم ونساءهم وأولادهم .

فقد كان من عادة النبي ﷺ أن يغتنم فرصة كل موسم من مواسم الحج فيعرض نفسه على قبائل العرب ويشرح لهم دعوته وأهدافها ، ويدعوهم إلى الإسلام .

وأثناء هذا العرض اتصل ببعض رجالات قبيلتى الأوس والخزرج [1] من سكان يثرب ، وهم من قبائل قحطان ، وأقوى القبائل العربية وأمنعها فى الجزيرة .

أول لقاء بين النبي صلى الله عليه وسلم والأنصار

وكان أول من لقى رسول الله ﷺ من أهل المدينة ستة نفر من شباب الخزرج ، التقى بهم ﷺ فى موسم الحج عند العقبة من منى ، فقال لهم .. من أنتم ؟؟ .

قالوا .. نفر من الخزرج ..

قال .. أمن موالى يهود ؟؟ . أى حلفاءهم .

قالوا : نعم .

قال .. أفلا تجلسون أكلمكم ؟ .

قالوا : بلى .. فجلسوا معه ، فشرح لهم حقيقة دعوته ، ودعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فوقع قوله من نفوسهم موضع الرضى والقبول ، واستبشروا به خيراً .

---

(١) انظر ترجمة هاتين القبيلتين فى كتابنا (غزوة أحد) .

وكان هؤلاء الرهط من عقلاء يثرب التى أنهكتها الحرب الأهلية المستعر لهيبها بين الأوس والخزرج ، فأمَّلوا أن يضع الله بدعوته حداً للحرب الأهلية المدمِّرة الناشبة فى يثرب .

فقالوا للنبى ﷺ - بعد أن قبلوا ما عرض عليهم من الإسلام - : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك .

وأبدوا استعدادهم للنبى ﷺ أن يكونوا رسل دعوته إلى أهل يثرب ، قائلين :

فسنقدم عليهم ، فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ، فكان هؤلاء النفر أول من أسلم من الأنصار .

وكان هذا اللقاء بين النبى وأهل يثرب سنة ثلاث قبل الهجرة (على أغلب الظن) .

وبعد أن أسلم هؤلاء ، حملوا إلى المدينة (ولأول مرة) رسالة الإسلام ، وصاروا يبثونها (بكل جد وإخلاص) بين قبائلهم فى يثرب فلم يستدر العام إلا وقد انتشر ذكر النبى فى كل دار من دور أهل المدينة .

وأسماء رجال هذه الطليعة المباركة هم :

١ - أسعد بن زرارة (من بنى النجار) (1) .

---

(1) هو أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد ، الأنصارى النجارى الخزرجى ، كان طليعة الشباب اليثربى المسلم . شهد بيعة العقبة الأولى والثانية ، وكان نقيباً على قبيلته فى بيعة العقبة الثانية (وهى المعاهدة العسكرية الأولى التى عقدت بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين الأنصار) ، ولم يكن فى نقباء الأنصار الإثنا عشر أصغر سناً من أسعد =

٢ - عوف بن الحارث بن رفاعة (من بنى النجار)[1] .

٣ - رافع مالك بن العجلان (من بنى زريق)[2] .

٤ - قطبة بن عامر بن حديدة (من بنى سلمة)[3] .

٥ - عقبة بن عامر بن نابى (من بنى حرام بن كعب)[4]

٦ - جابر بن عبد الله بن رئاب (من بنى عبيد بن غنم)[5]

بيعة العقبة الأولى

وفى العام التالى للقاء الأول بين النبى والطليعة المباركة (النفر الستة) ألتقى النبى ﷺ - وفى موسم الحج - بإثنى عشر رجلا من

= ابن زرارة ، كان أسعد هذا ، أول من بايع الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ، وكان رضى الله عنه أول من صلى بالمسلمين الجمعة ، وذلك فى المدينة عندما جاء إليها داعياً إلى الإسلام ، قبل الهجرة ، توفى أسعد رضى الله عنه والمسلمون يبنون المسجد النبوى ، كان أسعد وذكوان بن قيس أول من أدخل الإسلام إلى المدينة ، وذلك أنهما (كما ذكر الواقدى) جاءا إلى مكة فى حاجة لهما لدى عتبة بن ربيعة ، فسمعا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتياه ، فلما عرض عليهما الإسلام أسلما ، فعادا إلى المدينة ، دون أن يتصلا بعتبة بن ربيعة وذلك (قبل بيعة العقبة الأولى) .

(١) استشهد عوف هذا فى معركة بدر مع أخيه معوذ بعد أن شاركا فى قتل الطاغية أبى جهل .

(٢) هو رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الخزرجى ، وذكر ابن إسحاق أنه شهد بدراً ، وحكى ابن إسحاق أن رافع هذا كان أول من قدم المدينة بسورة يوسف ، وروى الزبير بن بكار أن النبى صلى الله عليه وسلم لما لقى رافع بن مالك بالعقبة أعطاه ما نزل عليه فى العشر سنين التى خلت ، فقدم به رافع المدينة ثم جمع قومه ، فقرأ عليهم فى موضعه من المسجد ، وأن مسجد بنى زريق أول مسجد قرئ فيه القرآن لم أطلع على تاريخ وفاة رافع رضى الله عنه .

(٣) قطبة هذا كانت معه راية بنى سلمة يوم الفتح ، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى فى خلافة عمر بن الخطاب ، وقال ابن حبان مات فى خلافة عثمان .

(٤) انظر ترجمة عقبة هذا فى كتابنا (غزوة أحد) .

(٥) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

الأنصار عند العقبة ، فيهم أربعة من الستة الذين اْلتقوا بالرسول ﷺ ، فى العام السابق ، وهناك بايعوا رسول الله ﷺ بيعة النساء (كما يقول ابن إسحاق) وهى أنهم التزموا بموجب هذه البيعة العمل بأحكام الإسلام من فعل الواجبات وترك المحرّمات ، ولم يأت ذكر فى هذه البيعة للناحية العسكرية ، لأن هذه البيعة تمت قبل أن يأذن الله لنبيه بالقتال .

سفير النبي فى المدينة

وبينما كانت قريش تشدد من ضغطها على النبى ﷺ وتضاعف من إيذائها للضعفاء من أتباعه ، كان ﷺ يوثق من صلاته بأهل يثرب ويوسع من نطاق اتصالاته بهم .

فبعد أن تمت بيعة العقبة الأولى ، وانتهى موسم الحج بعث مع القوم الذين عقدوا معه هذه البيعة أول سفير له فى يثرب ليعلّم المسلمين فيها شرائع الإسلام ويفقههم فى الدين ، ويقوم بنشر الإسلام بين الذين لا زالوا على الشرك ..

وقد اختار النبى ﷺ لهذه السفارة الشاب الصالح التقى الشجاع (مصعب بن عمير العبدرى) [1] ، الذى كان من السابقين الأولين إلى الإسلام من شباب قريش .

ولقد أثبت الشاب مصعب أنه خير سفير للإسلام اعتمده ، النبى ﷺ لدى أهل يثرب ، فقد قام بمهمته خير قيام ، إذ استطاع بدماثة خلقه وصفاء نفسه أن يجمع كثيراً من أهل يثرب على الإسلام حتى إن قبيلة من أكبر قبائل يثرب (وهى قبيلة بنى عبد الأشهل) قد أسلمت جميعها على يده بقيادة رئيسها سعد بن معاذ .

---

(١) ستأتى ترجمته فيما يلى من هذا الكتاب .

عودة السفير إلى مكة

وبعد أن اطمأن سفير الإسلام الأول (مصعب) إلى نجاح الدعوة وشاهد مغتبطاً ، سرعة انتشار دين الله بين تلك القبائل القحطانية العظيمة التى صارت فيما بعد أعظم قوة حربية اعتمد عليها الإسلام فى عهده الأول ، وبعد أن قضى هذا السفير النبوى بين أهل يثرب تسعة أشهر ، عاد إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز ، وقدم له تقريراً ضافياً عن النجاح الباهر المطَّرد الذى تلاقيه دعوة الإسلام بين قبائل الأوس والخزرج ، وقص على النبى ﷺ خبر هذه القبائل ، وما هى عليه من منعة وقوة .. فسر النبى ﷺ لهذا النصر العظيم الذى سجلته دعوة الإسلام فى يثرب على يد ذلك السفير الشاب التقى الصالح مصعب بن عمير .

معاهدة العقبة الثانية

وفى العام التالى للبيعة الأُولى (أى سنة اثنين قبل الهجرة النبوية) حضر لأداء مناسك الحج من أهل يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان ممن أسلموا ، وقد جاءُوا ضمن حجاج قومهم من أهل الشرك .

وبمجرد وصولهم إلى مكة ، جرت الاتصالات (سراً) بينهم وبين النبى ﷺ وانتهت هذه الاتصالات بالاتفاق على أن يجتمع الفريقان فى اليوم الثانى من أيام التشريق ، على أن يتم هذا الاجتماع فى سرية تامة وفى ظلام الليل ، وقد حددوا مكاناً لهذا الاجتماع .. الشِّعب من منى عند العقبة حيث الجمرة الأُولى ، أو الشيطان الكبير (كما يسميه العامة اليوم) .

وفى الميعاد المحدد من تلك الليلة ، حضر النبى ﷺ إلى الشعب عند العقبة وأخذ الأنصار يتوافدون على النبى ، واحداً بعد واحد (فى

ظلام الليل) خوفاً من أن ينكشف أمرهم لكفار مكة والمشركين من قومهم أهل يثرب .

ولنترك أحد قادة الأنصار يصف لنا كيف تم ذلك الاجتماع التاريخي الذى كان بداية التحول الخطير فى تاريخ الصراع بين الإسلام والوثنية .. وهو كعب بن مالك [1] رضى الله عنه :

قال كعب .. ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق ، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام [1] ، سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له .. يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة قال .. فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً .

قال كعب ، فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من نسائنا .. نسيبة بنت كعب ، أم عمارة ، إحدى نساء بنى مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو ، وهى أم منيع ..

فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب - وهو يومئذ على دين قومه - إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويوثق له ، وكان أول متكلم [2] .

---

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) . (٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤١ .

وهكذا ، وبعد أن تكامل المجلس شرع المجتمعون فى المحادثات التمهيدية لإبرام التحالف العسكرى بين هذه النخبة الممتازة من صفوة الأوس والخزرج وبين النبى ﷺ .

وكان أول المتكلمين فى هذا الاجتماع التاريخى العظيم العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه ؛ فقد وقف خطيباً فى القوم ليشرح لهم (بكل صراحة) خطورة ما هم مقدمون عليه ، ويبين لهم (ليستوثق منهم – عظم المسئولية التى ستلقى على كواهلهم نتيجة هذا التحالف العسكرى ، فقد قال لهم فيما رواه ابن إسحاق .

« يا معشر الخزرج – وكان العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار .. الخزرج – .. إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على رأينا فيه (أى من ناحية الاختلاف فى الدين) فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده » .

وبعد أن فرغ العباس من إلقاء بيانه قال له اليثربيون (بلهجة تأكد العباس من صدقها) : قد سمعنا ما قلت ، ثم التفتوا إلى رسول الله ﷺ قائلين (فى عزم وتصميم وشجاعة وإيمان) :

فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، وبعد ذلك ألقى الرسول ﷺ بيانه ، ثم تم عقد التحالف بين الفريقين .

وقد كانت أهم بنود هذا التحالف من الناحية العسكرية ، هو أن اليثربيين من الخزرج والأوس ، قد تعهدوا بحماية رسول الله ﷺ كما يحمون أنفسهم ونساءهم وأولادهم .

شرع فى وضع بنود المعاهدة التى أراد – من هذه النخبة اليثربية المباركة المصادقة عليها قائلاً موجها خطابه إلى الأنصار :

« أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » .

فأخذ البراء بن معرور[1] بيد رسول الله ﷺ ثم قال .. نعم ، والذى بعثك بالحق (نبياً) لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا[2] فبايعنا يارسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة[3] ورثناها كابراً (عن كابر) ، وبينما البراء بن معرور يتكلم مؤكداً القيام بالتزام ما يفرض هذا الحلف من دفاع عن النبى ﷺ ، اعترض أبو الهيثم بن التيهان[4] قائلا :

يارسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالاً ، وإنا قاطعوها – يعنى اليهود – فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم الرسول ﷺ ثم قال :

---

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

(٢) أزرنا أى نساءنا ، والمرأة قد يكنى عنها بالإزار .

(٣) الحلقة (بفتح الحاء) السلاح .

(٤) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

بل الدم الدم ، والهدم الهدم [١] . أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

وبعد أن ارتضى الأنصار (بالإجماع) شروط البيعة وأرادوا الشروع فى عقدها بالمصافحة طلب منهم العباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى [٢] قائلا (ليعرف مدى استعداد قومه للتضحية فى سبيل تنفيذ ما عقدوا لرسول الله ﷺ من حلف ومبايعة) :

يا معشر الخزرج ... هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ .

قالوا .. نعم

« قال .. إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله (إن فعلتم) خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة [٣] الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة » .

قالوا .. « فإنا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف » .. ثم التفتوا إلى رسول الله ﷺ قائلين :

فمالنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك ؟ .. قال .. الجنة ، قالوا .. ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه .

---

(١) كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار :: دمى دمك ، وهدمى هدمك ، وهى كلمة تعنى أن ذمتى ذمتك وحرمتى حرمتك ، قاله ابن قتيبة وابن هشام .

(٢) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

(٣) نهكة الأموال :: نقصها .

ولتبادل الثقة المطلقة بين الفريقين استعاضوا (عن تسجيل هذه المعاهدة والتوقيع عليها كتابياً) بالمبايعة بالأيدى .. وكانوا يرون ذلك (لشدة إيمانهم ولسجية الوفاء المتأصلة فى نفوسهم الشريفة) أعظم من إبرام المعاهدة كتابياً ، فقد بسط رسول الله ﷺ لهم يده الشريفة فبايعهم واحداً واحداً ، وبهذا اعتبرت المعاهدة نافذة المفعول .. هذا من جانب الرجال .. أما الجناح النسوى فى هذه الطليعة المباركة .. والذى تمثله امرأتان .. هما أم عمارة ، نسيبة بنت كعب المازنية ، وأسماء بنت عمرو ، فلم يبايعن رسول الله ﷺ بالأيدى لأنه ﷺ ما صافح امرأة أجنبية حتى توفاه الله [1] ، ولذلك كانت مبايعتهما بالموافقة التامة على بنود المعاهدة .

النقباء الإثنا عشر

وبعد أن تمت المراسيم العامة للبيعة بالمصافحة من الجميع ، طلب رسول الله ﷺ من المبايعين انتخاب اثنى عشر زعيماً من زعمائهم ليكونوا نقباء على قومهم وكفلاء مسئولين عنهم فى تنفيذ بنود هذه المعاهدة قائلا : أخرجوا إلىَّ منكم اثنى عشر نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم فتم انتخابهم فى الحال ، وبعد أن قُدِّموا لرسول الله ﷺ أخذ عليهم النبى ﷺ العهد (كرؤساء مسئولين) قائلا :

---

(١) روى الواقدى أن زوج أم عمارة (عربة بن عمرو) قال — ساعة إبرام هذه المعاهدة — يارسول الله هاتان امرأتان (أم عمارة وأم سبيع) حضرتا يبايعنك ، فقال صلى الله عليه وسلم : قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه ، إنى لا أصافح النساء.

« أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومى » — يعنى المسلمين قالوا . نعم [١] .

الجاسوس الذى اكتشف المعاهدة

وقد تم إبرام هذا الحلف العسكرى فى هدوء تام وانسجام كامل ، غير أن القوم ما كادوا يفرغون من إبرام هذا التحالف حتى اكتشفه أحد الشياطين الذين يعملون فى مخابرات مشركى مكة ، فقد كان هؤلاء الجواسيس يراقبون حركات محمد ﷺ لتزويد زعماء قريش بالمعلومات عن مدى نشاط دعوته ، وخاصة فى موسم الحج الذى يتزايد فيه نشاط النبى ﷺ بين قبائل العرب التى كان يتصل بزعمائها ويدعوهم وقومهم إلى الإسلام .

ولما كان اكتشاف هذا الجاسوس لاجتماع الأنصار بالنبى جاء متأخراً ، بحيث لا يمكن إبلاغ زعماء قريش خبر هذا الاجتماع سراً ليباغتوا المجتمعين وهم فى الشعب ، حيث جاء هذا الاكتشاف فى اللحظة الأخيرة من الاجتماع الذى كان على وشك الارفضاض .. لما كان الأمر هكذا وقف هذا الجاسوس على مرتفع يشرف على (منى) حيث يخيم الحجيج وصاح بأعلى صوته يلفت نظر قريش إلى الخطر الذى يتهددهم قائلا :

يا أهل الجباجب (أى المنازل) .. هل لكم فى مذمم [٢] والصباة [٣] معه قد اجتمعوا على حربكم .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤٦ .

(٢) كان مجرمو كفار مكة يسمون النبى صلى الله عليه وسلم مذمما .

(٣) الصباة جمع صابى ، وهو (الصابئ) بالهمزة ، وكان يقال للرجل إذا أسلم (فى زمن النبى عليه السلام) صابئ .

استعداد الأنصار لضرب قريش فى منى

وعند سماع الأنصار صوت الجاسوس وهو ينبه قريشاً إلى ذلك الاجتماع فى العقبة ، قال أحد زعماء الأنصار (وهو العباس بن عبادة ابن نضلة) وكان أحد النقباء الإثنى عشر .. قال يخاطب النبى ﷺ والاجتماع على وشك الارفضاض ـ : والذى بعثك بالحق ، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا ؟ .

إلا أن النبى ﷺ لم يوافق على فكرة هذا الهجوم قائلا للزعيم الأنصارى البطل :

لم نؤمر بذلك ..

ثم سمح رسول الله ﷺ لطليعة يثرب المباركة بالانصراف إلى رحالهم .

فانصرف أبطال العقبة إلى رحالهم فى منى وقد أرسوا قواعد النضال المسلَّح لحماية دعوة الإسلام والدفاع عن حاملها ، وبهذا كتبوا الفصل الأول فى تاريخ تحول مجرى الصراع بين الإسلام والوثنية .

قريش تتقدم باحتجاجها على المبايعة

وفى صبيحة تلك الليلة التى تم فيها ذلك الحدث الخطير (بيعة العقبة) وعلى أثر ما نقله إليها جاسوسها من خبر هذه البيعة ، توجه وفد كبير من زعماء مكة وقادتها إلى مضارب أهل يثرب فى منى ليقدّموا احتجاجهم الشديد على ما تم من إبرام هذا التحالف العسكرى بين النبى ﷺ وأهل يثرب .

فقد قالوا (فى احتجاجهم هذا) .. يامعشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا (يعنى النبى ﷺ) تستخرجونه من بين

أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا ، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم .

ولما كان مشركو الخزرج لا يعلمون شيئاً عن التحالف الذى تم بين الفئة المسلمة من قومهم وبين النبى ﷺ لأنه تم فى ظلام الليل وفى سرية تامة ، انبرى هؤلاء المشركون من اليثربيين يحلفون بالله لقريش أن شيئاً من هذا لم يتم .

حتى إن عبد الله بن أبىّ بن سلول [1] (زعيم الخزرج) أكد لقريش عدم حدوث شىء من هذا قائلا :

والله إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومى ليتفوتوا على بمثل هذا ، وما علمته كان [2] .

وقد كان الذين قاموا بإبرام معاهدة العقبة حاضرين فى نادى قومهم ساعة أن تقدم زعماء مكة باحتجاجهم إلى زعماء يثرب ، وكان بعضهم ينظر إلى بعض وقد لاذوا بالصمت ، فلم يتحدث أحد منهم بنفى أو إثبات . لا سيما بعد أن رأوا زعماء قريش قد مالوا إلى تصديق شركاءهم فى الوثنية من زعماء يثرب .

تأكد خبر البيعة لدى قريش

وبعد أن سمع زعماء مكة جواب قادة الخزرج على الاحتجاج الذى تقدموا به عادوا إلى منازلهم وهم على ما يشبه اليقين بأن خبر هذه البيعة إنما هو من قبيل المبالغة ، ولكنهم (مع هذا) بقى الشك عالقاً بنفوسهم حيال هذا الأمر ، فأخذوا فى التحرى يتنطسون الخبر ،

---

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤٩ .

فوجدوا أن البيعة قد تمت فعلاً ، فقامت قيامتهم فسارع فرسانهم إلى مطاردة اليثربيين علهم يظفرون بالذين أبرموا تلك المعاهدة أو بعضهم لينتقموا منهم ، ولكن حركة المطاردة هذه جاءت بعد فوات الأوان ، حيث لم تقم قريش بها إلا بعد أن نفر الحجيج كل إلى وطنه إلا أن المطاردين تمكنوا من إلقاء القبض على أحد سادات المسلمين اليثربيين الذين اشتركوا فى إبرام هذه المعاهدة وهو (سيد الخزرج سعد بن عبادة) الذى عادوا به إلى مكة ، والذى أجاره فيما بعد رجلان هما : جبير ابن مطعم [1] والحارث بن أمية ، ثم أطلق سراحه .

أسماء الطليعة المباركة من الأنصار

وهنا يجدر بنا أن نحلى جيد هذا الكتاب بذكر أسماء الطليعة المباركة من الأوس والخزرج الذين وضعوا بتحالفهم العسكرى مع النبى أسس النضال المسلح لحماية دعوة الإسلام وحامل لوائها من عبث العابثين وطيش المستهترين ، فصاروا بذلك (رضى الله عنهم وأرضاهم) طليعة القوات الرادعة التى أدّب بها الإسلام (فيما بعد) الجبابرة ونكّس أعلام الطغيان والجبروت .

عدد أبطال معاهدة العقبة

لقد بلغ عدد أبطال هذه المعاهدة العسكرية المباركة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان .. منهم أحد عشر رجلا من الأوس ، واثنان وستون رجلاً وامرأتان من الخزرج [2] . وأسماؤهم كما يلى :

---

(١) انظر ترجمتهما فى كتابنا (غزوة أحد) .

(٢) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

من شهدها من الأوس

أ ـ من بنى عبد الأشهل ثلاثة نفر ، وهم :

١ ـ أسيد بن حضير [١] .

٢ ـ أبو الهيثم بن التيهان [٢] (حليف لهم) من بلى .

٣ ـ سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة [٣] .

ب ـ ومن بنى حارثة ثلاثة نفر ، وهم :

١ ـ ظهير بن رافع بن عدى [٤] .

٢ ـ أبو بردة بن نيار [٥] (حليف لهم) من قضاعة .

٣ ـ نهير بن الهيثم [٦] .

ج ـ ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك ، خمسة نفر .

١ ـ سعد بن خيثمة [٧] .

٢ ـ رفاعة بن عبد المنذر [٨] .

---

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) :

(٢) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) :

(٣) سلمة بن سلامة هذا شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول صلى الله عليه وسلم كما شهد بيعة العقبة الأولى مع أسعد بن زرارة ، كان من فضلاء الصحابة ، ولاه عمر ابن الخطاب اليمامة ، ولما قال عبد الله بن أبىّ المنافق (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) قال ابن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبعث سلمة بن سلامة ابن وقش يأتيك برأسه ، مات سلمة سنة أربع وسبعين هـ .

(٤) شهد ظهير بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(٥) شهد أبو بردة بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى خلافة معاوية سنة خمس وأربعين هـ بعد أن شهد مع على بن أبى طالب كل حروبه ضد مناوئيه .

(٦) لم يشهد هذا الصحابى الجليل بدراً :

(٧) تقدمت ترجمته فى هذا الكتاب :

(٨) شهد رفاعة بدراً وقتل شهيداً فى معركة خيبر ، وهو أخو أبى بابة الصحابى الشهير :

٣ ـ عبد الله بن جبير[١] .

٤ ـ معن بن عدى بن الجد (حليف لهم) من بلى .

٥ ـ عويم بن ساعدة[٢] .

عدد الذين شهدوا العقبة من الخزرج

أ ـ من بنى النجار أحد عشر رجلاً ، وهم :

١ ـ أبو أيوب الأنصارى .. خالد بن زيد بن كليب[٣]

٢ ـ معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء .

٣ ـ أخوه عوف بن الحارث .

٤ ـ وأخوه معوذ بن الحارث[٤] .

---

(١) كان قائد الرفاة فى معركة أحد ، وقد قتل فيها شهيداً .

(٢) انظر ترجمته كاملة فى الإصابة :

(٣) هو الصحابى الجليل المشهور (بأبى أيوب الأنصارى) شهد بدراً مع رسول صلى الله عليه وسلم والمشاهد كلها ، وكان بيته مقراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند هجرته حيث نزل عليه وكان يسكن معه حتى تم بناء المسجد وبيته ، آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين مصعب بن عمير العبدرى ، شهد الفتوحات الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين ، ولاه أمير المؤمنين (على) المدينة لما توجه إلى العراق ، وشهد مع على قتال الخوارج ، ظل يواصل الجهاد ، كانت آخر غزوة غزاها القسطنطينية فى أيام معاوية ، فقد جهز معاوية جيشاً عظيماً بقيادة ابنه يزيد ، وقد حاصر هذا الجيش القسطنطينية من البر والبحر ، وكان فيه أبو أيوب رضى الله عنه ، وقد مرض فى هذه الغزوة ، فجاءه قائد الجيش يزيد بن معاوية يعوده ، ثم سأله ما حاجتك (يا أبا أيوب ؟ ، قال :: حاجتى ، إذا أنا مت فاركب بى ما وجدت مساغاً فى أرض العدو ، فإذا لم تجد فادفنى ثم ارجع ، ففعل يزيد ذلك فدفن أبو أيوب فى أرض الروم بالقرب من القسطنطينية (أسطنبول) وكان ذلك سنة خمس وخمسين هـ ؛

(٤) هؤلاء الثلاثة الأبطال معاذ ومعوذ وعوف أبناء الحارث ،هم المشهورون بأبناء عفراء ، تقدمت ترجمة معوذ وعوف ، أما معاذ فقد ذكر البعض أنه استشهد يوم بدر ، ولم يذكره ابن إسحاق فى القتلى ، أما عوف ومعوذ فقد استشهدا يوم بدر ، بعد أن شاركا فى قتل (أبى جهل) ٥

٥ ــ عمارة بن حزم بن زيد .

٦ ــ أسعد بن زرارة .

٧ ــ سهل بن عتيك .

٨ ــ أوس بن ثابت بن المنذر .

٩ ــ أبو طلحة ، زيد بن سهل[١] .

١٠ ــ قيس بن أبى صعصعة[٢] .

١١ ــ عمرو بن غزية بن عمرو .

ب ــ ومن بنى الحارث بن الخزرج سبعة نفر ، وهم :

١ ــ سعد بن الربيع[٣] .

٢ ــ خارجة بن زيد بن أبى زهير[٤] .

٣ ــ عبد الله بن رواحة .

٤ ــ بشير بن سعد بن ثعلبة .

٥ ــ عبد الله بن زيد بن ثعلبة .

٦ ــ خلاد بن سويد بن ثعلبة .

٧ ــ عقبة بن عمرو بن ثعلبة .

ج ــ ومن بنى بياضة بن عامر ثلاثة نفر ، وهم :

١ ــ زياد بن لبيد بن ثعلبة .

٢ ــ فروة بن عمرو بن وذفة .

٣ ــ خالد بن قيس بن مالك .

---

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) :

(٢) انظر ترجمته فى الإصابة لابن حجر :

(٣) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) :

(٤) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) :

د – ومن بنى زريق بن عامر ، أربعة نفر ، وهم :

١ – رافع بن مالك بن العجلان .

٢ – ذكوان بن عبد قيس بن خلدة [1] .

٣ – عباد بن قيس بن عامر .

٤ – الحارث بن قيس بن خالد .

هـ – ومن بنى سلمة بن سعد أحد عشر رجلا ، وهم :

١ – البراء بن معرور [2] .

٢ – سنان بن صيفى بن صخر .

٣ – مسعود بن يزيد بن سبيع .

٤ – يزيد بن حرام بن سبيع .

٥ – جبار بن صخر بن أمية .

٦ – الطفيل بن النعمان بن خنساء .

٧ – معقل بن المنذر بن سرح .

٨ – يزيد بن المنذر بن سرح .

٩ – الضحّاك بن حارثة بن زيد .

١٠ – بشر بن البراء بن معرور .

١١ – الطفيل بن مالك بن خنساء .

---

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) :

(٢) هو البر بن معرور بن صخر بن سابق بن سنان الخزرجى صحابى فاضل مشهور كان سيداً من سادات الأنصار وكان من أعلمهم ، وهو أول مسلم استقبل الكعبة حياً ، توفى البراء بن معرور قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بشهر واحد ، ولما وصل النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مهاجراً صلى على قبر البراء رضى الله عنه وكبر أربعاً :

و ـ ومن بني سواد بن غنم بن كعب رجل واحد ، وهو :

١ ـ كعب بن مالك بن أبي كعب .

ز ـ ومن بني غنم بن سواد خمسة نفر ، وهم :

١ ـ سليم بن عمرو بن حديدة .

٢ ـ قطبة بن عامر بن حديدة .

٣ ـ يزيد بن عامر بن حديدة .

٤ ـ أبو اليسر .. كعب بن عمرو .

٥ ـ صيفي بن سواد بن عباد .

ح ـ ومن بني نابي بن عمرو بن سواد خمسة نفر ، وهم :

١ ـ ثعلبة بن غنمة بن عدى .

٢ ـ عمرو بن غنمة بن عدى .

٣ ـ عبسى بن عامر بن عدى .

٤ ـ عبد الله بن أنيس (حليف لهم من قضاعة) .

٥ ـ خالد بن عمرو بن عدى .

ط ـ ومن بني حرام بن كعب بن غنم سبعة نفر ، وهم

١ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام [1] .

٢ ـ جابر بن عبد الله [2] .

٣ ـ معاذ بن عمرو بن الجموح .

٤ ـ ثابت بن الجذع .

٥ ـ عمير بن الحارث بن ثعلبة .

---

(١) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) .

(٢) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) .

٦ ـ خديج بن سلامة بن أوس بن عمرو (حليف لهم من بلى) .

٧ ـ معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس [١] .

ى ـ ومن بنى عوف بن الخزرج أربعة نفر ، وهم :

١ ـ عبادة بن الصامت [٢] .

٢ ـ العباس بن عبادة بن نضلة .

٣ ـ يزيد بن ثعلبة بن حزمة (أبو عبد الرحمن) .

٤ ـ عمرو بن الحارث بن لبدة بن عمرو .

ك ـ ومن بنى سالم بن غنم بن عوف رجلان ، وهما :

١ ـ رفاعة بن عمرو بن زيد .

٢ ـ عقبة بن وهب بن كلدة (حليف لهم من غطفان) .

---

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدى بن كعب الأنصارى الخزرجى ، الصحابى الجليل المشهور ، كان الإمام المقدم فى علم الحلال والحرام ، قال أبو إدريس الخولانى ... كان أبيضاً وضيء الوجه ، وكان شاباً سمحاً من خيرة شباب قومه ، شهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم شهد بدراً وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وقد أمره النبى صلى الله عليه وسلم على اليمن ، وعندما ولاه النبى صلى الله عليه وسلم على اليمن كتب إليهم . إنى بعثت إليكم خير أهلى ، توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ باليمن وقدم المدينة فى خلافة أبى بكر ، مات بالطاعون فى الشام سنة ١٤ هـ روى معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وسبعة وخمسون حديثاً .

(٢) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن قيس الأنصارى الخزرجى الصحابى المشهور ، كان من القواد العسكريين فى فتح مصر تحت أمره القائد عمرو ابن العاص ، وقد كان رئيس الوفد الذى أرسله ابن العاص للتفاوض مع المقوقس حاكم مصر (أيام الرومان) ، وقد ولاه أبو عبيدة بن الجراح امارة حمص بالشام ، كان عبادة طويلا جسيما جميلا ، ولهذا طلب المقوقس عدم التحدث إليه لأن نفسه قد امتلأت خوفاً منه : مات عبادة بالرملة من فلسطين سنة ٣٤ وقيل سنة ٤٥ هـ :

ل – ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان ، وهما :

١ – سعد بن عبادة [1] .

٢ – المنذر بن عمرو بن خنيس .

فهؤلاء هم ثلاثة وسبعون رجلاً (من الأوس والخزرج) قاموا بإبرام معاهدة العقبة مع النبي ﷺ .

المرأتان اللتان اشتركتا فى المعاهدة

أما المرأتان اللتان اشتركتا فى إبرام معاهدة العقبة فهما من الخزرج وهما :

١ – نسيبة بنت كعب بن عمرو (وهى أم عمارة) .

٢ – أم منيع ، واسمها (أسماءُ بنت عمرو بن عدى) .

أسماء النقباء الإثنى عشر

أما النقباء الذين انتخبهم قومهم (من الأوس والخزرج) ليكونوا كفلاءَ عليهم فى تنفيذ هذه المعاهدة العسكرية (كما طلب الرسول ذلك) فهم إثنا عشر .. تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، وهم :

نقباء الخزرج

١ – أسعد بن زرارة .

٢ – سعد بن الربيع .

٣ – عبد الله بن رواحة .

٤ – رافع بن مالك العجلان .

٥ – البراءُ بن معرور .

---

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

٦ – عبد الله بن عمرو بن حرام .

٧ – عبادة بن الصامت .

٨ – سعد بن عبادة .

٩ – المنذر بن عمرو[1] .

نقباء الأوس

١ – أسيد بن حضير .

٢ – سعد بن خيثمة .

٣ – رفاعة بن عبد المنذر بن زبير[2] .

الحدث العظيم

وبعد هذا الحدث العظيم (قيام التحالف العسكرى بين النبى وأهل يثرب) أخذ القلق يساور كفار مكة بشكل لم يسبق له مثيل ، فقد تجسد أمامهم الخطر الحقيقى العظيم الذى يتهدد كيانهم الوثنى ، نتجة هذا التحالف العسكرى .

فأهل مكة يعلمون ما عليه قبائل الأوس والخزرج من قوة ومنعة ، وما بين هاتين القبيلتين من حروب أهلية متواصلة ضاق عقلاؤهما بها ذرعاً ، وأن ذلك مما قد ييسر لدعوة محمد الانتشار بينهم ، لما فى أصولها من حث على حقن الدماء والدعوة إلى التآخى ونبذ الأحقاد ،

---

(١) هو المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن اوذان الخزرجى الأنصارى ، صحابى جليل مشهور ، شهد بدرا ، وكان أحد الشهداء الذين غدرت بهم قبائل عامر فى نجد فى بئر معونة ، له حديث واحد رواه عن رسوله الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) هو رفاعة بن المنذر بن رفاعة بن زنبر ، أخو أبى لبابة الصحابى الشهير ، شهد رفاعة بدراً واستشهد فى معركة خيبر .

الأمر الذى لو نجحت فيه دعوة الإسلام لكانت القاضية على سلطان مكة السياسى والدينى والعسكرى .

لذلك أخذت قريش تفكر فى الأمر أكثر من أى وقت مضى لاتخاذ الخطوات العملية السريعة الحاسمة لقطع تيار نور دعوة الإسلام نهائياً .

ولذلك تعددت الاجتماعات فى برلمان مكة للتباحث فى هذا التطور الخطير الذى طرأ على الدعوة الإسلامية بسبب ذلك الدعم العسكرى المخيف الذى حصل عليه حامل لواء هذه الدعوة من قبل قبائل الأوس والخزرج فى المدينة .

هجرة المسلمين قبل النبي ﷺ

وبينما كان المشركون المكيون من جانبهم يوالون الاجتماعات فى برلمانهم لبحث الموقف الطارئ ، وكان النبي ﷺ من جانبه غير غافل عما تفكر فيه قريش وترسمه من مخططات آثمة للقضاء عليه وعلى دعوته .

فبعد أن تمركزت دعوة الإسلام فى يثرب ووجدت لها حماة أقوياء عاهدوا الله على بذل الدم فى سبيل الذود عنها والدفاع عن حاملها ، سارع وأصدر أوامره إلى أصحابه المكيين بأن يلتحقوا بيثرب ليدعموا الجبهة الجديدة التى أراد الله أن تكون (فيما بعد) القاعدة العسكرية الكبرى التى استند عليها النبي ﷺ فى كل حربه التى خاضها مع أعداء الإسلام .

فشرع أصحاب النبي (من أهل مكة) فى مغادرة هذه المدينة المكرمة فى اتجاه يثرب ، وكانت هجرتهم ، متفرقين فرادى ، أو فى جماعات قليلة ، وقد فعلوا ذلك (بموجب خطة سياسية حكيمة) القصد من

اتباعها التعمية على قريش لئلا تكتشف الهدف الذى يكمن وراء هذه الهجرة .

غير أن قريشاً التى لم تنم عين استخباراتها عن مراقبة المسلمين اكتشفت الأمر ، واتضح لها أن هجرة المسلمين إلى يثرب تتم باستمرار وبانتظام وحسب خطة مرسومة ومن أجل تحقيق غاية عسكرية تستهدف القضاء على الكيان الوثنى فى الدرجة الأولى .

فقامت بعدة محاولات لمنع المسلمين من الهجرة إلى المدينة ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل إذ لم تستطع أن تمنع من الهجرة إلا المستضعفين (وهم قلة) حبست البعض منهم وعذبت البعض الآخر ، أما بقية المسلمين فقد هاجر أكثرهم دون أن يقدر أحد على منعه ، ومن هؤلاء : عمر بن الخطاب . والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير العبدرى ، وعثمان بن عفان ، وغيرهم .

التطورات الخطيرة

لقد ظلت قريش تقاوم دعوة محمد ﷺ بمختلف الوسائل ثلاث عشرة سنة ، فجربت كل أساليب الإرهاب والتهديد والمضايقة ، وشنت على النبى وعلى دعوته حرباً دعائية واسعة منظمة ، واتبعت ضده ومن ناصره سياسة التجويع والمقاطعة ، وعذبت وحبست المستضعفين من أتباعه وشنت عليهم حرباً نفسية مضنية ، فقد كانت (بحق) مقاومة عنيفة مرهقة .

غير أن هذه المقاومة بالرغم من عنفها وضراوتها لم تصل إلى إعلان الحرب واشهار السلاح .

ولقد كان النبي ﷺ يتحمل وأتباعه كل ما يلاقونه من قريش من عنت ومتاعب وويلات ، فيمشي ﷺ قدماً في نشر دعوته وإبلاغ رسالته في كل وسط يتسنى له الاتصال به .

إلا أنه في السنة الأخيرة من هذا الكفاح السلمي حدثت من جانب مشركي مكة تطورات هامة غيَّرت مجرى النضال تغييراً كلياً .

القرار الظالم

فقد ضاق المشركون ذرعاً بمحمد ودعوته ، بعد أن أثبتت لهم الأيام فشل خططهم غير الحربية التي ساروا عليها لمقاومة دعوة الإسلام والقضاء عليها في المهد ، وشعروا بتفاقم الخطر الذي يهدد كيانهم الوثني ، لاسيما بعد أن قامت تلك الجبهة القوية المعادية لهم على أثر التحالف العسكري الذي تم بين النبي ﷺ وأهل يثرب ، فصاروا يبحثون عن أنجح الوسائل لدفع هذا الخطر الذي مبعثه الوحيد حامل لواء دعوة الإسلام محمد ﷺ .

ففي أوائل شهر ربيع الأول (وعلى رأس السنة الثالثة عشرة) من بعثة الرسول الأعظم ﷺ عقد برلمان مكة (دار الندوة) أخطر اجتماع له في تاريخه .

جلسة تاريخية يعقدها برلمان مكة

فقد توافد إلى برلمان مكة (في ذلك اليوم التاريخي) جميع نواب القبائل القرشية ، وتدارسوا في هذا الاجتماع الخطير ما يجب اتخاذه من خطوات سريعة حاسمة ، تكفل القضاء على حامل دعوة الإسلام وتقطع تيار نور هذه الدعوة عن الوجود نهائياً ، ليكتب البقاء لوثنيتهم التي تأكد لديهم أن أيام بقائها ستكون قليلة جداً ، إذا لم يتم

القضاءُ (سريعاً) على خصمها القوى (الإسلام) الذى شرع حامل لواءه فى إعداد العدة لسحقها وتطهير الأرض من رجسها .

وقد كانت الوجوه البارزة (فى هذا الاجتماع الخطير) من نواب قبائل قريش :

١ - أبو جهل بن هشام .. عن قبيله بنى مخزوم .

٢ - جبير بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة ابن عدى .. عن قبيلة بنى نوفل بن عبد مناف .

٣ - عتبة بن ربيعة ، وشيبة أخوه ، وأبو سفيان بن حرب .. عن قبيلة بنى عبد شمس بن عبد مناف .

٤ - النضر بن الحارث بن كلدة (وهو الذى قتله النبى صبراً فى وادى الصفراء بعد معركة بدر) نائباً عن بنى عبد الدار .

٥ - أبو البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم ابن حزام ، عن قبيلة بنى أسد بن عبد العزى .

٦ - نبيه ومنبه أبناء الحجاج .. عن قبيلة بنى سهم .

٧ - أمية بن خلف .. [1] عن قبيلة بنى جمح .

كما حضر نواب غيرهم عن جميع القبائل القرشية .

منع أهل تهامة من حضور الجلسة

وقد أمر رئيس البرلمان الحرس أن يمنعوا أهل تهامة (التى منها يثرب) من حضور هذه الجلسة ، لأن هواهم (كما تقول قريش) مع النبى ﷺ ، وأمرهم بأن يسمحوا بالدخول لغيرهم ، وخاصة أهل

---

(١) أمية بن خلف هذا هو أحد زعماء مكة الذين قتلهم المسلمون فى معركة بدر .

نجد ، ويظهر أنه كان من عادة القرشيين أن يسمحوا لغير النواب بشهود جلسات المناقشة فى برلمان مكة .

وبعد أن تكامل نواب القبائل ، دار النقاش بينهم طويلاً ، وتقدم النواب بمختلف الإقتراحات والحلول ، إلا أن أكثر هذه الاقتراحات ، رفضت من قبل النواب بأكثرية ساحقة .

فقد تقدم أبو الأسود ربيعة بن عمرو (أحد نواب قبيلة بنى عامر ابن لؤى) باقتراح يقضى بنفى النبى ﷺ وإخراجه من مكة ، غير أن هذا الاقتراح رفض فى الحال ، بعد أن انتقده أحد النواب وشرح ما فى تنفيذه من خطر على مستقبل قريش قائلاً :

ما هذا لكم برأى . ألم تروا حسن حديثه (يعنى النبى ﷺ) وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فى بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، ثم اختتم ذلك النائب انتقاده لذلك الإقتراح قائلاً .. أديروا فيه رأياً غير هذا .

وهنا تقدم نائب آخر وهو أبو البخترى بن هشام (أحد نواب قبيلة بنى أسد بن عبد العزى) باقتراح يقضى باعتقال النبى ﷺ وإيداعه الحبس قائلاً :

أحبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، - زهيراً والنابغة - ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم .

ولكن هذا الاقتراح (أيضاً) رفضه برلمان مكة بعد أن شجبه أحد النواب قائلاً :

لا والله ما هذا لكم برأى . والله لئن حبستموه ـ كما تقولون ـ ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم ، فينزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا فى غيره .

الإجماع على قتل النبى ﷺ

غير أن برلمان مكة وافق فى النهاية على اقتراح آثم تقدم به كبير مجرمى مكة أبو جهل بن هشام (أحد نواب قبيلة بنى مخزوم) يقضى هذا الاقتراح بقتل النبى ﷺ ، على أن تشترك فى قتله جميع قبائل قريش لتكون كلها خصماً لمن أراد المطالبة بدمه فلا يجرؤ على ذلك .

فقد قال هذا الشيطان الطاغية (أبو جهل) فى اقتراحه :

والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا ... وما هو يا أبا الحكم ؟؟

قال .. أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلداً نسيباً وسيطاً فيناً ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل . جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل (أى الدية) فعقلناه لهم .

فوافق برلمان مكة على هذا الاقتراح الآثم بالاجماع ، واعتمدت قريش هذا القرار الغاشم ، وانصرف النواب من البرلمان وقد عقدوا العزم على تنفيذه فوراً .

تطويق منزل الرسول ﷺ

وبعد أن أتخذ برلمان مكة هذا القرار الظالم الغاشم ، أبلغ الله سبحانه وتعالى نبيه ذلك ، وأمره بالهجرة إلى المدينة ، قال ابن إسحاق :

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال .. لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه .

وفى تلك الليلة التى اتخذ فى يومها برلمان مكة قراره ذاك قامت فصيلة تمثل جميع قبائل قريش بتطويق بيت النبى ﷺ بغية تنفيذ المؤامرة الفظيعة التى تستهدف حياة الرسول الأعظم ﷺ ، الذى كان (فعلاً) موجوداً فى منزله ساعة تطويقه بالفتيان المسلحين الذين أوكل إليهم القيام بقتله .

فشل المؤامرة ونجاح الهجرة

وهكذا وقف الكفر على باب الإيمان ليطفئ شعلته إلى الأبد وليحرم العالم من موجات نوره الساطعة التى أخذت تتدفق لتضئ جنبات العالم المتوحلة فى ظلمات الجهل والكفر والظلم والانحراف .

ووقف قادة الشرك مع جندهم الذين أحاطوا بمنزل الرسول ﷺ ، ليشهدوا تنفيذ أبشع مؤامره دنيئة عرفها التاريخ من لدن آدم .

ووقف أبو جهل بالذات وقفة الزهو والخيلاء ، وكأنه قد ضمن نجاح المؤامرة .. وقف مخاطباً عصابته المحاصره للمنزل النبوى قائلا (فى سخرية واستهزاء) :

« إن محمداً يزعم إنكم إن تابعتموه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان (الأردن) ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقو ن فيها » .

وقد كان ميعاد تنفيذ تلك المؤامرة بعد منتصف الليل ، وظل قادة مكة وجنودهم متيقظين فى انتظار ساعة الصفر ، ليفتكوا بالرسول الأعظم ﷺ ، ولكن الله غالب على أمره .

﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين ﴾ [1] .

فقد فشلت تلك المؤامرة الرهيبة ، حيث نجّى الله من شرها رسوله ﷺ الذى خرج على المتآمرين وهم ينظرون إليه ولا يبصرون.

خرج عليهم واخترق صفوفهم وفى يده حفنة من التراب ذرها على رؤوسهم المشحونة بالكفر والطغيان ، ذرها وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ [2] .

وقبل حلول ساعة الصفر بقليل : تجلت للكفر خيبة أمله ، وظهرت للطغيان انهيار خططه ، وعصفت رياح الحسرة بنفوس المتآمرين حينما آتاهم رجل ممن لم يكن معهم ، وهم وأقفون بباب منزل الرسول ﷺ ينتظرون دنو ساعة الصفر ، فقال لهم :
ما تنتظرون ؟؟ .

قالوا .. محمداً .. قال .. خيبكم الله .. قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ .. فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب .

ولكنهم كانوا على يقين بأن النبى ﷺ داخل المنزل ، ولهذا فقد تزاحموا على باب منزل الرسول يتطلعون من شقوقه ، فيرون عليا رضى الله عنه [3] على الفراش متسجيا ببرد رسول الله ﷺ ، فيظنونه

---

(١) الأنفال : ٣٠ .   (٢) يس : ٩ .

(٣) روى ابن إسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم لما علم بعزم قريش على الفتك به قال لعلى بن أبى طالب .. نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر ، =

رسول الله ، فيقولون والله أن هذا لمحمد نائماً عليه برده ، فيظلون نهباً للشك والتردد لايقدمون على عمل حاسم [1] ، حتى طلع عليهم الصباح ، وإذا بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ينهض من فراش الرسول ﷺ ، وبهذا تبين لهم صدق ما قاله لهم ذلك الرجل الذى أخبرهم بخروج النبى عليهم من منزله .

وهنا تأكد لكفار مكة أن النبى ﷺ قد أفلت (فعلاً) من قبضتهم فجن جنون الشرك لهذا الفشل الذريع الذى انتهت إليه مؤامراتهم الخبيثة .

كيف نجحت الهجرة

كان النبى ﷺ قد اتصل بصاحبه الأكبر (أبى بكر الصديق) ليتفقا على خطة يغادران بموجبها مكة إلى المدينة ، وذلك بعد أن تبلغ النبى ﷺ ذلك القرار الغاشم الذى اتخذه برلمان مكة ضده .

فقد ذهب ﷺ إلى بيت الصديق لهذا الغرض . ولما كانت عملية الهجرة (بالنسبة للنبى ﷺ) تعد مغامرة خطيرة فقد أحيطت بالكتمان الشديد ، حتى إن النبى ﷺ لما وصل إلى منزل صاحبه الصديق للتشاور معه فى وضع الخطة ، طلب منه أن يأمر كل من عنده بالخروج لئلا يتسرب شئ مما يدور بينهما حول هذا الموضوع الخطير .

= قم فيه ، فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك إذا نام .

(1) لقد حاول المحاصرون لمنزل الرسول التسور لقتله داخل المنزل فصاحت امرأة من الدار ، فقال بعضهم لبعض ، والله إنها لسبة فى العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم ، وهتكنا ستر حرمتنا ، فذاك الذى جعلهم يؤجلون تنفيذ قتل الرسول حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ، ثم طمست أبصارهم ، فلم يروه حين خرج : هكذا جاء فى الروض الأنف للسهيلى .

قال ابن إسحاق فيما رواه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ..
كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله ﷺ فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه ؛ أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة ، فى ساعة كان لا يأتى فيها ، قالت .. فلما رآه أبو بكر قال .. ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث ، قالت .. فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله ﷺ :

أخرج عنى من عندك ، فقال .. يارسول الله ، إنما هما ابنتاى ، وما ذاك ؟ فداك أبى وأمى .

فقال ﷺ .. إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة ، قالت .. فقال أبو بكر :

الصحبة يارسول الله ، قال ﷺ .. الصحبة .

قالت عائشة .. فو الله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم إن أحداً يبكى من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ثم قال .. يانبى الله ، أن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أرقط ـ رجلا من بنى الدؤل بن بكر وكان مشركاً ـ يدلهما على الطريق فدفعاً إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما [1]

كيف خرج النبى ﷺ من مكة

وفى تلك الليلة التاريخية التى كانت بداية التحول الخطير فى تاريخ الإسلام ، بل الإنسانية كلها ، وبينما كانت قريش (بزعمائها

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٨٤ :

وقادتها) تحيط بمنزل الرسول الأعظم ﷺ فى انتظار الصباح للفتك به [1] – تنفيذاً للقرار الذى اتخذه برلمان قريش – كان محمد ﷺ وصاحبه الصديق يغادران منزل الأخير من باب خلفى ليخرجا من مكة على عجل ، وقبل أن يطلع الفجر .

الاختفاء فى الغار

ولما كان النبى ﷺ يعلم أن قريشاً ستجدُّ فى طلبه بمجرد علمها باختفائه من مكة ، ولما كان يعلم (كذلك) أن الطريق الذى ستتجه إليه الأنظار (لأول وهلة) ليكون تحت مراقبة المطاردين ، هو طريق المدينة الرئيسى والمتجه شمالاً ، فقد سلك طريقاً ، من المستبعد أن تفكر قريش فى مراقبته (وخاصة فى المرحلة الأُولى من البحث) وهو الطريق الواقع جنوب مكة والمتجة نحو اليمن .

وقد نجح النبى ﷺ فى التعمية على كفار مكة ، حيث تمكن من قطع مسافة كبيرة خارج مكة دون أن يعرف أحد من أعدائه إلى أين اتجه .

ومع نجاح هذه الخطة فى مرحلتها الأُولى فإن النبى ﷺ قد أدخل فى حسابه إمكان تطور عملية البحث والمطاردة واتساع نطاقها بحيث تشمل المنطقة التى سلكها فى هجرته فتصبح تحت المراقبة .

ولهذا قرر النبى ﷺ صبيحة تلك الليلة التاريخية التوقف (مؤقتاً) عن مواصلة السير حتى يسكن الناس وتهدأ ثائرة زعماء مكة ، واتفق

---

(١) ذكرنا فيما مضى أن قريشا أخرت ميعاد الفتك بالنبى حتى الصباح على أثر صياح المرأة من داخل المنزل عندما رأت كفار مكة يهمون بتسور المنزل .

مع صاحبه الصدِّيق على أن يختفيا فى غار يقع فى جبل جنوب مكة واسمه (ثور) .

المطاردة

أما قريش فقد طار صوابها وأسقط فى أيديها حينما تأكد لديها إفلات الرسول ﷺ من قبضتها ونجاته من شر مؤامرتها .

فقد تجسد أمام زعمائها الخطر الجسيم الذى يتهدد كيانها الوثنى نتيجة إفلات النبى محمد من قبضتها ، فقد كان إصرارها على الفتك بالنبى لا يستهدف قتل شخصه بقدر ما يستهدف قتل دعوته ، ولهذا فهى تعلم أن وصوله إلى يثرب سالماً يعنى أن جبهة مسلحة قوية منظمة ستقف ضدها فى جانب الإسلام بقيادة النبى فى المدينة ، الأمر الذى يعرض تجارتها بين مكة والشام للخطر الشديد ، ويجعل مكة نفسها معرضة لغزو مسلح قد تقوم به المدينة فيعصف بكيان قريش الوثنى .

لذلك سارع زعماء مكة إلى عقد جلسة طارئة مستعجلة لاتخاذ الخطوات الفعالة الحاسمة لمنع الرسول من الوصول إلى يثرب بأية وسيلة ممكنة .

وبسرعة قرر برلمان مكة بالإجماع وضع جميع الطرق النافذة من مكة (من جميع الجهات) تحت المراقبة المسلحة الشديدة (وخاصة الطرق المؤدية إلى المدينة رأساً) لمنع الرسول وصاحبه من الهجرة واعتقالهما .

مائة ناقة مكافاة

كما وافق برلمان مكة على إعطاء مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة لمن يلقى القبض على النبى ﷺ ويعيده إلى قريش حياً أو ميتاً .

وقد أعلنت مكة ذلك على الجمهور ، وهنا تجندت مكة بأكملها للبحث عن النبى ﷺ وصاحبه ، فانتشر فرسانها ومشاتها وقصّاصوا الأثر فى الشعاب والوهاد والجبال والوديان يفتشون عن النبى ﷺ ، رضى الله عنه ، وكان التفتيش دقيقاً للغاية .

يفتشون بيت الصديق

وكان أبو جهل أشد زعماء مكة هياجاً وأكثرهم امتلاء بالغيظ لنجاة الرسول ﷺ من شر مؤامرتهم الخبيثة ، فقد ذهب هذا الحاقد (فى نفر من زعماء مكة) إلى بيت أبى بكر الصديق لتفتيشه بحثاً عن الرسول ﷺ ، ولما وقفوا على الباب خرجت إليهم أسماء بنت أبى بكر الصديق ، فقالوا لها :

أين أبوك يا ابنة أبى بكر ؟ فقالت لهم ... لا أدرى .

وهنا رفع أبو جهل المجرم يده وكان (كما قال ابن إسحاق) فاحشاً خبيثاً ، فلطم خدّها حتى سقط منه قرطها من شدة اللطمة .

المطاردون على باب الغار

واستمر التفتيش عن النبى ﷺ وصاحبه الصديق ثلاثة أيام متوالية ، ولكن دونما جدوى ، إذ لم يعثروا له على أى أثر ، فقد ظل ﷺ طيلة هذه الأيام الثلاث مختفياً مع صاحبه فى الغار الذى لم تسلم منطقته من تفتيش قريش الدقيق ، فقد وصل المطاردون فى بحثهم إلى باب الغار الذى يمكن فيه محمد ﷺ وصاحبه وكادوا يكتشفونهما لولا عناية الله سبحانه وتعالى .

فهناك (وعلى مقربة من الغار) سأل كفار مكة أحد الرعاة فيما إذا كان رأى محمداً ﷺ وصاحبه ، فكان جوابه إنه لم ير أحداً ، ولكنه من المحتمل أن يكونا فى هذا الغار وأشار إلى غار ثور .

وهنا توقفت نبضات التاريخ ، ووقفت الإنسانية المعذبة على مفترق الطرق ، فإما إلى الارتكاس فى حمأة البغى والظلم والفساد من جديد ، وإما إلى التخلص من ذلك وفتح صفحة جديدة مشرقة على يد الرجل الذى يكمن فى الغار وجاءت قريش تطلب رأسه .

إن الله معنا

ففى تلك اللحظات التى تقرر فيها مصير العالم بأجمعه ، تسلق بعض المطاردين القرشيين الصخور ناحية الغار على أثر سماع ما قاله الراعى ، ليقوموا بتفتيش هذا الغار بحثاً عن النبى وصاحبه ، وكان أبو بكر الصديق (الذى قد سمع حديث الراعى وشعر باقتراب فتيان قريش من الغار) يتصبب عرقاً من الخوف ، واقترب من الرسول الأعظم ﷺ ليقول له هامساً (فى خوف وفزع) : « لو نظر أحدهم إلى تحت قدميه لأبصرنا » ، ولكن الرسول الأعظم أجاب الصديق فى طمأنينة النبى الواثق من صدق وعد ربه قائلاً : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟؟

وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه .. فقد رجع القرشيون الذين تسلقوا الصخور دون أن يدخلوا الغار ، بعد أن وقفوا على بابه ، ولم يبق بينهم وبين الوصول إلى النبى إلا عدة خطوات قليلة .

ولما رجعوا هكذا سألهم أصحابهم لماذا لم ينظروا فى الغار وقد وصلوا إلى مدخله ؟؟ فكان جوابهم :

إن على بابه العنكبوت قبل أن يولد محمد ، وقد رأينا حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفنا أن ليس به أحد .

فاقتنع قادة المطاردين بخلو الغار من النبي وصاحبه ، فعادوا أدراجهم إلى مكة وقد ملوا من البحث ويئسوا من العثور على النبي ﷺ وصاحبه .

وهنا تنفست الإنسانية المبهورة الصعداء من جديد ، وكتب الله لما أن تسعد فترة من الزمن على يد الذى كان مختفياً فى الغار مع صاحبه والذى نجّاه الله من شر أعدائه .

أيام الغار الثلاث

وكان النبي ﷺ طيلة اختفائه وصاحبه فى الغار لا يعلم بهما أحد سوى عبد الله بن أبى بكر[1] وعامر بن فهيرة مولى[2] أبى بكر رضى الله عنه .

وكان النبي (ضمن الخطة المرسومة للهجرة) قد كلّف عبد الله ابن أبى بكر أن يقوم بأعمال الاستخبارات ، فيكون عيناً على قريش ،

---

(١) هاجر عبد الله هذا بعد أبيه بعيال أبى بكر جميعاً ، فى صحبة طلحة بن عبيد الله ، وكان عند الهجرة شاباً صغيراً ، ولم يذكر المؤرخون أنه شهد شيئاً من المعارك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى فتح مكة وحنين وحصار الطائف ، وقد أصيب بسهم فمات منه بعد مدة طويلة فى خلافة أبيه ، وبعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين يوماً :

(٢) كان عامر بن فهيرة من السابقين الأولين فى الإسلام ، وكان ممن نالهم التعذيب الشديد على أيدى زبانية قريش ، وكان عامر مولى للازد فاشتراه أبو بكر من الطفيل ابن عبد الله بن سخبرة ثم أعتقه ، لم أطلع على تاريخ وفاته :

فيسمع مايقولون ، ويراقب مايفعلون طيلة الأيام الثلاث ، ثم ينقل كل ذلك إلى النبى وصاحبه فى الغار .

فكان يقضى سحابة نهاره مع المشركين فى مكة يراقب ما يقولون ويفعلون ، فإذا حلّ المساءُ ذهب إلى الغار ليبلغ الرسول وصاحبه كل ما سمع ورأى بشأنهما .

أما عامر بن فهيرة (مولى الصدّيق) فقد أوكلت إليه مهمة تموين النبى وصاحبه (طيلة اختفائهما فى الغار) بالإضافة إلى القيام بأعمال تضييع معالم آثار أقدام عبد الله بن أبى بكر الذى يذهب إلى الغار ويعود منه يومياً .

فقد كان عامر بن فهيرة (حسب الخطة المرسومة) يقضى سحابة نهاره يرعى الغنم مع رعيان مكة ، فإذا أمسى راح على رسول الله ﷺ وصاحبه فى الغار ، فيحلبان ويذبحان ، وفى الوقت نفسه يتبع أثر عبد الله بن أبى بكر عند ذهابه إلى الغار فيُعفِّى عليه بآثار الغنم ، وكذلك يفْعل عندما يعود عبد الله من الغار إلى مكة ، وذلك لئلا تكتشف قريش أثر عبد الله فتستدل به على وجود النبى وصاحبه فى الغار ، أما آثار الغنم وراعيها فلا يلفت النظر فى تلك المنطقة ، لأنه أمر عادى.

النبى يستأنف سيره إلى يثرب

وهكذا ، وبعد أن استمرت المطاردة الحثيثة ثلاثة أيام دونما جدوى ، يئست قريش من العثور على الرسول ﷺ وصاحبه ، فهدأت ثائرتها ، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش نهائياً .

وإذ ذاك غادر الرسول ﷺ وصاحبه الغار ، واستأنفا سيرهما

إلى المدينة ، فقد قدمت لهما راحلتاهما ، فامتطى كل منهما بعيره ثم ارتحلا يقدمهما دليلهما المشرك عبد الله بن أريقط [1] ، ومعهما مولى أبى بكر الصديق عامر بن فهيرة . وقبل الرحيل حضرت إليهما أسماء بنت أبى بكر الصديق [2] لزاد أعدته لهذه الرحلة الطويلة الخطيرة .

ذات النطاقين

وعندما أرادت أسماءُ أن تعلِّق الزاد بشداد الجمل لم تجد حبلاً تعلِّقة به ، فشقَّت نطاقها (وهو ما تشد به المرأة وسطها) إثنين فانتطقت بأحد الشقين وعلَّقت الزاد بالشق الآخر ، ولذلك سمِّيت أسماءُ رضى الله عنها فيما بعد بذات النطاقين .

قال ابن إسحاق : فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر ، ذات

---

(١) عبد الله بن أريقط ، ويقال (ابن الأرقط) قال ابن حجر فى الإصابة ولم أر من ذكره فى الصحابة إلا الذهبى فى التجريد ، وقد جزم عبد الغنى المقدسى فى السيرة بأنه لم يعرف له أسلاماً وتبعه النووى فى التهذيب .

(٢) أسماء بنت أبى بكر من أجل نساء المسلمين وأرفعهن شأناً وأرجحهن عقلا: كانت من السابقين الأولين فى الإسلام ، أسلمت بعد سبعة عشر نفراً ، تزوجها الزبير ابن العوام قبل الهجرة بمكة ، فهاجرت وهى حامل منه بولده عبد الله الفارس المشهور الذى ولدته فى المدينة عقيب وصولها المدينة ، وقد عاشت إلى أيام تولى ابنها الخلافة ، ثم توفاها الله بعد استشهاد ابنها عبد الله بقليل ، كانت رضى الله عنها قوية القلب ثابتة الجنان تتمتع بأنفة إسلامية رائعة ، دخلت مرة على الحجاج بن يوسف وكان هو الذى صلب ابنها عبد الله بالحجون من مكة ، فسمعها تقول عندما وقفت عند الخشبة التى صلب عليها ابنها (أما آن لهذا الفارس ان يترجل ؟؟) تعنى ابنها عبد الله المصلوب ، فقال لها الحجاج : المنافق (يعنى ابنها عبد الله) فقالت .. لا والله ما كان منافقاً وقد كان صواماً قواماً ، قال اذهبى فإنك عجوز قد خرفت ... قالت .. لا والله ماخرفت ، ثم قالت له أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج فى ثقيف ومبير .. أما الكذاب فقد رأيناه (تعنى المختار بن أبى عبيد) وأما المبير فأنت هو . بلغت أسماء مائة سنة ، لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل :

النطاقين لذلك .. وقال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول (أى لأسماء) ذات النطاقين ، وتفسيره .. أنها لما أرادت أن تعلّق السُّفرة شقّت نطاقها باثنين ، فعلّقت السُّفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر ..

الطريق إلى المدينة

وزيادة فى الحذر وإمعانا فى التعمية على قريش سلك الدليل بالرسول ﷺ طريقاً مهجوراً لم يألفه الناس ، كما أمعن فى اتجاه الجنوب نحو اليمن ، زيادة فى التعمية على العدو ، وحتى إذا ما ابتعد عن منطقة مكة اتجه غرباً نحو الساحل ، ولما وصل الرسول وصاحبه إلى مكان فى غير الطريق الذى ألف الناس ، اتجه بهما دليلهما شمالاً على مقربة من شاطئ البحر ، متخذاً من السبل ما لم يطرقه أحد إلا نادراً ، وكان هذا دأبه حتى وصل النبى ﷺ قرية قباء من ضواحى المدينة .

الفارس المطارد سراقة بن مالك

وبالرغم من اجتياز النبى ﷺ وصاحبه منطقة الخطر الكبير ، إلا أنهما ظلا متيقظين للطوارئ ، طيلة سيرهما ، لاسيما وأن مكة قد جعلت مكافأة ضخمة (مائة ناقة) لمن يأتى إليها بالنبى حياً أو ميتاً الأمر الذى قد يحمل بعض الفتيان من فرسان مكة على تعقبهما بغية الظفر بهما لينال هذه المكافأة الكبيرة .

وفعلاً كان الأمر كذلك ، ذلك أنه بينما كان سراقة بن مالك

ابن جعشم [1] جالساً فى نادى قومه بمكة - وقد سكن الناس وتوقف البحث عن النبى ﷺ - إذ وقف رجل على القوم فى ناديهم وقال :

والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفاً ؛ إنى لأراهم محمداً وأصحابه .

وهنا أشار سراقة بعينه إلى الرجل أن اسكت ، ثم قال سراقة - ليضلل الحاضرين ويفوز هو بالمكافأة الضخمة - إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم ، وبعد أن تغيّر الحديث فى النادى انسحب سراقة ابن مالك ، وذهب إلى بيته فى الحال فأمر بفرسه فأُسرج له ، ثم أمر أحد مواليه بأن يربطه له فى الوادى فى مكان عيَّنه له ، ثم أخذ سلاحه وخرج من باب خلفى فى بيته لئلا يراه أحد ، ثم امتطى صهوة جواده وأركضه فى اتجاه المكان الذى ذكر الرجل أنه رأى فيه النبى ليعتقل النبى أو يقتله ، ليفوز بالجائزة من قريش وحده .

أراد قتله فأخذ منه الأمان

ولم يخب ظن سراقة ، فقد أدرك النبى ﷺ وصاحبه حوالى المنطقة التى أشار إليها الرجل الذى أخبر خبرهما ، وعندما أبصر سراقة النبى ﷺ وصاحبه ، سال لعابه للمكافأة الضخمة التى تعهّدت قريش بإعطائها لمن أعاد إليها محمداً ﷺ حياً أو ميتاً ، وهنا استعد سراقة للحظة الحاسمة ، فإذا وجد النبى ﷺ منه قيد البصر دفع جواده نحوه ليعتقله أو يقتله ، ولكن الجواد (وعلى مقربة من الرسول وصاحبه) كبا براكبه كبوة عنيفة تدحرج لها الفارس من على ظهره ، وهنا أدخل

---

(١) هو سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى ، أسلم عام الفتح ، وهو من سادات كنانة ، مات رضى الله عنه فى خلافة عثمان سنة أربع وعشرين هـ

فى روع سراقة أنه لن يقدر على النبي ﷺ بأى حال من الأحوال ، فعدل عن خطته .

ولنترك هذا الفارس القرشى المطارد يحكى لنا قصته العجيبة ، فقد روى عنه ابن إسحاق أن فرسه قد كبا به (قبل الكبوة العنيفة الأخيرة) مرتين ولكنه واصل المطاردة ولم يتوقف عنها إلا بعد الكبوة الثالثة العنيفة التى تدحرج لها من على ظهر فرسه .

قال سراقة (يصف تلك اللحظة الحاسمة) : فركبت فى أثره (أى النبي ﷺ) فلما بدا لى القوم ورأيتهم عثر بى فرسى ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعها دخان كالإعصار ، قال فعرفت حيث رأيت ذلك أنه قدمنع منى ، وأنه ظاهر (أى منتصر) ، قال : فناديت القوم ، فقلت.. أنا سراقة بن جعشم ، أنظرونى أكلمكم ، فو الله لا أريبكم ، ولا يأتيكم منى شيء تكرهونه ، قال .. فقال .. رسول الله ﷺ لأبى بكر .. قل له .. وما يبتغى منا ؟ قال .. فقال ذلك أبو بكر ، قال سراقة .. قلت تكتب لى كتاباً يكون آية بينى وبينك قال .. أكتب له يا أبا بكر .

قال سراقة : فكتب لى كتاباً فى عظم ، أو فى رقعة ، أو فى خزفة ، ثم ألقاه إلىّ ، فجعلته فى كنانتى ، ثم رجعت ، فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان » .

كيف دخل الرسول المدينة

وهكذا اجتاز الرسول ﷺ وصاحبه منطقة الخطر نهائياً ، إذ لم يتعرضا (بعد حادثة سراقة) لأية مراقبة أو مطاردة .

فبعد رحلة مضنية محاطة بالأخطار استغرقت أكثر من أحد عشر يوماً ، تشرّفت يثرب بطلعته الشريفة وعم المسلمين فى المدينة الفرح والسرور بقدوم الرسول ﷺ .

وكان أهل المدينة قد ترامى إليهم خبر هجرته مع صاحبه الصديق إلى يثرب ، قبل أن يصلا إليها ، ولذلك كان المسلمون فيها و (خاصة الذين لم يسبق لهم رؤية طلعتة الكريمة) يتلهفون شوقاً لرؤيته ﷺ ، ولهذا فقد كانوا (منذ ترامى إليهم نبأ هجرته) يخرجون كل يوم بعد صلاة الصبح إلى ظاهر المدينة يتلمسون النبى ﷺ حتى تغلبهم الشمس فيعودوا إلى بيوتهم .

وبينما هم على هذه الحال من التلهف والشوق ، إذ صاح يهودى (وكان أول من رأى النبى وصاحبه قادمين) صاح منبها الأنصار إلى قدوم الرسول ﷺ - : يابنى قيلة (يعنى الأنصار) هذا صاحبكم قد جاء[1] .

اليوم التاريخى فى المدينة

وهنا زحفت المدينة كلها لاستقبال رسول الإنسانية ومنقذ البشرية محمد بن عبد الله ﷺ ، فكان يوماً تاريخياً أغرّاً لم تشهد المدينة مثله فى تاريخها .

وكانت قباء (وهى من ضواحى المدينة) أول منزل نزله رسول الله ﷺ وهى منازل بنى عمرو بن عوف من الأنصار ، وقد مكث النبى ﷺ بينهم أربعة أيام ، دخل بعدها إلى قلب المدينة المنورة .

أول مسجد فى المدينة

وفى تلك الأيام القلائل التى أقامها النبى فى قباء ، أسس ﷺ ،

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٩٢ ، وفيها جدكم بدل صاحبكم .

مسجد قباء المشهور ، وهو المسجد الذى أشار القرآن الكريم بأنه أسس على التقوى .

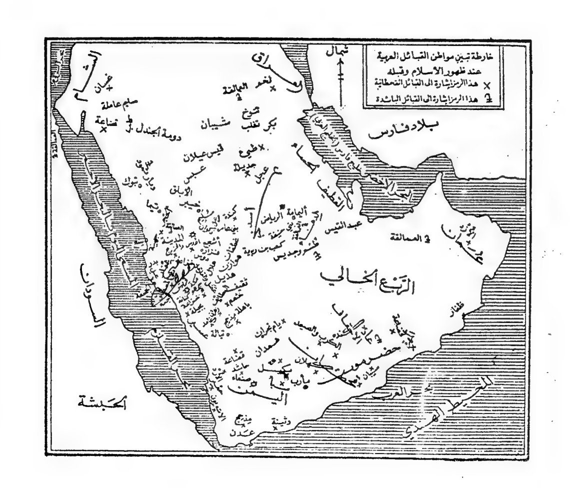
النبي فى المدينة

وبعد تلك الأيام الأربع التى قضاها الرسول فى قباء ، توجه ﷺ ، إلى قلب مدينة يثرب ، التى أصبحت (بمجرد وصول الرسول إليها) عاصمة الإسلام .

وأثناء سير النبي ﷺ نحو قلب العاصمة وقف زعماء القبائل اليثربية وعرض كل واحد منهم على النبي ﷺ أن يقيم عنده فى العدد والعدة والمنعة ، فاعتذر للجميع وامتطى ناقته وألقى لها خطامها ، فانطلقت فى طرق يثرب والمسلمون من حولها فى حفل حافل يخلون لها طريقها ، وسائر أهل يثرب من اليهود والمشركين ينظرون إلى هذه الحياة الجديدة التى دبت إلى مدينتهم ، وإلى هذا القادم العظيم الذى اجتمع عليه من الأوس والخزرج من كانوا من قبل أعداء متقاتلين ، ولا يجول بخاطر أحدهم ، فى هذه البرهة التى اعتدل فيها ميزان التاريخ إلى وجهته الجديدة ، ما أعدّ القدر لمدينتهم من جلال وعظمة ، يبقيان على الزمن ما بقى الزمن .

وجعلت الناقة تسير حتى كانت عند مربد لغلامين يتيمين من بنى النجار ، هنالك بركت ، ونزل الرسول ﷺ عنها ، وسأل : لمن المربد فأجابه معاذ بن عفراء .. إنه لسهل وسهيل ابنى عمرو ، وهما يتيمان له ، وسيرضيهما ، ورجا محمداً ﷺ أن يتخذه مسجداً ، وقبل النبي ﷺ وأمر أن يبنى فى هذا المكان مسجده وأن تبنى داره [1]

(١) حياة محمد ص ٢١٨



خارطة تبين مواطن القبائل العربية
عند ظهور الاسلام وقبله
× هذا الرمز إشارة الى القبائل القحطانية
هذا الرمز إشارة الى القبائل البائدة
شمال
الشام
العراق
بلاد فارس
غسان
سليم عاملة
قضاعة
دومة الجندل
لخم
العمالقة
تنوخ
بكر تغلب
شيبان
طيء
قيس عيلان
عبس
جديلة
عجل
الإباق
خيبر
تيما
تبوك
الحساء
القطيف
عبد القيس
العمالقة
اليمامة
الرياض
طسم وجديس
هوازن
هذيل
ثقيف
خثعم
باهلة
مذحج
الربع الخالي
عمان
ظفار
نجران
همدان
حضرموت
كهلان
مأرب
صنعاء
اليمن
دثينة
مذحج
عدن
بحر العرب
المحيط الهندي
السودان
الحبشة

الفصل الثالث

* اليوم التاريخى فى حياة المدينة .
* النبى فى المدينة .
* البدء فى بناء المجتمع الجديد .
* الأنصار فى الميزان العسكرى .
* غير المسلمين فى يثرب بعد الهجرة .
* متاعب العهد الجديد .

وهكذا نجحت الهجرة ، ووصل النبى ﷺ إلى معقل أنصاره (المدينة) التى سبقه إليها (بأمر منه) أكثر المهاجرين فصارت داراً آمنة للإسلام ، ومعسكراً قوياً للتوحيد تحسب له قريش (الخصم الألد للإسلام) ألف حساب ، وصارت (منه) تنام على خوف وتصبح على فزع .

المجتمع الجديد

وكانت أول مسألة اهتم لها النبى ﷺ بمجرد وصوله إلى يثرب ، هى التفكير فى بناء المجتمع الجديد ليقوم كما أراد الله له أن يقوم .

وكانت هناك مشاكل لابد للنبى من التغلب عليها ليسهل عليه وضع الأسس القوية للمجتمع الجديد ، وأهم هذه المشكلات :

١ ـ التنافر المستحكم والعداء المزمن بين عشائر يثرب من الأوس

والخزرج والذى كانت تصاحبه (دائماً) تلك الحروب الأهلية الشهيرة المدمرة بين القبيلتين .

٢ ـ مشكلة اللاجئين من المهاجرين المكيين الذين تركوا كل ما يملكون من مال وعقار فى مكة وجاءوا إلى المدينة فراراً بدينهم . وهم فقراء لا يملكون من المال شيئاً ، وعددهم غير قليل .

٣ ـ العناصر اليهودية الموجودة فى المنطقة ، والتى كان لها وزنها السياسى والعسكرى والاقتصادى فى المجتمع اليثربى ، والتى لابد من تجنب شرها وكسب صداقتها لمواجهة ما يتوقعه المسلمون من عدوان عليهم يقوم به القرشيون .

بناء المسجد النبوى

وكان أول خطوات البناء للمجتمع الإسلامى الجديد هو إقامة المسجد النبوى لتظهر فيه شعائر الدين الجديد ، وليكون جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته ، ومنتدى تلتقى وتتآلف فيه العناصر القبلية المختلفة التى نافرت وباعدت بينها النزعات الجاهلية التى كانت النظام الموجه لهذه القبائل .

ففى المكان الذى بركت فيه ناقة الرسول ﷺ فور قدومه من مكة أمر بإقامة هذا المسجد ، فسارع المسلمون إلى جمع المواد التى يتطلبها بناؤه ، فأخذوا فى قطع جذوع النخل ، وشرعوا فى صنع اللبن ، ثم شرعوا فى بناء المسجد الذى كانت مساحته مائة ذراع فى مثلها تقريباً .

وقد ساهم النبى ﷺ فى بناء المسجد بنفسه مع أصحابه ، فحمل التراب واللبن على كاهله الشريف مثلما حملوا .

وقد ضاعف من نشاط الصحابة فى البناء أن رأوا محمداً النبى ، يرفض الامتياز عليهم ، فيحمل التراب والمواد الأُخرى على ظهره مثلهم ، حتى أن أحدهم قال ينشّط أخوانه :

لئن قعدنا والرسول ﷺ يعمل لذاك منا العمل المضلّل

وقد تم بناء المسجد النبوى على غاية من البساطة ، إذ أقيمت حيطانه من اللبن والطين ، أما سقفه فقد جعل من سعف النخل الذى طالما تخللته مياه الأمطار إلى الداخل ، أما أرض المسجد فقد فرشت من الرمال والحصباء ، وكانت الأعمدة التى يقوم عليها السقف من جذوع النخيل .

أول خطبة للرسول بالمدينة

وبعد أن تم بناءُ هذا المسجد ذى البناء المتواضع والذى كان أول معهد مثالى فى الدنيا تربى فيه (كما قال الأُستاذ الغزالى) ملائكة البشر ومؤدّبوا الجبابرة وملوك الدار الآخرة ، ألقى فيه النبى ﷺ أول خطبة على المسلمين قال فيها (كما رواه البيهقى عن عبد الرحمن بن عوف) :

« أما بعد أيها الناس فقدّموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه — ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه — : ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وآتيتك مالاً وأفضلت عليك ؟ فما قدّمت لنفسك ؟ فينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر قدّامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى نفسه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة والسلام عليكم ، وعلى رسول الله » .

وبعد أن أقام النبي ﷺ للمسلمين (ببناء المسجد) مركز التجمع والتهذيب والتعارف والتآلف والارتباط ، (عن طريق الصلوات) برب العالمين دونما وسيط أو شفيع ، شرع ﷺ بحكمته الفذة وسياسته الصائبة الحكيمة فى محو مخلفات الجاهلية ومترسبات العصبية .

فقد كانت يثرب (كما قلنا) نهبا (طيلة مئات السنين) لحروب أهلية قبلية طاحنة أفنت زهرة شبابها ومزقت وحدتها شر ممزق ، مما أعطى اليهود الدخلاء الفرصة للتمركز فى تلك البقعة الطيبة من الجزيرة العربية .

فكان العمل الحاسم الحكيم الذى اجتث به النبي ﷺ جذور البغضاء الجاهلية القديمة والحزازات العنصرية المزمنة المستحكمة بين قبيلتى الأوس والخزرج ، هو أن آخى بين المسلمين جميعاً (المهاجرين والأنصار) فى مؤتمر أقامه لهم فى المدينة ، آخى فيه بينهم ، اثنين اثنين .

قال ابن إسحاق : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال – فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل – تآخوا فى الله أخوين أخوين [1] . فتآخوا جميعاً .

وقد كانت رابطة هذا التآخى أقوى وأكثر فعالية ، فى إقامة الوحدة السياسية والنظامية والمصيرية بين عناصر المجتمع الجديد من رابطة التحالف التى عهدها العرب .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٠٥ .

ولقد اغتبط الأنصار – وخاصة زعماءهم – بهذا التآخى الذى رأوا فيه أملهم المنشود يتحقق ، وهو السلام والأمن والاستقرار الذى حرمت منه يثرب مئات السنين ، نتيجة الحروب الأهلية المدمرة التى كانت تصطلى بنارها عشيرتا الأوس والخزرج اللتين هما قبيلة واحدة [1] .

كما أن المهاجرين قد وجدوا (نتيجة هذا التاخى) فى كنف إخوانهم الأنصار ، من العون والمساعدة ما خفف عليهم من وطأة الفقر الشديد الذى منوا به نتيجة هجرتهم من وطنهم الأصلى مكة ، وتركهم فيها كل أموالهم التى صادرها مشركو قريش .

يعرض عليه نصف ماله

فقد قابل الأنصار إخوانهم من المهاجرين بكل حفاوة وتكريم ، وبذلوا لهم (وخاصة بعد المؤاخاة) من العون والمساعدة ما بلغ بها البعض من الأنصار إلى أن عرضوا على إخوانهم من المهاجرين أن يقتسموا وإياهم كل ما يملكون مناصفة .

ولكن المهاجرين – أمام هذا الكرم العظيم الذى فاضت به تلك الأنفس الزكية الطيبة – لم يسعهم إلا أن يقدّروا هذا البذل والكرم حق قدره ، فيقابلونه بكرم مثله ، حيث لم يستغلوا كرم إخوانهم الأنصار الفيّاض ولم ينالوا منه إلا بقدر ما يقيم أودهم ، ويعينهم على الوصول إلى العمل الشريف من تجارة أو زراعة أو ما شابه هذا من الأعمال الحرة التى يجنى منها النشط الصبور ، الكسب الحلال .

---

(١) انظر ترجمة قبيلتى الأوس والخزرج فى كتابنا (غزوة أحد) :

روى البخارى أن سعد بن الربيع [1] عرض على عبد الرحمن ابن عوف [2] أن يأخذ نصف ماله (وكانا قد آخى بينهما الرسول ﷺ فقد قال سعد لعبد الرحمن .. إنى أكثر الأنصار مالاً ، فاقسم مالى نصفين ، ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك ، فسمها لى أطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها ، قال عبد الرحمن .. بارك الله لك فى أهلك ومالك ، أين سوقكم ؟؟ فدلوه على سوق بنى قينقاع ، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن .... ثم تابع الغدو .. ثم جاء يوماً ، وبه أثر صفرة ، فقال النبى مهيم (سؤال عن حاله) قال: تزوجت ، قال كم سقت إليها ؟ قال نواة من ذهب .

أهم دعائم المجتمع الجديد

وهكذا نجح الرسول ﷺ فى إقامة المجتمع الإسلامى الجديد على دعائم قوية راسخة ، أهمها الوحدة الصحيحة التى أقامها بين قبيلتى الأوس والخزرج ، والتى لم تشهد يثرب مثلها فى تاريخها .. وحدة استل بها النبى ﷺ من النفوس جميع ما خلفه ماضى الجاهلية من حزازات النعرة وسخائم العصبية .

وقد استفادت الدعوة الإسلامية من هذه الوحدة التى أقامها الرسول بين قبائل الأوس والخزرج استفادة كبرى ، وخاصة فى المجال العسكرى .

الأنصار فى الميزان الحربى

فقد كانت القبائل القحطانية من الأوس والخزرج تتمتع بطاقات

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

(٢) ستأتى ترجمته فى هذا الكتاب .

حربية كبيرة ، لها وزنها فى الجزيرة العربية ، ولكن هذه الطاقات كانت تستنفد (قبل شروق أنوار الطلعة المحمدية على يثرب) فى الحروب الأهلية الجاهلية التى كان اليهود فى المدينة يستغلونها لتدعيم سيطرتهم (وخاصة الاقتصادية) فى المنطقة فيذكون لهيبها بأساليبهم الخاصة المعروفة عنهم .

ولكن الإسلام لما جاء ووحّد هذه القبائل فى ظل عقيدة واحدة ، استفاد من طاقات هذه القبائل الحربية ووجّهها وجهة صالحة بناءة ، حيث كانت هذه القبائل (أيام الرسول) هى القوة الحربية الرئيسية الأولى التى اعتمد عليها الإسلام فى نشر التوحيد وإحلال السلام والعدل والاستقرار فى أرجاء الجزيرة العربية ، وخاصة فى معاركه الحاسمة مع أعدائه الرئيسيين كفار قريش .

غير المسلمين فى يثرب

وبعد أن وثق النبى ﷺ من رسوخ قواعد المجتمع الإسلامى الجديد بإقامة الوحدة العقائدية والسياسية والنظامية فى المدينة بين المسلمين ، شرع فى تنظيم علاقاته بغير المسلمين من اليهود المقيمين فى المدينة .

لم يكن النبى ﷺ طالب ملك أو باحث عن جاه أو ساع وراء مال (وهى الأمور التى تدفع بطالبها فى طريق التسلط والتعسف والعدوان) وإنما كان « ﷺ » نبياً مرسلاً همه توفير السعادة والخير للبشرية جمعاء .

ولذلك اتجه فى محادثاته مع اليهود اتجاهاً كله سماحة وتسامحاً ،

فلم يشأ (وقد أصبح زعيم أقوى قوة حربية فى يثرب) أن يصادر حريتهم فى دينهم أو مالهم ، بل ترك لهم مطلق الحرية فى كل ذلك ، ولم يلجأ إلى إبعادهم عن المدينة لاختلافهم معه فى الدين ، بل قبل وجودهم كأمة من أهل الكتاب ، لهم دينهم وللمسلمين دينهم.

بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك حيث عقد مع هؤلاء اليهود معاهدة تضمنت التعايش السلمى وحسن الجوار بين المسلمين واليهود ، بالإضافة إلى تضمنها الدفاع المشترك عن يثرب ، وقد ضمن النبى ﷺ فى هذه المعاهدة لليهود حرية الرأى وحرية العقيدة ، والتصرف المطلق فيما يملكون من أموال [1]

تكامل المجتمع الإسلامى

وأثناء قيام النبى ﷺ بهذه الإنجازات السياسية والاجتماعية ، كانت يثرب كلها تتفاعل بالإسلام فيدخل أهلها فى دين الله أفواجاً طوعاً واختياراً .

فقد كانت تعاليم الرسول وتصرفاته الحكيمة ومعاملاته الشريفة لكل الناس تترك فى النفوس أعمق الأثر ، مما جعل سكان يثرب كلها (وفى ظرف أشهر قليلة) يعتنقون الإسلام ويدينون بالتوحيد . (عدا اليهود) .

وحتى الكارهين للنبى ودعوته (من غير اليهود) اضطروا إلى إعلان إسلامهم ، مع انطوائهم على البغض والعداء لهذا الدين وحامل رسالته .

وهؤلاء هم المنافقون من أهل المدينة الذين شرقوا بالإسلام ، ولكنهم

(١) انظر أهم بنود هذه المعاهدة فى كتابنا (غزوة أحد) الفصل الأول :

(لقلّتهم) لم يقدروا على الوقوف أمام تياره القوى الدفاق ، فاضطروا إلى الاندماج فى السواد الأعظم من المسلمين .

وهكذا ، بعد مضى ما يقرب من ستة أشهر على الهجرة النبوية أصبحت المدينة عاصمة حقيقية للإسلام ، فصارت الكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للمسلمين ، وهذا الذى كانت تخشى قريش أن يحدث فحاولت بكل قواها – منع الرسول من الهجرة إلى المدينة .

التشريعات للمجتمع

وبدأت تشريعات النظام الجديد تنزل من السماء ، فقد فرضت الزكاة (وهى أهم النظم الاجتماعية فى الإسلام) كما شرع (قبلها) الإذن بحمل السلاح ضد أعداء الإسلام ، وكان القتال قبل الهجرة غير مأذون به للمسلمين .

وكذلك شرع النداء للاجتماع للصلاة ، وهو الأذان ، كما نزل القرآن بتشريعات أخرى نظَّم وهذب بها المجتمع الجديد ، ليس هذا محل شرحها .

متاعب العهد الجديد

لم يظهر اليهود للنبى ﷺ عند قدومه يثرب ، أية مقاومة أو خصومة ، بالرغم من تخوفهم من وصوله ، على نفوذهم الاقتصادى وسيطرتهم السياسية ونفوذهم الروحى .

كما أنه ﷺ سارع إلى تطمينهم على عقائدهم وأرواحهم وأموالهم ، فعقد معهم تلك المعاهدة التى كان القصد منها إحلال السلام ،

بتوفير الأمن والطمأنينة لجميع سكان المنطقة على اختلاف عناصرهم ومعتقداتهم وقد وقع اليهود هذه المعاهدة والتزموا تنفيذ نصوصها كما التزم المسلمون .

وقد كان بوسع اليهود أن يعيشوا سعداء فى ظل العهد الإسلامى الجديد ، آمنين على عقائدهم وأرواحهم وأموالهم . وكان هذا خيراً لهم لو فعلوه .

ولكن طبيعة الدس والتآمر المتأصلة فى نفوسهم ، والتى صارت جزءاً من كيانهم (طيلة عهودهم) . لم تتركهم يفعلون ذلك ، بل دفعت بهم إلى ما ألفوه من إثارة القلاقل وخلق المشاكل وبعث الفتن .

لقد تمسك المسلمون بنصوص المعاهدة المعقودة بينهم وبين اليهود ، وكان حسن النية والرغبة الأكيدة فى التعايش معهم بسلام ظاهرة بجلاء فى تصرفات المسلمين .

ولكن التحرش والشغب والإعنات جاء من جانب اليهود أنفسهم .. فقد هالهم وأقضّ مضاجعهم أن رأوا سلطان الإسلام ينشرظله على يثرب فى سرعة مذهلة لم يكونوا يتوقعونها .

وزادهم غماً وشحن نفوسهم بالحسد للرسول ﷺ أن تأكد لديهم أن محمد بن عبد الله القرشى الوافد إلى يثرب هو النبى الموعود ذاته كما يجدون ذلك مكتوباً عندهم فى كتبهم .. وبدلاً من أن يسارعوا إلى الإيمان به ويغتبطوا بظهور رسالته ، فاضت نفوسهم بالحسد وأترعت قلوبهم بالبغض له .

فهذان حبران من أحبارهم قد أثقل قلوبهما الهم وأمرض نفوسهما

الغم نتيجة تأكدهما ، من نبوة محمد ﷺ وهما حيي بن أخطب والد أم المؤمنين صفية رضى الله عنها (١) وأخوه ياسر .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم قال .. حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت .. كنت أحب ولد أبي إليه ، وإلى عمي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا

---

(١) هي أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب بن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب ، من بني النضير ، وهم من سبط لاوى بن يعقوب ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليه السلام ، كانت تحت سلام بن مشكم ، (أحد زعماء اليهود) ثم تزوجها كنانة بن أبي الحقيق ، أحد قادة اليهود في خيبر ، وقد قتل هذا في معركة خيبر ، فوقعت زوجته صفية هذه سبية في يد أحد جنود الإسلام ، فاستعادها النبي صلى الله عليه وسلم ثم أعتقها فتزوجها كما في صحيح البخاري ومسلم .. وكان أحد جنود الإسلام قد سبى صفية مع ابنة عم لها ، فمر بهما على قتلى اليهود ، فلما رأتهم ابنة عم صفية صكت وجهها وصاحت وحثت التراب على وجهها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذى مر بهما على القتلى (أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما ؟) وذكر ابن حجر في الإصابة أن صفية رضي الله عنها رأت في المنام (قبل معركة خيبر) أن القمر وقع في حجرها فذكرت ذلك لأمها فلطمت وجهها وقالت لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب (تعني النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت أم المؤمنين صفية امرأة عاقلة ، حليمة ، فاضلة ، فقد ذكر ابن عبد البر أن جارية لها أتت أمير المؤمنين عمر فقالت له : ... إن صفية تحب السبت وتصل اليهود ، فبعث إليها عمر . فسألها عن ذلك ، فقالت :. أما السبت فإني لم أحبه منذ أن أبدلني الله به الجمعة ، أما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها ، فلم ينكر عليها عمر صلتها الرحم في اليهود ، ثم قالت لجاريتها ما الذى حملك على هذا ؟؟ فقالت .. الشيطان ، قالت .. اذهبي فأنت حرة :: أخرج أصحاب الحديث لأم المؤمنين صفية عشرة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :. كانت صفية أيام فتنة الدار التي حاصر فيها المشاغبون الخليفة عثمان في داره ، تنقل إليه الطعام والماء سراً .. ومرة ذهبت لترد عن عثمان (بصفتها أم المؤمنين) وكانت راكبة على بغلتها . فلقيها الأشتر النخعي وهو من كبار قادة المشاغبين على عثمان فاعترض أم المؤمنين صفية وضرب وجه البغلة بعنف ، ولم يسمح لها ، فقالت :. ردني لا تفضحني : توفيت صفية سنة خمسين هـ .

أخذاني دونه ، قالت .. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ونزل قباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، غدا عليه أبى حيىّ بن أخطب وعمى ياسر ابن أخطب مغلسين ، قالت .. فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت .. فأتيا كالئين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا ، قالت فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فو الله ما التفت إلى واحد منهما ، مع ما بهما من الغم ، قالت .. وسمعت عمى ياسر يقول لأبى حيي ابن أخطب :

أهو هو ؟؟ (يعنى النبى ﷺ) .

قال ... نعم والله.

قال ... أتعرفه وتثبته ؟؟ . .

قال ... نعم .

قال .. فما فى نفسك منه ؟؟ .

قال ... عداوته والله ما بقيت .

وروى ابن إسحاق كذلك عن عبد الله بن سلام [1] (وكان يهودياً ثم أسلم) قال : جئت رسول الله ﷺ فقلت له :

---

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحارث ، أبو يوسف ، من ذرية يوسف النبى صلى الله عليه وسلم حليف النوافل من الخزرج . الإسرائيلى ، ثم الأنصارى ، كان يهودياً من بنى قينقاع كان عبد الله بن سلام من أحبار اليهود ، وذكر أصحاب السنن أن عبد الله ابن سلام قال . لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كنت ممن انجفل (أى انزعج) فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه صلى الله عليه وسلم ليس بوجه كذاب ، شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بأنه عاشر عشرة فى الجنة ، فقد روى البخارى عن زيد بن عمير قال حضرت الوفاة معاذ بن جبل ، فقيل له .. أوصنا فقال :. التمسوا العلم عند أبى الدرداء وسلمان وابن مسعود وعبد الله بن سلام الذى كان يهودياً فأسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه عاشر فى الجنة :: اعتزل عبد الله بن سلام =

يا رسول الله إن يهود قوم بهت ، وإنى أُحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك ، وتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى ، حتى يخبروك ، كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا إسلامى فإنهم إن علموا به بهتونى وعابونى ، قال.. فأدخلنى رسول الله ﷺ فى بعض بيوته ، ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ثم قال له .. أى رجل الحصين بن سلام فيكم ؟؟ قالوا .. سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا وعالمنا ، قال .. فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم :

يا معشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فو الله إنكم لتعلمون إنه لرسول ، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة باسمه وصفته ، فإنى أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأُصدقه وأعرفه ، فقالوا :

كذبت ثم وقعوا بى ، قال .. فقلت لرسول الله ﷺ ألم أُخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت ، أهل غدر وكذب وفجور ؟؟ .

محاولة الدس والفرقة

ونتيجة لهذا العداء المستحكم والحسد القاتل المتغلغل فى نفوس هؤلاء اليهود ، شرعوا فى محاربة النبى ﷺ ودعوته بمختلف الوسائل.

إلا أن محاربتهم (فى بادئ الأمر) كانت مقتصرة على إقامة العراقيل فى سبيل الدعوة الإسلامية بالإعنات ومحاولة بث الفرقة بين

= الفتنة فلم يكن مع أحد الفريقين (لا فى الجمل ولا فى صفين) ، وقد نقل البغوى فى المعجم بسند جيد أن عبد الله بن سلام نهى أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه عن خروجه إلى العراق ، وقال له الزم منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن تركته لا تراه أبداً ، فقال على بن أبى طالب (فى عبد الله بن سلام) أنه رجل صالح منا ، توفى عبد الله ابن سلام بالمدينة سنة ثلاث وأربعين هـ .

المسلمين لتصديع وحدتهم ، بإثارة النعرات الجاهلية التى قضى الإسلام عليها وأراح يثرب من شرها . وقد شكل اليهود (فى حربهم هذه) مع المنافقين جبهة واحدة للتشويش على المسلمين ومحاولة تشكيك البعض منهم بغية إعادتهم إلى الكفر .

مثال من دسائس اليهود والمنافقين

فمن ذلك أن شاس بن قيس وهو يهودى عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين مر يوماً بنفر من أصحاب رسول الله من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه إخواناً متحابين فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية ، فقال :

قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم (إذا اجتمع ملؤها بها) من قرار ، وهنا (وعلى طريقة اليهود فى الدس والكيد) طلب من أحد الشباب اليهود ، وكان جالساً مع أولئك النفر من المسلمين ، وقال له .. أعهد إلى هؤلاء فأجلس معهم ، ثم أذكر لهم يوم (بعاث) [1] وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار .

وكان يوم بعاث يوماً تاريخياً فى الحروب الأهلية الطاحنة التى كانت تدور (فى الجاهلية) بين الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج .

ففعل الشاب اليهودى ما أمره به زعيمه ، وقد كاد هؤلاء اليهود ينجحون فى مهمتهم الخبيثة ، إذ ما كاد هذا الشاب يذكر يوم بعاث ،

(١) يوم بعاث يوم معركة طاحنة شهيرة دارت بين الأوس والخزرج فى الجاهلية .

حتى أخذ رأس الفتنة يظهر بين الفريقين ، فقد تفاخر القوم وتنازعوا حتى توترت الحالة بينهم إلى درجة أن أحد زعماء الخزرج قال لأحد زعماء الأوس متحدياً .. إن شئتم رددناها جذعة (يعني الاستعداد لإحياء الحرب الأهلية التي كانت بينهم) ، فغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة (والظاهرة الحرة) ثم تنادوا ، السلاح السلاح ، وأخذوا في التسابق للحرب إلى المكان المحدد ، وكادت تنشب الحرب الأهلية بينهم ، وهذا أعز أمنيات اليهود والمنافقين .

إلا أن الأمر بلغ النبي ﷺ قبل أن تنشب الحرب بينهم ، فسارع بالخروج إليهم فيمن معه من المهاجرين . وعمل بسرعة على إخماد نيران هذه الفتنة التي هي من صنع دسائس اليهود .

فبمجرد وصول النبي ﷺ إلى مكان تجمعهم للحرب ، وقف فيهم خطيباً قائلا :

« يا معشر المسلمين . الله الله . أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم » ؟؟ .

وهنا عاد إلى الفريقين (الأوس والخزرج) رشدهم وأدركوا أنها نزعة من الشيطان ودس وكيد من اليهود ، فاسترجعوا وبكوا ، ثم عانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، وعادوا راجعين إلى المدينة مع رسولهم الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إخواناً متحابين ، وبهذا حبطت مساعي اليهود الخبيثة ورد الله كيدهم في نحورهم ، بعد أن كادوا ينجحون في تفتيت وحدة المسلمين الوليدة .

ولم ينقطع اليهود (يساندهم المنافقون) عن التشويش على الدعوة الإسلامية وخلق المتاعب لصاحبها ، فقد ظل كل فريق ، بل كل فرد منهم يعمل فى هذا السبيل التخريبى .

فبينما ظل اليهود فى التشويش على النبى ودعوته ينشرون ظلالاً من الشكوك حولها وحول حاملها بما يثيرونه من جدل عقيم ، وأسئلة متعنتة لا تمتُّ إلى البحث العلمى بشئ ، كان المنافقون الذين يخالطون المسلمين (بحكم تظاهرهم بالإسلام) يثيرون المتاعب للعهد الجديد بإقامة العراقيل ونشر الأرجاف ، وتدبير المؤامرات ، للتفريق بين المسلمين .

وكر الدس والتآمر

حتى إن هؤلاء المنافقين بلغ بهم الحرص على الإطاحة بوحدة المسلمين إلى أن اتخذوا لهم وكراً يجتمعون فيه لتدبير المؤامرات وتنسيق الدسائس للتفريق بين المسلمين .

ولكى يتمكنوا من فعل ذلك بحرية تامة بنوا لهم مسجداً يتظاهرون فيه بأداء الصلوات ، ولما كان لهم حكم المسلمين لاعتناقهم الإسلام ظاهراً ، لم يمنعهم أحد من إقامة هذا المسجد .

إلا أنه لم يمض وقت طويل على بناء هذا المسجد ، حتى تبلغ الرسول ﷺ أن هذا المسجد إنما بناه المنافقون ليتخذوا منه ستاراً لحبك الدسائس ورسم الخطط للإضرار بوحدة الأمة وسلامتها ، وبعد أن تأكد الرسول ﷺ من هذه الحقيقة أمر بهدم هذا المسجد ، الذى لم يكن فى حقيقته إلا وكراً للتآمر ضد الإسلام والمسلمين . وفى المنافقين الذين بنوا هذا المسجد ، أنزل الله تعالى قوله :

﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾[1] .

﴿ لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ﴾ .

طرد المنافقين من المسجد النبوى

غير أن هدم النبي ﷺ لوكر تآمر المنافقين (مسجد الضرار) لم يحل بين هؤلاء المنافقين وبين مواصلة نشاطهم للتشويش على المسلمين والسخرية منهم وإيصال الضرر إلى دعوة الإسلام .

فقد ظلوا على تكتلهم وتحزبهم للعمل ضد العهد الجديد ، وحتى فى المسجد النبوى وقت اجتماعهم للصلاة مع المسلمين كانوا يتكتلون ويجلس بعضهم إلى بعض ، ويباشرون نشاطهم التخريبى ضد عقيدة الإسلام ، محاولين التفريق بين المسلمين . ولما تزايد شرهم ووصل نشاطهم المعادى للنبي ودعوته إلى المسجد النبوى فى أوقات العبادة ، أمر النبي ﷺ بطردهم من المسجد علناً تأديباً لهم وتجنباً لشر دسائسهم ، لأن المسجد كان مجمع الأمة كلها فى أوقات الصلاة ، وهذا مما ييسر لهؤلاء المنافقين بث سمومهم بين البسطاء .

قال ابن إسحاق : وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع يوماً فى المسجد منهم ناس ، فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم ، خافضى أصواتهم

---

(١) التوبة ١٠٧ .

قد لصق بعضهم ببعض . فأمر بهم فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً .

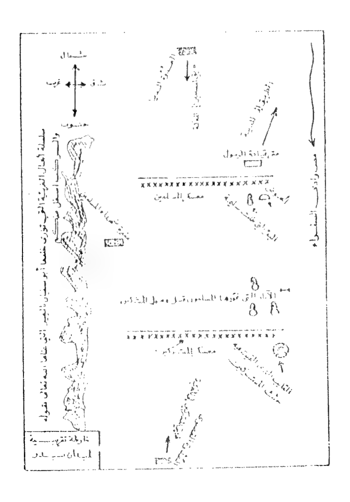
وهكذا صار اليهود والمنافقون يسببون المتاعب ويخلقون المشاكل للنبي ﷺ ويحاولون تهديم المجتمع الإسلامي الجديد وهو لم يزل وليداً .

ولكن الله (دائماً) يكبتهم ويجعل محاولاتهم كلها تنتهي بالفشل . وبالرغم من أن مشاغبات اليهود والمنافقين قد جلبت متاعب للنبي ﷺ . إلا أن أعمالهم الخبيثة قد كشفتهم للمسلمين وجعلتهم (منذ بداية عهدهم الجديد) يراقبونهم ولا يركنون إليهم في أي شأن من شؤونهم ، وخاصة الحربية والسياسية باعتبارهم طابوراً خامساً يعمل بين المسلمين ضدهم .

ولما كانت الظروف بالنسبة للعهد الإسلامي الجديد . ظروفاً خطيرة ، أحاطت فيها الأخطار بالمسلمين من كل جانب ، إذ هم في بداية عهد جديد ، لا يزال أكثر سكان الجزيرة العربية يقفون منه موقف العداء والخصومة ، لاسيما قريش ، التي تشعر عن تجربة (أكثر من غيرها) بخطورة الدين الجديد الذي لايعني انتصاره شيئاً أكثر مما يعني نسف كيانها الوثني .

ولما كانت الظروف هكذا وعلى ذلك الجانب من الخطورة ، فإن النبي ﷺ لم يتخذ أي إجراء تأديبي ضد اليهود والمنافقين بالرغم من تأكده أنهم يمثلون داخل جسم المجتمع الجديد غدة مرض ستظل تسبب الآلام لهذا الجسم إذا لم تستأصل منه ، فتركهم وشأنهم حتى جاء دور التصفية النهائية ، وخاصة بالنسبة لليهود الذين بلغ بهم الغدر إلى درجة إشهار

السلاح فى وجه المسلمين ، ونقض المعاهدات والانضمام إلى أعداء المسلمين المحاربين فى أحلك الظروف وأدق ساعات الحرج ، كما فعل بنو قريظة فى غزوة الأحزاب ، حينما نقضوا العهد الذى بينهم وبين المسلمين المحاصرين فى المدينة ، فكان جزاءُ غدرهم فى تلك الظروف الحرجة أن نفذ النبى ﷺ حكم الإعدام فى جميع رجالهم وصادر أموالهم وسبي نساءهم وذراريهم – كما سنفصل ذلك فى غزوة الأحزاب إن شاء الله.





الفصل الرابع

* نشاط المسلمين العسكرى قبل معركة بدر .
* نجاح النبى فى اتصالاته السياسية بقبائل المنطقة .
* المعركة الفاصلة .
* سبب المعركة .
* خروج المسلمين لمصادرة عير قريش
* نجاة العير ، وتحركات الجيش المكى نحو بدر .
* النبى يستشير أصحابه فى ملاقاة جيش مكة .
* موافقة الصحابة على خوض المعركة .
* التحام الفريقين فى بدر .
* هزيمة المشركين الساحقة .

لقد كانت الظروف التى هاجر فيها الرسول هى ظروفاً حربية أوجدها زعماء مكة أنفسهم ، عندما أهدروا دمه وخفروا ذمته . إنها الحرب (إذن) ولا شىء سواها .

فطبيعى (إذن) أن يعمل كل من الفريقين (مكة والمدينة) عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ضد الآخر ، فاستعمال السلاح وإضعاف شوكة العدو بأية وسيلة من الوسائل ، هو من الأمور البديهية التى لا تقبل النقاش أو الجدل .

فلا يلام فريق أعلنت عليه الحرب وصمم أعداؤه على الفتك به أينما وجدوه ، لا يلام إذا ماتربص بهم الدوائر ورسم الخطط لخضد شوكتهم ومنع أذاهم .

فمعركة بدر هذه التى خاضها المسلمون ضد المشركين إنما هى معركة عادلة ، أملتها على المسلمين طبيعة الظروف العسكرية القائمة بينهم وبين أعدائهم .

النشاط العسكرى قبل معركة بدر

كانت الفترة التى تلت هجرة الرسول حتى معركة بدر ، حوالى تسعة عشر شهراً ، وفى أثناء هذه الفترة لم يحدث أى عراك دامى بين مكة والمدينة ، اللهم إلا ماحدث فى السرية التى قادها عبد الله بن جحش[1] ، والتى تلتها معركة بدر مباشرة .

دوريات المسلمين قبل معركة بدر

أما بقية الحركات العسكرية فهى أشبه بدوريات استطلاعية قام بها المسلمون للاستكشاف والتعرف على الطرق المحيطة بالمدينة والمسالك المؤدية إلى مكة ، واختبار مدى قوة القبائل المحيطة بالمنطقة ، ومحاولة كسب بعضها بالمحالفة أو الموادعة ، (على الأقل) كما كان الهدف منها أيضاً إشعار المشركين واليهود بقوة المسلمين على صد أى اعتداء يتعرضون له . ويمكن تلخيص هذه الدوريات ، أو السرايا التى قام بها المسلمون قبل معركة بدر كما يلى :

---

(١) هو عبد الله بن جحش بن رياب الأسدى حليف بنى عبد شمس ، هاجر الهجرتين ، وكان أول أمير عقدت له راية الإسلام . قتل شهيداً يوم أحد .

١ ـ دورية قتال بقيادة حمزة بن عبد المطلب ، قوامها ثلاثون راكباً من المهاجرين . التقت هذه الدورية بقافلة تجارية لقريش يحميها ثلاثمائة مقاتل من قريش بقيادة أبى جهل بن هشام ، وذلك فى ساحل البحر ناحية العيص[1] فى شهر رمضان من السنة الأُولى للهجرة ، ولم يحدث قتال بين الفريقين لتدخل مجدى بن عمرو الجهنى الذى قام بدور حمامة السلام فحجز بينهما .

٢ ـ دورية قتال بقوة ستين راكباً قادهاً عبيد بن الحارث إلى وادى رابغ ، وذلك فى شهر شوال من السنة الأُولى للهجرة ، وكان هدف الدورية تهديد تجارة قريش ، وقد التقت هذه الدورية بأكثر من مائتى مقاتل من قريش بقيادة أبى سفيان ، إلا أنه لم يحدث أى قتال بين الفريقين .

وفى هذه الغزوة انضم رجلان من جيش مكة إلى دورية عبيد ابن الحارث . والرجلان هما المقداد بن عمرو البهرانى وعتبة بن غزوان وقد كانا مسلمين خرجاً فى جيش مكة .

٣ ـ دورية استطلاعية قوامها ثمانية من المهاجرين بقيادة سعد ابن أبى وقاص ، وصلت إلى الخرار[2] لتهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام ، ولكن هذه الدورية لم تشتبك فى أى قتال مع العدو ، وكان ذلك فى ذى القعدة من السنة الأُولى للهجرة .

٤ ـ غزوة ودان[3] ، وهى دورية قتال قوامها مائتا مقاتل ، قادها

---

(١) العيص ـ بالكسر ـ مكان بين ينبع والمروة ناحية البحر .

(٢) الخرار ـ بفتح أوله وتشديد ثانيه ـ مكان فى الحجاز بالقرب من الجحفة .

(٣) ودان ، موضع بين مكة والمدينة ، بينه وبين رابغ مما يلى المدينة تسعة وعشرون ميلا .

الرسول ﷺ بنفسه إلى منطقة ودان وذلك فى صفر من السنة الثانيه للهجرة ، وعاد دون أن يلقى حرباً إلا أنه عقد معاهدة عدم اعتداء مع قبائل بنى ضمرة بن بكر بن كنانة .

٥ ـ غزوة بواط[١] وهى دورية قتال قادها الرسول ﷺ بنفسه إلى منطقة بواط على الطريق المؤدى من الشام إلى مكة ، وذلك فى ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة ، وكان هدف هذه الدورية الإيقاع بقافلة لقريش ولكن القافلة نجت وعاد النبى دون أن يلقى حرباً ، وكان قوام هذه الدورية مائتا راكب .

٦ ـ غزوة العشيرة[٢] ، دورية قتال قوامها مائتا مقاتل ، قادها الرسول ﷺ بنفسه إلى موضع (العشيرة) بمنطقة ينبع[٣] لتهديد تجارة قريش ، وعاد الرسول دون أن يلقى حرباً ؛ لتملص قافلة قريش من المرور فى تلك المنطقة ، إلا أن النبى عقد (أثناء هذه الغزوة) معاهدة عدم اعتداء مع بنى مدلج[٤] وحلفائهم من بنى ضمرة وذلك فى جمادى الأولى من السنة الثانية للهجرة .

٧ ـ غزوة بدر الأولى : دورية قتال قوتها مائتا مقاتل ، قادها الرسول بنفسه وذلك فى جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة ، طارد بها قوات خفيفة للمشركين أغارت على مراعى المدينة ونهبت بعض

---

(١) بواط ـ بالضم وآخره طاء مهملة ـ واد بأرض الحجاز ناحية رضوى .

(٢) العشيرة ـ بضم أوله وفتح ثانيه ـ موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع .

(٣) ينبع ـ بالفتح ثم السكون ـ قرية على يمين رضوى بينها وبين رضوى ليلة للقافلة .

(٤) مدلج ـ بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه ـ بطن من كنانة من العدنانية .

المواشى ، وصل النبي فى المطاردة إلى وادى (سفوان) قريباً من بدر ، ولكنه لم يدرك القوات المغيرة فعاد دون أن يلقى حرباً .

القتال فى الشهر الحرام

وآخر عملية عسكرية قام بها المسلمون (قبل معركة بدر) هى الدورية الاستطلاعية التى قام بها ثمانية من المهاجرين بقيادة عبد الله ابن جحش ، وذلك فى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة .

فقد أرسل الرسول هذه الدورية لاستطلاع أخبار قريش وأمرها أن تترصد لذلك بين مكة والطائف ، ولم يأمر هذه الدورية بالقتال .

وفى مكان يقال له (نخلة) [1] التقت هذه الدورية بقافلة لقريش تحمل بضائع إلى مكة ، فأوقعت هذه الدورية بها بعد أن قتلت أحد رجالها ، وهو عمرو بن الحضرمى ، وأسرت اثنين منهم ، وبعد الاستيلاء على هذه القافلة عادت الدورية بها إلى المدينة ، وكان ابن الحضرمى أول مشرك يقتله المسلمون ، كما أن القافلة التى استولى عليها عبد الله بن جحش هى أول مال لقريش يستولى عليه المسلمون .

موقف حرج

وعندما بلغ الرسول ﷺ خبر هذا الحادث غضب لحادث القتل والمصادرة الذى قامت به دورية ابن جحش وأبى أن يأخذ شيئاً من المال المصادر ، لأن القتل والمصادرة حدثا فى شهر رجب وهو من الأشهر

---

(١) هى نخلة اليمانية ، وهو الوادى المسمى باسم اليمانية المعروف بين مكة والطائف.

الحرم التى يحرم القتال فيها . وقد استغلت قريش هذا الحادث فقامت بحملة تشنيع على المسلمين باعتبارهم منتهكين لحرمة الأشهر الحرم التى كان القتال فيها محرماً بإجماع قبائل العرب ، وقالوا لقد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال .

ولم يُنج رجال هذه الدورية من ورطتهم إلا نزول الوحى من السماء بإباحة قتال المشركين فى أى وقت كان ، فقد أقر القرآن القائد ابن جحش وأفراد دوريته على عملهم الحربى إياه ، حيث أنزل الله بهذه المناسبة :

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ﴾[1] .

بعد التطور التشريعى فى القتال

وبعد هذا التطور التشريعى الذى أحل قتال العدو فى أى زمان ، دخل الصراع المسلح بين الفريقين فى مراحل أشد حسماً ، واتسعت الهوة بين المعسكرين . وصمم المسلمون على أن لا يتركوا أية فرصة تسنح لهم للإيقاع بعدوهم إلا اغتنموها .

كما أدرك قادة مكة أن المسلمين مصممون على محاسبتهم عسكرياً على كل ما ارتكبوه فى حقوقهم من سيئات .

---

(١) البقرة ٢١٦ .

تجارة مكة فى خطر

ولقد كان أول خطر شعر به مشركو مكة هو أن تجارتهم الرئيسية مع الشام – والتى هى العمود الفقرى لحياتهم – أصبحت مهددة تهديداً خطيراً ، بعد أن تمركز النبى فى مقاطعة يثرب[1] التى تتحكم فى طريق القوافل الرئيسى ، بين مكة والشام . وهذه هى إحدى النتائج التى كانت تخشاها مكة من إفلات محمد ﷺ من قبضتها .

(١) يثرب اسم للمنطقة التى فيها المدينة ، وقد سميت باسم أول من سكنها . وهو يثرب بن قانية من ولد سام بن نوح .

مَعركة بَدر

لقد كانت معركة بدر – بالإضافة إلى كونها المعركة الفاصلة الأُولى فى تاريخ الإسلام – أول مراحل الكفاح الجدى الدامى الذى خاضه الإسلام ضد الشرك .

فهى أول معركة (على الإطلاق) يتقابل فيها الفريقان ويقذفون فى أتونها بكتائب لم يسبق لهم أن قذفوا بمثلها منذ ظهرت دعوة الإسلام ونشبت الخصومة بينه وبين الكفر .

أسباب المعركة

لقد تحقق خوف المشركين ووقعت مكة فيما كانت تخشى الوقوع فيه ، فقد ظلت المدينة على غاية من التيقظ والتربص تترقب كل حركة من حركات قريش التجارية بين مكة والشام للإيقاع بها .

وفى أوائل الخريف من السنة الثانية للهجرة تلقت المدينة من مخابراتها إشارة بأن أبا سفيان بن حرب قد خرج من مكة إلى الشام فى تجارة كبيرة .

فخف الرسول وخرج من المدينة فى مائتى مقاتل لاعتراضها وذلك فى غزوة العشيرة ، ولكن هذه القافلة تمكنت من الإفلات إلى الشام ، فظل المسلمون يترقبون عودتها .

وقد بعث النبي ﷺ دورية مكونة من طلحة بن عبيد الله [1] وسعيد بن زيد [2] وأمرها بالاتجاه نحو الشمال لانتظار القافلة ، فوصلت هذه الدورية إلى الحوراء [3] وهناك مكثت هذه الدورية حتى مر بها أبو سفيان عائداً من الشام بالقافلة البالغ عددها ألف بعير. وعند ذلك أسرع طلحة وسعيد وأخبرا رسول الله بذلك .

خروج النبي للاستيلاء على القافلة

إنها (إذن) فرصة ذهبية لمعسكر المدينة ، وخاصة من فيه من المهاجرين الذين صادر أهل مكة ثرواتهم عند هجرتهم واستولوا على ممتلكاتهم .

وإنها لضربة عسكرية وسياسية واقتصادية قاصمة ، تنزل بمعسكر الشرك فى مكة ، لو أنها فقدت هذه الثروة الهائلة على أيدى المسلمين .

فلتتحرك المدينة (إذن) للاستيلاء على هذه الثروة الضخمة التى تحملها عير المشركين ، وهل فى ذلك من حرج ؟ .

أليست المدينة فى حالة حرب مع مكة ؟ ، أليس الذين أعلنوا هذه الحرب – بغياً وعدوانا – هم أهل مكة وأصحاب هذه القافلة ؟ وأليس

---

(١) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمى القرشى ، غنى عن التعريف ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، شهد جميع المشاهد مع رسول الله وأصيب بأربعة وعشرين جرحاً فى معركة أحد ، كان مع أغنياء الصحابة الأجواد ، قتل فى الفتنة يوم الجمل فى جانب عائشة ودفن بالبصرة .

(٢) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى القرشى أحد العشرة المبشرين بالجنة ، كان من ذوى الرأى والبسالة ، شهد اليرموك وحصار دمشق ، وولاه أبو عبيدة إمارة هذه المدينة ، مات رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة إحدى وخمسين من الهجرة .

(٣) الحوراء – بفتح أوله وسكون ثانيه – ماء لبنى طى شمال غرب المدينة .

أصحاب هذه القافلة هم الذين صادروا أموال المهاجرين واستولوا على ممتلكاتهم فى مكة بغياً وعدوانا لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالدين الجديد. وأليس من حق من أُعلنت عليه الحرب وصودرت أمواله أن يقاتل من أعلنها ويستولى على كل ما تصل إليه يده من ممتلكاته ؟؟ .

بلى .. إن هذه هى قاعدة الحرب وقانونها فى عرف جميع البشر[1]

فلا غرابة (إذن) فى أن يعقد الرسول العزم على التصدى لقافلة قريش ويصمم على الاستيلاء عليها كجزء من مال العدو المحارب .

إن كثيراً من المستشرقين وبعض فروخهم فى الشرق الإسلامى ينظرون إلى معركة بدر ، وكأنها ضرب من قطع الطريق وأعمال السلب والنهب المجردة .

وهذه النظرة بالتأكيد ، ليس لها مصدر إلا الحقد الأسود الذى يعمى عن الحقائق ويتيح للهوى أن يتكلم ويصدر حكمه كما يشاء .

وإلا فكيف يوصف باللصوصية وقطع الطريق من حمل السلاح فى وجه من أعلن عليه الحرب وقرر الفتك به ، وصمم على القضاء عليه ومحوه من الوجود وصادر كل ما وصلت إليه يده من أمواله وممتلكاته .

منطق غريب ...

إنه منطق غريب معكوس ؛ لا يشبهه إلا منطق أسياد هؤلاء الفروخ من المستعمرين الذين يصادرون حريات الشعوب ، ويهدرون كراماتهم ويستبيحون دماءهم ، ثم يسمونهم باللصوص المتوحشين .

قال جندى إنكليزى مرة لزميل له – يصف الأفريقيين المعتدى

---

(١) انظر القانون الدولى العام :

عليهم – إن هؤلاء الأفريقين وحوش ، والله وحوش ، فقال له : وكيف؟ قال : تصور أن أحدهم عضنى وأنا أقتله ... !

الحملة تتحرك

بعد أن سمع النبي بدخول قافلة العدو إلى التراب الحجازى تحرك من المدينة بجيشه للاستيلاء عليها ..

ومن الواضح جداً .. أن استنفار عساكر الإسلام بالمدينة من أجل الاستيلاء على هذه القافلة ، لم يكن تجنيداً إجبارياً (كما هى العادة فى المعارك الكبرى التى يستعد الرسول لخوضها كمعركة أحد) بل كان نداءُ الرسول للجيش هنا بمثابة ترغيب فقط .

فقد جاء فى ندائه قوله .. هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها .

ولذلك تخلف كثير من الصحابة فى المدينة عن الاشتراك فى معركة بدر التى لم يكن أحد من المسلمين يتوقع حدوثها عند خروجه من المدينة .

ولم ينكر الرسول على أحد من المتخلفين ، بل ولم يستحثه على الخروج مع الحملة ، بل ترك الأمر للرغبة الخاصة ، والاختيار المحض .

ومن المؤكد أن الذين لم ينخرطوا فى سلك الجيش الذى خرج لملاقاة العير ، لو كانوا يعلمون أن الرسول سيصطدم بجيش مكة ذلك الاصطدام العنيف فى بدر ، لما تخلف منهم قادر على حمل السلاح . ولكنهم اعتقدوا (جازمين) أن الصدام لن يكون عنيفاً عند التصدى للقافلة ، بل قد لا يكون هناك صدام إذ من المتوقع أن يفر حرس العير – وهم

لا يزيدون عن أربعين راكباً – بمجرد رؤية محمد وجنوده الذين لايقلون عن ثلاثمائة مقاتل .

لذلك تخلف من تخلف عن الحملة فى المدينة ، وقد أفصح عن هذه الحقيقة أسيد بن الحضير [1] وهو سيد من سادات الأنصار – فقد قال للرسول معتذراً – عندما لقيه مهنئاً بالنصر فى الروحاء – والله يا رسول الله ما كان تخلفى عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً ، ولكن ظننت أنها عير ، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت ، فقال له الرسول صدقت .

وكان خروج النبى بجيشه من المدينة يوم الأربعاء لثمان خلون من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

أمير على المدينة

وقد استعمل على المدينة للصلاة بالناس ابن أم مكتوم [2] .

أما الإمارة على المدينة فقد أسندها لأبى لبابة [3] الذى أعاده من الروحاء ، بعد أن أعفاه من الاشتراك فى حملة بدر .

---

(١) هو أسيد (بالضم) بن الحضير بن سماك بن عتيك الأنصارى الأشهلى ، كان من السابقين الأولين فى الإسلام ، شهد بيعة العقبة ، وكان أحد النقباء فيها ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً بين الأنصار ، وقالت عائشة رضى الله عنها ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق فى الفضل كلهم من بنى عبد الأشهل ، سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وعباد بن بشر ، شهد أسيد أحداً ، وكان من الثابتين بعد الهزيمة وجرح فى تلك المعركة سبع جراحات مات رضى الله عنها سنة إحدى وعشرين من الهجرة .

(٢) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

(٣) أبو لبابة ، اسمه رفاعة بن عبد المنذر الأوسى الأنصارى ، شهد بيعة العقبة وكان أحد نقبائها الإثنى عشر ، كان أحد الذين تخلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، ثم تاب الله عليه مع من تاب ، شهد فتح مكة ، وكان معه لواء قومه بنى عوف مات فى خلافة على ، وقيل عاش إلى ما بعد الخمسين من الهجرة :

وعند خروج الجيش من المدينة دفع لواء القيادة العامة (التى يتولاها ﷺ بنفسه) إلى مصعب بن عمير القرشى ، وكان هذا اللواء أبيضاً .

كما قسم ﷺ جيشه إلى كتيبتين ، وكان هذا التقسيم على أساس قبلى .

فقد كانت كتيبة المهاجرين – التى أعطى علمها لعلى بن أبى طالب[1] – منفصلة عن كتيبة الأنصار التى أعطى علمها لسعد بن معاذ[2] بينما ظلت قيادة هاتين الكتيبتين العليا فى يد الرسول ﷺ كقائد أعلى للجيش .

كما أعطى قيادة ميمنة الجيش للزبير بن العوام ، والميسرة للمقداد بن عمرو الكندى وهما الفارسان الوحيدان فى جيش المدينة ، كما أعطى قيادة الساقة (المؤخرة) لقيس بن أبى صعصعة .

---

(١) هو على بن أبى طالب ابن عم رسول الله ، غنى عن التعريف ، رابع الخلفاء الراشدين وزوج فاطمة البتول وأول الناس إسلاماً ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، فارس بنى عبد مناف وبطلها المغوار ، شهد المعارك كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى الخلافة بعد أن ضربت الفتنة أطنابها على الأمة الإسلامية ، فكان رضى الله عنه مثال العدل والعفة والنزاهة ، قتله اللعين ، عبد الرحمن بن الملجم غدراً ، ليلة السابع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة .

(٢) هو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصارى الأوسى ، كان سيد الأوس فى الجاهلية والإسلام ، وهو الذى قال فيه النبى لما مات « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » جرح يوم الخندق ومات من جرحه ذاك بعد شهر وذلك سنة خمس من الهجرة :

مبلغ قوة جيش المدينة

وكان جيش المدينة يتألف من ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا .

منهم ، مائتان وواحد وثلاثون من الأنصار .. ومائة وسبعون من الخزرج ، وواحد وستون من الأوس .

أما المهاجرون فقد كانوا ستة وثمانون رجلا[1] .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن بين هؤلاء المهاجرين من القرشيين سوى واحد وأربعين رجلا .

من بنى هاشم ثلاثة ، ومن بنى المطلب أربعة ، ومن بنى عبد شمس واحد ، ومن بنى عبد العزى واحد ، ومن بنى عبد الدار اثنان ، ومن بنى زهرة ثلاثة ، ومن بنى تيم واحد ، ومن بنى مخزوم ثلاثة ، ومن بنى عدى أربعة ، ومن بنى جمح خمسة ، ومن بنى سهم واحد ، ومن بنى عامر خمسة ومن بنى الحارث ستة .

أما الباقون ، وهم خمسة وأربعون فقد كانوا من الموالى والحلفاء .

فالموالى كانوا اثنا عشر ، منهم أربعة من العرب ، وثمانية من العجم .

أما الحلفاء من العرب (غير القرشيين) فقد كانوا ثلاثة وثلاثون .

أما سلاح النقليات فى هذه الحملة فقد كان سبعين بعيراً وفرسين فقط ، أحدهما مع المقداد بن الأسود والثانى مع الزبير بن العوام .

---

(١) وقد ذكر المؤرخون أن ثمانية من هؤلاء ... ثلاثة من المهاجرين وهم : عثمان ابن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن زيد ، وخمسة من الأنصار ، قد غابوا عن المعركة فى مهام تتعلق بالإسلام فأعلن الرسول أن لهم أجر من شهدها وضرب لهم بسهم كمن شهدها ، ولهذا اعتبروا فى عداد البدريين وإن لم يشهدوا بدراً .

لا فرق بين قائد وجندى

وكان أفراد الجيش مع قوادهم يعتقبون السبعين بعيراً فى حملتهم هذه ، فقد خصص جمل لكل جماعة يركبونه بالتناوب حتى بدر .

وكان الرسول ﷺ ومرثد بن أبى مرثد [1] وعلى بن أبى طالب يعتقبون بعيراً ، فطلب ابن أبى طالب وابن أبى مرثد من زميلهما النبى ﷺ أن يتنازلا عن حصتهما فى ركوب البعير له ، وقالا له ، نحن نمشى عنك ، فقال ﷺ « ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى الأجر عنكما » وأبى إلا أن يكون حصته فى ركوب البعير كواحد منهما .

الاستخبارات النبوية

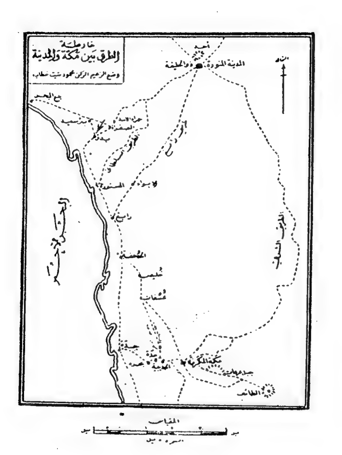
أمر الرسول ﷺ بقطع الأجراس من أعناق الإبل [2] ويظهر أن ذلك من أجل إخفاء حركات الجيش ، لأن الأجراس تحدث أصواتاً عالية عند سير الجمال ، وهذا مما قد يسهل على العدو معرفة مكان الجيش ، ولهذا (والله أعلم) أمر الرسول بقطعها من أعناق الإبل .

وكما هى العادة فى الظروف الحربية التى تتطلب الحيطة والحذر ، بث الرسول عيونه – وهم المعبر عنهم فى العصر الحديث بالاستخبارات أو سلاح الاستكشاف ، انتشر رجال سلاح الاستكشاف أمام الجيش هنا وهناك ، بغية التعرف على أخبار قافلة العدو ، وكان أحد هؤلاء

---

(١) هو مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، من قبيلة قيس بن غيلان المضرية ، قتل شهيداً فى غزوة ذات الرجيع سنة ثلاث من الهجرة :

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦١ .


خارطة
الطرق بين مكة والمدينة
المدينة المنورة
ذو الحليفة
أحد
رابغ
خليص
عسفان
جدة
مكة المكرمة
الطائف
البحر الأحمر
المقياس

بسبس بن عمرو الجهني [١] وعدى بن أبي الزغباء [٢] اللذين كانا أول من بعثهم النبي فى اتجاه بدر يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان.

الطريق إلى بدر

وقد سلك الرسول فى طريقه من المدينة إلى بدر، على نقب المدينة [٣]، ثم العقيق [٤] ثم ذى الحليفة [٥] ثم أولات الجيش [٦] ثم تربان [٧] ثم ملل [٨] ثم غميس الحمام [٩] ثم صخيرات اليمامة [١٠] ثم السيالة [١١] ثم فج الروحاء، ثم شنوكة [١٢].

وعند مغادرته بئر الروحاء ترك طريق مكة بيسار ثم انحرف ذات اليمين على النازية يريد بدراً، حتى إذا سلك وادياً يقال له وحقان - بين النازية ومضيق الصفراء - انصب منه، ثم ترك وادى الصفراء بيسار، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران [١٣]، وعند خروجه من هذا الوادى بلغه خبر خروج جيش مكة وزحفه فى اتجاه بدر. وبعد

---

(١) هو بسبس بن عمرو الغطفانى الجهنى.

(٢) هو عدى بن أبي الزغباء الغطفانى الجهنى، توفى فى خلافة عمر.

(٣) خرق فى الجبل بالقرب من المدينة.

(٤) العقيق - بفتح أوله وكسر ثانيه - واد يمر بضواحي المدينة.

(٥) ذو الحليفة - بضم الحاء وفتح اللام - مكان بينه وبين المدينة ستة أميال.

(٦) أولات الجيش، واد بين ذى الحليفة وتربان.

(٧) تربان - بالضم - واد بين ذات الجيش وملل.

(٨) ملل - بفتح الميم واللام - موضع بينه وبين المدينة ليلتان للقافلة.

(٩) غميس الحمام - بفتح أوله وكسر ثانيه - واد بعد ملل.

(١٠) السيالة، موضع بين ملل والروحاء.

(١١) الروحاء - بفتح الراء - موضع على أربعين ميلا من المدينة.

(١٢) شنوكة - بفتح أوله وضم ثانيه - جبل بعد الروحاء قريب من بدر.

(١٣) ذفران - بالفتح، ثم فاء بالكسر، وراء مهملة - واد قرب وادى الصفراء.

خروجه من وادى ذفران سلك على ثنايا ، يقال لها ، الأصافر ، ثم أنمط منها إلى بلد – قرب بدر – يقال له .. الدبة ، وترك الحنان[1] بيمين ، ثم نزل قريباً من بدر .

استنجاد أبى سفيان بمكة

أما أبو سفيان – وهو المسئول الأول عن عير قريش – فقد كان على غاية من الحيطة والحذر حيث كان يعلم جيداً أن طريق مكة محفوف بالأخطار .

لذلك لم تكد قدماه تطأ التراب الحجازى فى الشمال حتى انتشرت استخباراته أمامه تترصد الأخبار لمعرفة ما إذا كانت هناك تحركات عسكرية من قبل محمد ﷺ للإيقاع بالقافلة .

ولم يطل التجسس بأبى سفيان ، فقد نقلت إليه استخباراته أن محمداً ﷺ قد استنفر أصحابه للقافلة وأنهم قد غادروا المدينة للإيقاع بها .

وهنا أسقط فى يد أبى سفيان ، وتمثل أمامه الخطر كبيراً مريعاً ، لذا قرر فى الحال إبلاغ قادة قريش فى مكة حقيقة الخطر المحدق بعيرهم ، طالباً منهم الإسراع لإنقاذها . وحمايتها من الوقوع فى قبضة محمد ﷺ .

النذير فى مكة

وما هى إلا مدة قصيرة حتى ظهر رسول أبى سفيان (ضمضم ابن عمرو الغفارى) فى أعلى الأبطح بمكة واقفاً على بعيره ، قد حول رحله وشق رداءه صارخاً بأعلى صوته – يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ،

---

(١) الحنان – كثيب عظيم كالجبل يقع على العدوة الدنيا القريبة من بدر .

أموالكم مع أبى سفيان ، قد عرض لها محمد وأصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث .

وقد انزعجت مكة لهذا النبإ الخطير انزعاجاً كبيراً ، قررت على أثره فى الحال تجهيز جيش قوى لإنقاذ العير ، وبأسرع ما يمكن .

وقد اشترك فى تجهيز هذا الجيش بالرجال والمال جميع قبائل قريش ، كما ضم جميع زعماء قريش وقادتها ، ما عدا أبى لهب الذى تأخر لمرض ألمّ به ، وبعث عنه بديلا ، وصفوان بن أمية لأن أباه وأخاه ممن انخرط فى سلك هذا الجيش .

مشكلة قبائل بنى بكر من كنانة (١)

وبعد تجهيز الجيش تذكر زعماء مكة ما بينهم وبين بنى بكر من كنانة ، من الحرب ، وخافوا أن تضربهم هذه القبائل من الخلف ، فيكونوا بين نارين ، فكاد ذلك أن يثنيهم عن الزحف لإنقاذ العير غير أن إبليس تبدى لهم فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، وكان من أشراف كنانة ، وقال لهم أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه ، فخرجوا سراعاً ، قال ابن كثير فى تاريخه(٢) (قلت) وهذا معنى قوله تعالى﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ، إذ زين لهم ،

---

(١) هم بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، يتصل نسبهم بقريش فى كنانة بن خزيمة كانت منازلهم تنتشر بين مكة والمدينة ،وكانت الحرب بينهم وبين قريش قائمة عندما تجهز جيش مكة للخروج لإنقاذ العير ، وكان سبب هذه الحرب أن رجلا من بنى عامر ابن لؤى من قريش قتل رجلا من بكر هؤلاء :

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٥٩ :

الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وأنى جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىءٌ منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ [1].

جيش مكة يتحرك

تحركت مكة (بعد أن ضمنت موقف بنى بكر) ثم نفرت بصناديدها وانطلق سوادها يغلى كالبركان .

فقد فصل منها جيش ضخم بلغ تعداده حوالى ألف وثلاثمائة مقاتل.. تحرك هذا الجيش بسرعة فائقة نحو الشمال فى تجاه بدر ، فامتطى الصعب والذلول ، بغية إنقاذ العير قبل وقوعها فى قبضة جيش المدينة.

وقد سلكوا فى طريقهم إلى بدر وادى عسفان [2] ثم قديد [3] ثم الجحفة [4] ثم الأبواء [5] ثم إلى بدر ، وقد كان معهم ستون فرساً وستمائة درع ، وجمال كثيرة لم يعرف عددها بالضبط .

الممولون لجيش مكة

وكان المطعمون لجيش مكة والقائمون بتموينه تسعة من زعمائها وهم:

---

(١) الأنفال ، ٤٧ – ٤٨ .

(٢) عسفان – بضم العين وسكون السين – يقع فى طريق القوافل بين مكة ورابغ :

(٣) قديد – بضم القاف وفتح الدال – مكان بين عسفان ورابغ يقع بالقرب من تول – بضم التاء وفتح الواو – .

(٤) الجحفة بالضم ثم السكون – قرية على وادى رابغ بينها وبين البحر ستة أميال ، وبينها وبين مكة بطريق القوافل حوالى ١٢٢ ميلا .

(٥) الأبواء – بالفتح ثم السكون – قرية على بعد ثلاثة وعشرون ميلا من الجحفة مما يلى المدينة .

– أبو جهل بن هشام ، نحر لهم عشراً من الإبل حين خروجهم من مكة .

– أمية بن خلف ، نحر لهم تسعاً بعسفان .

– سهيل بن عمرو[1] ، نحر لهم عشراً بقديد .

– شيبة بن ربيعة ، نحر لهم تسعاً على مياه البحر بالقرب من قديد .

– عتبة بن ربيعة نحر لهم عشراً فى الجحفة

– نبيه ومنبه أبناء الحجاج نحرا لهم عشراً بالأبواء .

– العباس بن عبد المطلب ، نحر لهم عشراً بين الأبواء وبدر .

– أبو البحترى بن هشام ، نحر لهم عشراً فى بدر .

وبينما كان جيش مكة يتحرك بسرعة نحو بدر كان أبو سفيان يواصل سيره نحو مكة ، وبالرغم من تأكده من إسراع مكة بنجدته فإنه ظل حذراً متيقظاً ، يرسم الخطط لكل الاحتمالات التى قد يتعرض لها قبل اتصاله بجيش مكة ، فهو لذلك لم يستنم فى انتظار نجدة قريش.

فقد ضاعف حركاته الاستكشافية ، وبذل كل ما فى وسعه لتتبع أخبار جيش المدينة ليتجنب الاصطدام به .، ويفلت من قبضته . وبالرغم من حذر أبى سفيان وتيقظه ، فإنه لم يغير اتجاهه الطبيعى العادى فى سيره نحو مكة ، فقد كان يسير بالقافلة من الشمال نحو الجنوب فى اتجاه بدر ، تاركاً المدينة عن يساره .

ساعة حرجة

وقد كانت ساعة حرجة بالنسبة لأبى سفيان عندما كاد يقع مع

---

(١) ستأتى ترجمته فيما يلى ؛

القافلة فى قبضة المسلمين ، عند اقترابه من بدر لولا أن أسعفه الحظ عندما لقى مجدى بن عمرو وسأله عن جيش محمد ، فقال ما رأيت أحداً أنكره إلا أننى رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا .

وهنا أسرع أبو سفيان إلى مناخ راحلتى الرجلين وتناول بعرات من فضلاتهما ، وعند فحصها وجد فيها النوى (بذر التمر) فقال هذه والله علائف يثرب ، وتأكد لديه أن الرجلين من أصحاب محمد ، وأن جيشه لا شك قريب من العير التى قد تقع بين لحظة وأخرى فى قبضته.

وهنا رجع إلى العير مسرعاً وضرب وجهها محولاً اتجاهها نحو الساحل غرباً ، وبهذا نجا بالقافلة من الوقوع فى قبضة جيش المدينة .

جيش مكة ونجاة العير

وبعد أن تأكد أبو سفيان من نجاة العير أبلغ قريشاً ذلك وطلب منهم ـ ناصحاً ـ أن يعودوا بالجيش إلى مكة ، قائلا (فى رسالة بعث بها إليهم ، وصلتهم وهم فى الجحفة) إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، وقد نجاها الله ، فارجعوا .

ولكن أبا جهل (وهو من أكبر الحاقدين على النبى محمد) ﷺ رفض نصيحة أبى سفيان وأصر على أن يستمر الجيش فى زحفه حتى بدر قائلا فى كبرياء وغطرسة :

والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجزور ونطعم

الطعام ونسقى الخمر وتعزف لنا القيان[1] وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً . فامضوا[2]

أول انشقاق فى جيش مكة

وقد كان قصد أبى جهل من استمرار جيش مكة فى زحفه حتى بدر (بالرغم من نجاة العير) أن يكون هذا الزحف بمثابة مناورة عسكرية كبرى تبرز فيها قوة مكة وتتجسد فيها هيبتها أمام قبائل العرب — وخاصة الضاربة بين مكة والمدينة — والتى سيمر بأراضيها هذا الجيش الضخم الذى لم تشهد بلاد العرب مثل ضخامته منذ ظهور الإسلام .

اجعلوا جبنها بى

ولكن الأخنس بن شريق الثقفى[3] — حليف بنى زهرة وقائد قبيلتها فى هذا النفير — عارض أبا جهل فى رأيه ووقف فى الجيش خطيباً موجها كلامه إلى بنى زهرة قائلا :

يابنى زهرة قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص صاحبكم مخرمة ابن نوفل[4] ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بى جبنها وارجعوا

---

(١) القيان جمع قينة بفتح القاف وسكون الياء ، الأمة المغنية ، والماشطة .

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٦ .

(٣) هو الأخنس بن شريق بن وهب الثقفى حليف بنى زهرة ، كان سيداً عاقلا ومطاعاً فى قومه ، سمى الأخنس ، لأنه انخنس ، أى انفصل ببنى زهرة من جيش مكة بعد نجاة العير . أسلم عام الفتح . وشهد حنيناً مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) هو مخرمة بن نوفل بن عبد مناف الزهرى ، كان أحد رجال العير التى نجا بها أبو سفيان . أسلم عام الفتح ومات سنة خمس وخمسين من الهجرة وعمره ١١٥ سنة .

فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا فى غير ضيعة ، لا ما يقول هذا ، يعنى أبا جهل .

وكان الأخنس الثقفى هذا سيداً مطاعاً فى بنى زهرة ، لذا أطاعوه ورجعوا جميعهم من الجحفة ولم يشهد بدراً زهرى واحد . وكانوا حوالى ثلاثمائة رجل .

حرج موقف المسلمين

استمر جيش مكة فى زحفه نحو الشمال ، فى خيلاء متزايد وكبرياء متناه ، متبعاً رأى أبى جهل الذى قاده فى النهاية إلى هزيمة منكرة ، لم تشهد قريش مثلها فى تاريخها الطويل .

أما المسلمون فقد بلغهم خبر نجاة أبى سفيان بالقافلة ، ولكن الخبر الذى هو أهم من خبر إفلات القافلة هو خبر تحركات جيش مكة الضخم واستمراره فى الزحف نحو بدر بالرغم من نجاة العير التى لم يخرج إلا لحمايتها .

فمما لاشك فيه ، أن ترك جيش الشرك يجوس خلال الديار فى تلك المنطقة الحساسة ، ويستعرض عضلاته بين القبائل الضاربة بين مكة والمدينة ، فيه تحد سافر لمعسكر المدينة المسلم ، وتدعيم لمكانة قريش العسكرية وامتداد لسلطانها السياسى ، وإضعاف لنفوذ الإسلام الذى أخذ ينتشر فى تلك البقاع التى كانت (منذ الهجرة) مجالا لسرايا عسكرية يقوم بها جيش النبى لإعلاء كلمة الله وتوهين كلمة الكفر .

فسير جيش مكة فى استعراضاته الاستفزازية من مكة حتى بدر ،

دون أن يشتبك مع جيش المدينة الذى كان هو الآخر متجها بزحفه نحو بدر ، معناه النكول عن القتال ، وهذا لو حدث من جانب جيش محمد ﷺ ،سيكون له أسوأ الأثر على هيبة المسلمين وسمعتهم العسكرية فى تلك المنطقة ، وقد يشجع هذا النكول أبا جهل على نقل المعركة إلى أسوار المدينة وغزو النبي فى عقر داره بهذا الجيش نفسه .

المجلس العسكرى الأعلى

لهذا اهتم الرسول ﷺ بهذه التطورات الخطيرة المفاجئة ، غاية الاهتمام ، وكانت رغبة الرسول أكيدة وقوية فى الاشتباك مع جيش مكة فى بدر ، مهما كان الثمن .

ولكنه بالرغم من هذا ، وبالرغم من أنه النبي المرسل من عند الله ، وبالرغم من أنه القائد الأعلى للجيش . فقد قرر أن لا ينفرد بالقول الفصل وأن لايتفرد برأيه حيال هذه التطورات العسكرية المباغتة . وذلك عملا بمبدإ الشورى الذى جاء به الإسلام ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾ .

لذلك سارع الرسول ﷺ إلى عقد ما يسمى بلغة عصرنا (مجلساً عسكرياً) أعلى تبادل فيه الرأى مع قادة جيشه ليعرف وجهات نظرهم حيال هذا الموقف الخطير .

خطورة الموقف

إن تطور الموقف إلى هذه الدرجة من الخطورة كان امتحاناً مباغتاً لجيش المدينة الصغير الذى لم يكن مستعداً لخوض مثل هذه المعركة.

فخروجه فى البداية إنما كان من أجل الاستيلاء على قافلة لا يزيد

عدد حراسها على أربعين مقاتلا وهو أمر لا يحتاج إلى أكثر مما قام به هذا الجيش من استعدادات .

ولكن هذا الأمر اليسير (وبطريقة مباغتة) تحول إلى أمر خطير جعل المسلمين فى مأزق حرج ، فقد أفلت الأربعون راكباً ونجوا بقافلتهم ووجد هذا الجيش الصغير (جيش المدينة) نفسه - بدلا من حرس العير الأربعين - أمام جيش لجب تقوده الخيلاء وتدفعه الكبرياء والتحدى ، قد جمع بين صناديد مكة وفرسانها .

والاصطدام مع هذا الجيش القوى الكبير يحتاج من المسلمين (قبل الإقدام عليه) إلى بحث المقدمات والتفكير فى النتائج .

ولهذا عقد الرسول ﷺ مجلسه العسكرى الاستشارى [1] الأعلى الذى أحب أن يطلع فيه على حقيقة آراء قادة جيشه فى ذلك الظرف الدقيق .

إجماع القادة على ملاقاة جيش مكة

ولكن هذا المجلس لم يكد ينعقد ، حتى وقف قادة المهاجرين يعلنون تصميمهم على الاشتباك مع جيش الشرك مهما كان الثمن .

وقد جاء إعلانهم هذا صريحاً فى قول أحد قادتهم ، وهو المقداد ابن عمرو [2] الذى وقف خطيباً فى المجلس قائلا :

---

(١) تم عقد هذا المجلس بعد خروج جيش المدينة من وادى الذفران مباشرة وذلك بالقرب من بدر .

(٢) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة العامرى ، ويقال له المقداد بن الأسود الكندى الحضرمى ، لأن أباه أصاب دماً فى قومه فلحق بحضرموت وحالف كندة وتزوج منهم امرأة فولدت له المقداد ، ولما كبر المقداد ، حدث شجار بينه وبين أبى شمر بن حجر =

« يارسول الله امض لما أراك فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ولكن « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فو الذى بعثك بالحق لو سرت إلى برك الغماد[1] لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه » فقال له الرسول خيراً .

الكلمة الأخيرة للأنصار

ولكن الرسول إذا كان قد عرف رأى المهاجرين فى هذا المجلس (وهم أقلية فى الجيش) فإنه لم يعرف بعد حقيقة موقف الأنصار الذين سيدور ثقل المعركة القادمة على كواهلهم ، لأنهم يمثلون أغلبية الجيش، ولأن نصوص معاهدة العقبة لا تلزمهم صراحة بالقتال خارج ديارهم ، حيث جاء فى أحد بنودها :

« إنهم (أى الأنصار) برآء من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم ، فإذا وصل إليهم فإنه فى ذمتهم يمنعونه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم » .

فكان لذلك ، يخشى ألا تكون الأنصار ترى نصره إلا ضد من يهاجمه بالمدينة .

ولهذا أحب أن يرى (بصفة خاصة) حقيقة موقف الأنصار من

= الكندى فضرب رجله بالسيف ، وهرب إلى مكة وحالف الأسود بن عبد يغوث فتبناه الأسود ولذلك قيل له المقداد بن الأسود وغلب عليه ذلك ولما نزلت ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ قيل له المقداد بن عمرو ، هاجر المقداد الهجرتين وكان شجاعاً ، مات رضى الله عنه سنة ثلاث وثلاثين هجرية .

(١) برك الغماد .:: يقال إنه أقصى معمور فى الأرض .

خوض المعركة المقبلة ، فقال (بعد سماع موافقة المهاجرين) « أشيروا عليَّ أيها الناس » – يقصد الأنصار – .

وهنا نهض سعد بن معاذ[1] ، سيد الأنصار ، وصاحب لواء كتيبتهم وقال :-

لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟؟

فقال ﷺ : أجل .

فأعلن القائد الأنصارى موافقة الأنصار المطلقة وتصميمهم الصادق على ملاقاة جيش العدو قائلا مخاطباً النبى عليه الصلاة والسلام

قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فو الذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إننا لصُبُرٌ فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله.

إلى المعركة

وهنا سر الرسول ﷺ بعد أن عرف رغبة الفريقين الصادقة فى الاشتباك مع جيش الشرك ، ونشطه ذلك ..

وفوراً أمر الجيش بمواصلة التحرك نحو بدر وقال :

« سيروا ، وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارعَ القوم » . فتحرك الجيش نحو مياه بدر .

---

(١) ستأتى ترجمته .

ومن أروع الأمثلة التى ضربها النبي ﷺ للقائد اليقظ المتواضع أنه عندما نزل بأصحابه بالقرب من بدر - حيث يربض جيش مكة الضخم قام بنفسه - مع بعض أصحابه - بعملية الاستكشاف لمعرفة أخبار جيش العدو ، محاولا بنفسه التعرف على حقيقة قوة هذا الجيش وأين هو .

وبينما كان الرسول يتجول حول معسكر مكة ، مع أحد أصحابه مخاطراً بنفسه ، إذا به يقف على شيخ من العرب ، فأحب أن يسأله عن قريش ، ولكنه خاف أن يشتبه الشيخ فيه ويظنه من جيش المسلمين فسأله عن جيش قريش وجيش المسلمين معاً ، زيادة فى التكتم والاحتياط.

ولكن الشيخ (بدافع الفضول) قال للنبي ﷺ لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟؟ .

فقال له الرسول إذا أخبرتنا أخبرناك ...

قال الشيخ أو ذاك ؟ .

قال النبي ، نعم .

قال الشيخ ، فإنه بلغنى أن محمداً وأصحابه ، خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن صدق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به جيش الرسول ﷺ ، وأنه بلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به جيش مكة .. ولما فرغ الشيخ من خبره قال .. ممن أنتما ؟ فقال الرسول ﷺ نحن من ماء ثم انصرف ، بعد أن عرف (بالتحديد)

مكانُ جيش العدو دون أن يعرف الشيخ من هو . وهذا تشريع حربى شرعه الرسول ، يجوز أو يجب بموجبه الحصول على أخبار العدو بأية وسيلة ، حتى ولو أدى إلى التمويه ما دام فى ذلك مصلحة جيش المسلمين وسلامته .

وبعد أن رجع النبى ﷺ إلى مقر قيادته فى الجيش ، بعث فى مساء ذلك اليوم استخباراته من جديد لترصد له أخبار جيش العدو ..

فقد انتدب ثلاثة من قادة المهاجرين (على بن أبى طالب والزبير ابن العوام [1] وسعد بن أبى وقاص [2] مع نفر من أصحابة إلى ماء بدر نفسها للحصول على مزيد من أخبار العدو ..

الحصول على أهم المعلومات عن جيش مكة

وعند الماء فى بدر ، وجدوا غلامين تابعين لجيش المشركين يستقيان فاقتادوهما إلى المعسكر النبوى ، حيث استجوبهما الرسول ، وعرف منهما عن جيش العدو ما يجب أن يعرفه قائد عن جيش عدوه ..

---

(١) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، غنى عن التعريف ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، هاجر الهجرتين ، وقتل فى فتنة الجمل بعد أن خرج تاركاً القتال ومقتنعاً بأنه غير مصيب فى موقفه من على ، قتله عمرو بن جرموز غدراً فى وادى السباع ، وكان قتله سنة ست وثلاثين وله من العمر ست أو سبع وستون سنة .

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب الزهرى ، غنى عن التعريف كان سابع سبعة فى إسلامه ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان على غاية من الورع ومراقبة الله ، اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع أى مع الأطراف المتنازعة بعد مقتل عثمان ، مات سنة ثمان وخمسين هجرية على خلاف فى ذلك .

فقد سأل الرسول الغلامين عن مكان جيش مكة فقالا ... هم وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى .

فقال لهما : كم القوم ، قالا كثير ، فقال ما عدتهم ؟ قالا : لاندرى قال : كم ينحرون كل يوم (أى من الإبل) ؟ قالا : يوماً تسعاً ، ويوماً عشرًا .

فقال الرسول لأصحابه : القوم فيما بين التسعمائة والألف .

ثم سأل الغلامين عمن فى الجيش من أشراف مكة وقادتها .

فأخبراه أن منهم القادة - عتبة بن ربيعة وشيبة أخاه وأبا جهل ابن هشام ، وأبا البحترى بن هشام وأمية بن خلف والعباس بن عبد المطلب [1] ، وسهيل بن عمرو ، ونبيه ومنبه أبناء الحجاج وغيرهم من أشراف مكة .

وهنا تأكد الرسول من قوة جيش العدو ، وضخامته ، والتفت نحو قادة جيشه قائلا :

« هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها » - (يعنى من بجيش مكة من قادتها وأشرافها) .

نموذج من الشورى الصحيحة

وفى اليوم السادس عشر من شهر رمضان المبارك للسنة الثانية من

(١) هو العباس بن عبد المطلب ، عم النبى صلى الله عليه وسلم غنى عن التعريف ، شهد بدراً مع المشركين مكرها ، فأسر ، وفيه قال النبى « من أذى العباس فقد آذانى » أسلم وهاجر قبل الفتح بقليل ، وشهد فتح مكة وثبت يوم حنين مع النبى عند انهزام المسلمين عند الصدمة الأولى ، مات بالمدينة سنة اثنين وثلاثين .

الهجرة ، تحرك الرسول ﷺ بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه .

وفى أثناء هذا التحرك ، حدثت حادثة ، تجلت فيها ديمقراطية الرسول (إن صح هذا التعبير) ؛ فقد نزل الرسول ﷺ بالجيش بماء من مياه بدر ، رأى أحد القادة أنه ليس من المصلحة الحربية النزول فيه ، وهذا القائد ، هو الحباب بن المنذر الأنصارى[1] ، الذى قال (ناصحاً كخبير عسكرى) يا رسول الله :

أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟؟ .

فقال الرسول ﷺ : بل هو الرأى والحرب والمكيدة .

فقال الخبير العسكرى (الحباب) :

يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور (أى نخرب) ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال الرسول ﷺ « لقد أشرت بالرأى » ، ونهض بالجيش فسار حتى إذا أتى أقرب ماء من العدو ، نزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت (حسب رأى الحباب بن المنذر) ثم بنى حوضاً على القليب الذى نزل عليه فملئ ماء .

---

(١) هو الحباب بن المنذر بن الجموح الخزرجى الأنصارى ، وهو الذى قال يوم السقيفة بعد موت النبى (أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب) ، مات فى خلافة عمر ، وقد زاد على الخمسين .

أما قريش فبعد أن اطمأنت فى معسكرها بالعدوة القصوى من الوادى بثت سلاح استكشافها حول جيش المدينة : للتعرف على حقيقته ومدى قوته ، فدار عمير بن وهب[1] أحد رجال استخبارات جيش مكة ، حول جيش المدينة : ثم عاد إلى قريش ليخبرهم أن جيش محمد هو ثلاثمائة مقاتل يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ، ثم ضرب بفرسه راكضاً خلف جيش المسلمين ، للاستكشاف فيما إذا كان هناك كمين يحمى ظهور المسلمين أو يمدهم عند اللزوم ، ولكنه عاد وطمأن قريش بأن لا وجود لأى كمين للمسلمين .

البلايا تحمل المنايا

غير أنه (كخبير عسكرى) نصح قادة مكة وحذرهم قائلا يصف رجال جيش محمد ﷺ :

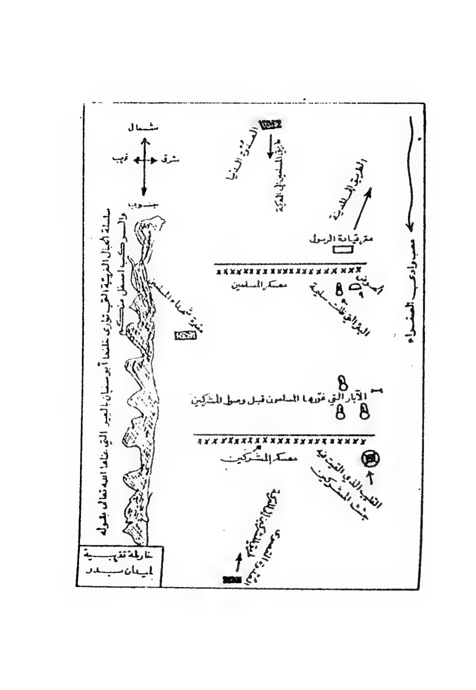
لقد رأيت البلايا تحمل المنايا .. نواضح[2] يثرب تحمل الموت الناقع[3] ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعداءهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟؟ فروا ، رأيكم .

---

(١) هو عمير بن وهب بن خلف الجمحى القرشى ، كان من شياطين قريش ، ذهب إلى المدينة بعد وقعة بدر لاغتيال النبى صلى الله عليه وسلم فهداه الله للإسلام ، فصار من أكبر دعاته وأنصاره .

(٢) النواضح : الإبل التى يستقى عليها .

(٣) موت ناقع ، دائم .


شمال
شرق
غرب
جنوب
العدوة الدنيا
مقر قيادة الرسول
معسكر المسلمين
الآبار التي غورها المسلمون قبل وصول المشركين
معسكر المشركين
القليب الذي قذفت فيه جثث المشركين
مجرى وادي الصفراء
سلسلة الجبال الغربية التي توارى خلفها أبو سفيان بالعير التي عناها الله تعالى بقوله
خارطة تقريبية
لميدان بدر

وعند سماع كلام قائد سلاح الاستكشاف (عمير بن وهب) قامت معارضة أخرى ضد أبى جهل تدعو إلى العودة بالجيش إلى مكة دونما قتال .

وكانت هذه المعارضة ، أكبر من المعارضة التى قادها الأخنس ابن شريق ضد أبى جهل فى منطقة رابغ ورجع على أثرها إلى مكة بقبيلة بنى زهرة قبل الوصول إلى بدر .

قاد هذه المعارضة الأخيرة عتبة بن ربيعة سيد بنى عبد شمس يسانده حكيم بن حزام ، فقد كان رأى هذه المعارضة التى ظهرت (قبل نشوب المعركة) بيوم أو بعض يوم ، تحاشى الاصطدام مع جيش المدينة ، وموادعته والرجوع إلى مكة دونما قتال .

فقد مشى حكيم بن حزام[1] بين قادة جيش مكة يدعو لتأييد هذه المعارضة .

أنت كبير قريش وسيدها

فقد أتى حكيمُ عتبةَ بن ربيعة الأُموى (أول قتيل يوم بدر بين الصفين) وقال .. يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطاع ، فهل لك إلى خير تذكر به إلى آخر الدهر ؟ قال وما ذاك ؟ قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى[2]

(١) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى :: ابن أخى خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها ، كان من سادات قريش ، وكان صديقاً للنبى قبل البعثة ، أسلم عام الفتح ، مات سنة ستين هجرية فى خلافة معاوية :

(٢) عمرو هذا هو الذى قتله المسلمون فى سرية عبد الله بن جحش فى آخر يوم من رجب سنة اثنين هجرية ، وكان حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف :

فقال عتبة : قد فعلت أنت علی ـ أی ضامن علی ـ بذلك ، إنما هو حليفى فعلى عَقْلُه (أی دیته) وما أُصيب من ماله ، وطلب عتبة من حكيم أن يقنع أباجهل الذى فرض نفسه على الجيش قائداً ، لأنه يخشى عناده ومكابرته قائلا : فأْت ابن الحنظلية ـ يعنى أباجهل ـ فإنى لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره .

عتبة يخطب فى جيش مكة

ثم وقف عتبة بن ربيعة خطيباً فى الجيش قائلا ، وداعياً إلى الانسحاب دونما قتال :

يا معشر قريش .. إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً . والله لئن أصبتموه ، لايزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه ، لأنه قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب ، فإن أصابوه ، فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم سالمتموه .

ركب الجمل الأحمر

وقد جاءت محاولة عتبة السلمية هذه مصداقاً لقول النبى ﷺ الذى قال عندما رأى جيش مكة .. إن يكن فى أحد من القوم خير فنى راكب الجمل الأحمر . إن يطيعوه يرشدوا ، وكان راكب الجمل الأحمر هذا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، صاحب هذه المحاولة السلمية .

ولكن أبا جهل لم يكد يعلم بدعوة عتبة بن ربيعة السلمية حتى استشاط غضباً ، ثم اتهم عتبة بالجبن ، والخوف على ابنه من القتل .

فقال لحكيم بن حزام الذى كان رسول عتبة إليه .. قد انتفخ والله سحره[1] حين رأى محمداً وأصحابه .. كلا والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ولكنه رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه فتخوفكم عليه (وكان أبو حذيفة بن عتبة موجوداً فى جيش المسلمين ، لأنه من السابقين الأولين فى الإسلام) ، ثم تزايد غضب أبي جهل وجرّد سيفه فى عصبية زائدة ثم ضرب به متن فرسه ، فقال له أيماء[2] بن رحضة الغفارى وقد رأى الشر فى وجهه : بئس الفأل هذا .

ولما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره – وهى كلمة يقولها العرب لمن غلبه الخوف واستبد به الفزع – سيعلم من انتفخ سحره ، أنا أم هو .

وهكذا ولأمر يريده الله ، تغلّب الطيش على الحكمة والرويّة ، فهزمت معارضة صاحب الجمل الأحمر ، وتغلب رأى أبي جهل ، فحمل جيش مكة على الاصطدام بجيش المدينة .

---

(١) السحر – بفتح السين وسكون الحاء – الرئة وما حولها وانتفاخها كناية عن شدة الخوف وتمكن الفزع .

(٢) أيماء الغفارى هذا كان قد أهدى لجيش مكة عشرة جزائر فنحروها ، ثم أرسل ابنه ليبلغهم أن غفار مستعدة لمدهم بالمتطوعين والسلاح قائلا (إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا ، فشكروه ، وقالوا له : إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ، وإن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة) .

لقد كان أبو جهل من أشد الناس حقداً على المسلمين وبغضاً لنبيهم ، وكان يتميز غيظاً لتمكن النبي من الإفلات من قبضة المشركين فى مكة ، وكان هو صاحب الاقتراح الذى وافق عليه المؤتمرون بدار الندوة ، والذى يقضى بقتل النبي قبل خروجه من مكة .

لهذا اعتبر تقابل الجيشين - مع التفاوت فى العدد والعدة - فرصة ذهبية ، لعله ينال فيها ما يشفى غليله ، بالفتك بالمسلمين فى المعركة التى قضى على كل محاولة قامت للحيلولة بين قريش وبين خوضها .

أبو جهل والأخنس بن شريق

ومع أن أبا جهل يعلم أن محمداً ﷺ لا يكذب فقد أبى عليه حقده الأسود إلا مقاتلته ، فقادته رعونته إلى مصرعه .

فقد روى المؤرخون أن الأخنس بن شريق - الذى رجع ببنى زهرة إلى مكة من منطقة رابغ - خلا بأبى جهل هناك ، وقال له :

يا أبا الحكم أترى محمداً (ﷺ) يكذب ؟؟

فقال أبو جهل : كيف يكذب على الله ، وقد كنا نسميه الأمين ، لأنه ما كذب قط . ولكن إذا اجتمعت فى بنى عبد مناف السقاية والرفادة والحجابة والمشورة . ثم تكون فيهم النبوة ، فأى شئ بقى لنا ؟؟

لا فى العير ولا فى النفير

وهنا يقال إن الأخنس بن شريق الثقفى ، انخنس - أى انفصل -

ببنى زهرة عن جيش مكة وعاد بهم دون أن يشهد أحد منهم بدراً ، وكانوا ثلاثمائة رجل .

وبنو زهرة هؤلاء ، هم الذين قال فيهم أبو سفيان تلك الكلمة التى ذهبت مثلا - يا بنى زهرة لا فى العير ولا فى النفير - لأنهم لم يحضر أحد منهم معركة بدر لم يكن أحد منهم فى العير التى كانت سبب المعركة [١] ، وكان أبو سفيان قد لحق بقريش وشهد معركة بدر بعد أن أوصل العير إلى مكة ، وقد كان أحد الذين جرحوا يوم بدر .

أبو جهل يعجل بالمعركة

على أن أبا جهل لم يكتف بما قاله من تقريع وتوبيخ لقطبى المعارضة (عتبة وحكيم) ولم يكتف بإعلان معارضته ، لدعوتهما السلمية ، بل لخوفه من قيام معارضة أخرى فى الجيش ، دفع به شيطانه إلى التعجيل بالمعركة ، ليجعل الناس أمام الأمر الواقع ، بحيث يصعب عليهم التراجع عن خوضها . فعقب سماعه بدعوة المعارضة إلى موادعة جيش المدينة والانسحاب إلى مكة دون قتال ، استدعى عامر بن الحضرمى [٢] الذى قتل المسلمون أخاه فى سرية عبد الله بن جحش ، وطلب منه أن يقف فى الجيش ليستنهض هممهم لمحو العار عن حليفهم ، بالأخذ بثأر أخيه من قاتليه المسلمين .

---

(١) وفى هذا القول نظر ، لأن مخرمة بن نوفل الزهرى كان أحد الذين سافروا مع العير إلى الشام وعادوا معها .

(٢) وقد قتل ابن الحضرمى هذا فى هذه المعركة .

ابن الحضرمى يشعل الفتيل

فقد قال أبو جهل : يا ابن الحضرمى ، هذا حليفك – يعنى عتبة ابن ربيعة – يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك ؛ فقم فانشد خفْرتك [1] ومقتل أخيك .

ولم يخب ظن طاغية قريش ، فقد نفخ الشيطان فى مناخر ابن الحضرمى ، فوقف (متكشفاً) يصرخ بأعلى صوته فى جيش مكة واعمراه وهذه الكلمة وحدها – فى قانون الجاهلية – كافية لإشعال نار الحرب ، لا سيما فى مثل ذلك الجو المتوتر .

الأمر الواقع

وهنا غلى الدم الجاهلى فى عروق الشرك واشتط الكفر بالعواطف العمياء ، فجمحت جموحاً استقر بأصحابها فى المعركة الدامية .

وتم لأبى جهل ما أراد حيث أفسد على عقلاء قومه خطتهم السلمية ، وظهرت نذر الشر ، تنذر بقرب المعركة ولم يسع الناس – حتى رجال المعارضة – إلا أن يحملوا سلاحهم لخوض المعركة ، لأن أبا جهل ، بتصرفاته الرعناء جعلهم أمام الأمر الواقع .

ولبس زعيم المعارضة – عتبة بن ربيعة – كامل سلاحه وهو يقول – مخاطباً أبا جهل – سيعلم من انتفخ سحره ، أنا أم هو ؟؟ .

حرس قيادة الرسول

أما من ناحية المسلمين ، فبعد أن تمركزوا فى المكان الذى اختاره

---

(١) خفرتك ، بضم الخاء وسكون الفاء ، عهدك :

الحباب بن المنذر ، اقترح حامل لواء الأنصار – سعد بن معاذ – على النبى ﷺ أن يبنى المسلمون مقراً لقيادته . واقترح القائد الأنصارى – استعداد للطوارئ وتقديراً للهزيمة قبل النصر – أن يكون مقر هذه القيادة بمثابة خط رجعة يستطيع الرسول الانسحاب منه واللحاق بالمدينة بسلام ، إذا ما قدر لجيش الإسلام أن ينهزم .

مقر قيادة الرسول

فقد قال سعد بن معاذ : يا رسول الله . ألا نبنى لك عريشاً تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ؟ فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست إلى ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك قوم ، يا نبى الله ، ما نحن بأشد لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك[1] فوافق الرسول ﷺ على هذا الاقتراح ودعا للقائد الأنصارى بخير ، وتم بناء مقر القيادة : عريشاً بناه جنود الإسلام فى مكان مناسب ، وهو مرتفع يقع فى الشمال الشرقى لميدان القتال ويشرف على ساحة المعركة .

وتم إنشاء حرس لقيادة الرسول ، فرقة تم انتخابها من فتيان الأنصار ، وقفوا بقيادة سعد بن معاذ نفسه يحرسون الرسول ﷺ حول مقر قيادته .

---

(١) أيام العرب فى الإسلام ص ١٢ .

دعاء أبى جهل قبيل المعركة

تهيأت قريش للمعركة ، وخرج أبو جهل يحث الناس على القتال وقد روى ابن إسحاق أن أبا جهل ، قبيل نشوب المعركة دعا الله قائلا :

اللهم اقطعنا للرجم وآتينا بما لانعرف ، فاحنه الغداة [1] ، وقد كان المشركون عند خروجهم من مكة إلى بدر ، أخذوا بأستار الكعبة ودعوا بهذا الدعاء :

اللهم انصر أهدى الفئتين وأعلى الجندين وأكرم الحزبين ، وأفضل الدينين . ولا شك أن الله قد أجاب دعاءهم ، فهزم المشركين ونصر رسوله .

وفى دعاء المشركين هذا نزل قول الله تعالى ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ [2] .

الرسول يخطب فى جيشه قبل المعركة

وقد خرج النبى ﷺ يهئ أصحابه للقتال ، وألقى عليهم كلمة قبيل المعركة قال فيها : « والذى نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل صابراً محتسباً ، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » [3] .

وهنا ظهر نموذج من الإيمان الصادق الذى لايقف فى طريقه شيء فقد كان عمير بن الحمام [4] أخو بنى سلمة واقفاً فى الصف ، وفى يده

---

(١) أى اجعل حينه غداً .

(٢) الأنفال آية ١٩ .

(٣) أيام العرب فى الإسلام ص ١٦

(٤) عمير بن الحمام ـ بضم المهملة وتخفيف الميم ـ ابن الجموح الأنصارى السلمى ، كان أول قتيل قتل فى سبيل الله ويقال إن أول قتيل قتل فى المعركة ، مهجع مولى عمر ابن الخطاب .

تمرات يريد أكلهن . ولكنه بعد أن سمع كلمة الرسول ﷺ قذف بهذه التمرات قائلا :

« بخ بخ ، فما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء » ثم أخذ سيفه وغاص فى المشركين يقاتل حتى قتل .

تقديم الرسول نفسه للقصاص

وبينما كان الرسول ﷺ يعدل صفوف جيوشه ، مر بسواد بن غزية وهو خارج عن الصف فطعن فى بطنه بعود كان فى يده قائلا — استو ياسواد — . وهنا تظاهر سواد بالاحتجاج على الرسول ﷺ قائلا :

أوجعتنى يارسول الله . وقد بعثك الله بالحق والعدل ، ثم طلب من الرسول أن يعطى القصاص من نفسه ، قائلا : أقدنى ، فلم يتردد ﷺ ، فى أن يعطى القصاص من نفسه . فقد كشف عن بطنه ﷺ ليقتص منه سواد قائلا له ، استقد — أى اضربنى كما ضربتك .

ولكن سوّاد بدلا من أن يطعن فى بطن الرسول قصاصاً ، أخذ يقبلها ، فقال له الرسول ﷺ : ماحملك على هذا ياسواد ؟ .

قال .. يارسول الله ، حضر ما ترى — يعنى القتال — فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك ، فدعا له الرسول بخير .

ساعة الصفر

وبعد أن عدل الرسول ﷺ الصفوف وهيأها للقتال أصدر أوامره إلى جيشه بأن لا يبدأوا القتال حتى يتلقوا منه الأوامر الأخيرة ، فقال لهم :

« إن اكتنفكم العدو (أى أحاط بكم) فانضحوهم بالنبل » .

وبعد ذلك رجع إلى مقر قيادته وفى معيته مستشاره الأمين الصديق الأكبر[1] ، ووقفت على مقر قيادته كتيبة الحراسة من فتيان الأنصار بقيادة سعد بن معاذ .

ثم توترت الحالة واربد جو المعركة بدخان الموت ، وأخذت الصفوف تقترب من بعضها ، وكان الرسول ﷺ وجلا على مصير المسلمين ، لأنه - أكثر من غيره - يقدر نتائج مثل هذه المعركة ، ويعرف أن هزيمة المسلمين معناها هزيمة الإسلام إلى الأبد

لهذا لجأ ﷺ إلى ربه وأبلغ فى الدعاء قائلا : اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة - يعنى المسلمين - لا تعبد بعدها فى الأرض[2] .

أول وقود المعركة

وبعد أن تواجه الفريقان وحضر الخصمان بين يدى الرحمن ضج الصحابة بصنوف الدعاء ، إلى رب الأرض والسماء سامع الدعاء وكاشف البلاء[3] .

وكان أول وقود المعركة ، هو أحد فدائيى المشركين .. الأسود بن

---

(١) أبو بكر الصديق واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو التيمى القرشى ، أشهر من أن يعرف ، خليفة رسول الله ، ولد بعد الفيل بستتين ، كان أول من أسلم من الرجال ، وفيه قال الرسول ، من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبى بكر ، تولى الخلافة بعد رسول الله ، مات يوم الإثنين فى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة .

(٢) البداية والنهاية ٣ ص ج ٢٧٢ .

(٣) فقه السيرة :

عبد الأسد المخزومى ، كان رجلا شرساً سيء الخلق ، فقد عاهد الله ، ليشربن من حوض المسلمين أو ليهدمنه أو ليموتن دونه .

لذلك انقض من صفوف المشركين ، متحدياً المسلمين ، زاحفاً نحو الحوض ليبر بقسمه ، ولكن حمزة بن عبد المطلب ، أسرع من صفوف المسلمين فاعترضه ، وعاجله – قبل أن يصل إلى الحوض – بضربة من سيفه ، بترت قدمه مع نصف ساقه ، فجثا فى إصرار وعناد ، وزحف نحو الحوض حبواً ليبر بقسمه ، ولكن حمزة رضى الله عنه [1] ثنى عليه بضربة أخرى أتت عليه وهو داخل الحوض .

فإن هذا المخزومى أول قتيل فى المعركة ، وكان قتله بمثابة القتيل الذى أشعل نار المعركة .

فقد خرج بعد ذلك من صفوف المشركين ثلاثة من فرسان قريش وخيرة محاربيهم ، ومن عائلة واحدة ، وهم :

شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابنه الوليد ، وكلهم من أبناء عبد مناف جد النبى ﷺ .

وبعد أن تمركز هؤلاء الأمويون الثلاثة بين الصفين دعوا المسلمين إلى المبارزة ، فسارع بالخروج إليهم ثلاثة من فتيان الأنصار ، وهم عوف ومعوذ أبناء عفراء [2] ، وعبد الله بن رواحة [3] وكما هى عادة

---

(١) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم النبى صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة ، أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب ، كان شجاعاً مهيباً ، وكان من السابقين الأولين فى الإسلام ، نصر رسول الله فى كل موطن حتى استشهد فى معركة أحد ، قتله عبد حبشى واسمه وحشى ، قذفه بحربة على بعد منه ، فأصابت ثنته وخرجت من بين رجليه رضى الله عنه .

(٢) معوذ وعوف أبناء عفراء الخزرجيين استشهدا يوم بدر واشترك معوذ فى قتل أبى جهل .

(٣) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجى الأنصارى أحد السابقين إلى الإسلام

المبارزة ، سأل القرشيون هؤلاء الثلاثة من أية قبيلة هم ؟؟ .

فانتسبوا لهم ، وعندما علموا أنهم من الأنصار ، أثنوا عليهم وقالوا أكفاء كرام ، ولكنهم رفضوا مبارزتهم ، وطلبوا منهم العودة إلى صفوفهم قائلين .. إنما نريد أكفاءنا من قومنا ، فرجع الأنصار الثلاثة إلى صفوفهم دونما قتال .

تصارع الأسرة بين الصفين

ولما علم الرسول برغبة فرسان المشركين الثلاثة أصدر أمره إلى ثلاثة من أسرتهم وهم ، حمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث [1] ، وعلى ابن أبي طالب وكلهم من بنى عبد مناف ، أمرهم بالخروج إلى أقربائهم لمبارزتهم حسب رغبتهم ، فخرجوا إليهم فى الحال ، وبعد أن انتسبوا لهم وتأكدوا من أنهم من أسرتهم ، قالوا .. أكفاء كرام ..

ثم أنشبوا الصراع بينهم ، فانفرد كل واحد منهم بصاحبه الذى اختاره ورضيه ، فبارز الوليد علياً وكانا أصغر المتبارزين ، وبارز عبيدة شيبة ، أما حمزة فقد بارز عتبة .

أما على فلم يمهل صاحبه أن قتله ، وكذلك حمزة فقد قضى على خصمه عتبة فى الحال ، أما عبيدة – وكان أسن القوم – وشيبة فقد ضرب كل

= وكان أحد النقباء الذين تولوا إبرام معاهدة العقبة فى منى مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، تولى قيادة الجيش فى معركة مؤتة فى الأردن واستشهد فى تلك المعركة التى أدارها ضد القوات الرومانية .

(١) هو عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف ، كان من السابقين فى الإسلام ، وكان رأس بنى عبد مناف ، كان ثانى مسلم حمل راية فى الإسلام ، جرح فى هذه المبارزة ومات متأثراً بجرحه فى وادى الصفراء ، أثناء عودة الجيش إلى المدينة .

منهما صاحبه ضربة مميتة لم يقو على التحرك بعدها من مكانه ، فمات شيبة مكانه ، واحتمل على وحمزة عبيدة إلى معسكر المسلمين ، ومخ فخذه المبتور يسيل ، وما لبث طويلاً أن لفظ أنفاسه الكريمة بين يدى رسول الله ﷺ [1] . وبينما كان يجود بنفسه – ورأسه على قدمى رسول الله ﷺ قال يا رسول الله ، لو رآنى أبو طالب ، لعلم أنى أحق بقوله :

ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

البداية السيئة

كانت نهاية هذا المبارزة بداية سيئة للمشركين ، حيث فقدوا فى المرحلة الأُولى من المعركة ثلاثة من قادتهم وخيرة فرسانهم ، فقد كان مصرع هؤلاء الفرسان الثلاثة بمثابة ضربة موجعة مثيرة .

الهجوم العام

لذلك استشاط المشركون غضباً ، وشدوا على المسلمين شدة رجل واحد – بعد أن مهدوا لهجومهم بسيل منهمر من سهامهم ، صبوه على صفوف المسلمين ، ثم اندفعوا نحوهم وبهذا اندلعت نيران المعركة ، ولمعت السيوف فى النقع وكأنها الكواكب تهوى فى الظلام .

المسلمون فى موقف الدفاع

وتلقى المسلمون هجوم المشركين وهم مرابطون فى مواقعهم ، كما

---

(١) مات عبيدة رضى الله عنه (والمسلمون عائدون إلى المدينة بوادى الصفراء)

أمرهم الرسول الذى قال لهم (قُبيل نشوب المعركة) : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ، ولا تحملوا حتى تؤذنوا .

ولقد كان لهذه الخطة الحربية الحكيمة التى وضعها الرسول ﷺ ، أكبر الأثر فى تعزيز موقف المسلمين وإضعاف عدوهم .

وذلك أن المسلمين ـ بوقوفهم موقف الدفاع ـ عندما بلغ الهجوم القرشى ذروته ، قد ألحقوا بالمشركين خسائر فادحة ، أثناء هجماتهم المتتالية التى شنوها فى حنق على صفوف المسلمين التى ظلت ثابتة تصارع مكانها ، حتى استنفدت ما عند العدو من حماس وعزيمة .

الهجوم المضاد

وبعد أن ذهبت حدة هجمات العدو وفتر حماس جنده ، صدرت الأوامر إلى كتائب الإسلام أن يهجموا على العدو .

فقاموا بهجوم مضاد كاسح فاتسع نطاق المعركة ، بعد أن مالت صفوف المسلمين المنظمة على جموع المشركين ، التى بعثرها تكرار الهجمات الفاشلة التى لم يفلح بها المشركون فى إزاحة طوابير المسلمين عن مراكزها .

وبينما كانت المعركة محتدمة والفوارس وسط أتونها بين كر وفر ، كان الرسول ﷺ فى مقر قيادته يرقب بسالة جنوده وجلد قواده فى إشفاق ورجاء .

روى البخارى أن النبى ﷺ كان وقت اشتداد المعركة يقول (وهو فى مقر قيادته ، متوجها إلى ربه) اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن

شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً ، فأخذ أبو بكر بيده ـ وكان معه فى المقر ـ وقال : حسبك يا رسول الله ألححت على ربك .

قال ابن إسحاق : وخفق النبي ﷺ خفقة فى العريش (أى أدركه النعاس) ثم انتبه فقال .. أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع .

وقد اشتركت الملائكة فى المعركة لتقوية الروح المعنوية فى نفوس المسلمين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا بقوله :

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [1] .

ويظهر أن الملائكة لم يشتركوا فى القتال وإنما جاءوا لتقوية قلوب المسلمين ورفع روحهم المعنوية ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى ﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم ﴾ [2] .

النبى فى المعركة

وعندما استعر لهيب المعركة اقتحمها النبى ﷺ بنفسه وراع المشركين أن رأوا النبى القائد يخوض غمار المعركة بنفسه ، ومعه حرس قيادته وعامة أصحابه يندفعون نحو عدوهم كالسيل ، يدمرون كل قوة تقف فى طريقهم ، والنبى فى مقدمتهم ، يثب فى درعه وهو

(١) الأنفال آية ٩ ، ١٠ :

(٢) قال الشوكانى فى تفسيره عند تفسير هذه الآية ـ وفى هذا إشعار بأن الملائكة لم يقاتلوا ، بل أمد الله المسلمين بهم للبشرى لهم وتطمين قلوبهم وتثبيتها .:

يقول ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ ﴾ .

الهزيمة الساحقة

وبعد قتال مرير ضار ظهرت علامات الاضطراب فى صفوف المشركين غير المنظمة ، وأخذت هذه الصفوف ـ أمام حملات المسلمين العنيفة ـ تتهدم كجدران الطين العتيقة التى تخلل الماء أصولها .

وهكذا اقتربت المعركة من نهايتها ، فدب الهلع فى نفوس قريش ، ثم أخذت جموعها فى الفرار فعمت الهزيمة وركب المسلمون ظهور المشركين يأسرون ويقتلون ، وصاح النبى – وهو يرى صرح الطغيان يتحطم ، وكبرياء الجاهلية يتمرغ فى وحل الهزيمة ـ « شاهت الوجوه » .

صمود أبى جهل وعناده

ولقد حاول أبو جهل – عندما بدأ التصدّع فى صفوف جيشه ـ حاول أن يصمد فى وجه سيل الهزيمة النازل بجيش مكة ويوقفه ، فأخذ يصرخ (فى عناد وشراسة ومكابرة) خذوهم أخذاً ، واللات والعزى لا نرجع حتى نفرّق محمداً وأصحابه فى الجبال .

ولكن أنى لصيحات الطيش والغرور هذه أن تفيد ، وقد عمت الهزيمة وحال وقعها المزلزل بين صوت أبى جهل العنيد المكابر ، وبين الوصول إلى سمع أى فرد من أفراد جنوده الذين بعثرتهم الهزيمة المدمرة هنا وهناك

ومن الناحية العسكرية فإنه لا يسع المنصف إلا أن يعترف لهذا الطاغية بالشجاعة الفذة ، وأنه على مستوى أولئك القادة الشجعان الذين لا يهابون الموت عندما تلمع بروقه وتهدر رعوده ، فقد أثبت أبو جهل (يوم بدر) أنه مثال ناطق للعناد والمكابرة ، فقد ظل - بالرغم من نزول الهزيمة الساحقة بجيشه - يقاتل فى شراسة وعناد وهو يقول :

ما تنقم الحرب الشَّموس منِّى بازِل عامين حديث سنِّى

لمثل هذا ولدتنى أمى

وثبت معه جماعة من هيئة أركان حربه - فيهم ابنه عكرمة (٢) وأخذوا يذبون عنه وضربوا حوله سياجاً من سيوفهم وأقاموا حواليه غابات من رماحهم يصدون بها كل من حاول الوصول إليه .

ولكن العاصفة كانت أقوى .

---

(١) واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى كان رأس الكفر وحامل لواء العداوة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد فرض نفسه قائداً عاماً لجيش الشرك يوم بدر فأخزاه الله .

(٢) كان عكرمة كأبيه من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبرز الساعين لمعركة أحد والمحرضين عليها ضد المسلمين ، وقد أهدر النبى دمه بعد فتح مكة ، فلحق باليمن ، ولكنه عاد إلى مكة فعفا عنه الرسول ، ثم أسلم وصار من أبطال الإسلام وأشد المحاربين فى جانبه ، قاد عدة حملات ضد المرتدين فى جنوب الجزيرة ، وقد أخضع المرتدين فى حضرموت ، شهد معركة اليرموك ، وكان قائد كتيبة الفدائيين التى ألفها أثناء المعركة عندما اشتد ضغط الهجوم الرومانى على صفوف المسلمين وكاد يحطمها ، فقد نادى عكرمة آن ذاك ، لقد قاتلت رسول الله فى كل موطن وأفر اليوم لا والله ، ثم نادى من يبايعنى على الموت ، فانضوى تحت لوائه أربعمائة ، منهم سليمان بن خالد بن الوليد ، فقذف بهذه الكتيبة الانتحارية حيث قوة الهجوم الرومانى فأوقفه فأباد الرومان هذه الكتيبة ، بما فيها عكرمة نفسه ولكن هذه الإبادة كانت ثمناً لنصر حاسم ساهمت هذه الكتيبة فى تحقيقه للمسلمين وكان ذلك سنة خمس عشرة فى خلافة عمر :

فقد مزقت رياح النصر العاتية ، سياج السيوف ، واقتلعت غابات الرماح المزروعة حول أبى جهل حيث طارت هذه الرماح أمام حماس المسلمين وقوة بأسهم ، وتخلى حرس الشرك عن قائده ، أمام ضغط المسلمين المتزايد ، الذين ساد هتافهم أرجاء المعركة وهم يرددون : أحد أحد .

وأهوت سيوف الإسلام إلى دعامة الشرك الكبرى ، فخر أبو جهل صريعاً يتخبط فى دمه ، بعد أن قاتل قتالا ضارياً .

قاتل أبى جهل

وكان الذى صرع أبا جهل هو معاذ بن عمرو[1] بن الجموح الأنصارى ، فقد عرفه وهو وسط غابة من الرماح التى أقامها أركان حربه حوله ، فظل يترقبه ، حتى سنحت له الفرصة ، عندما بانت له فرجة فى نطاق الرماح المضروبة حوله ، فانقض نحوه كالصقر ثم ضربه ضربة بترت قدمه مع نصف ساقه ، فخر صريعاً يتخبط فى دمه[2]

---

(١) هو معاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد الخزرجى الأنصارى ، أحد الأنصار الذين شهدوا بيعة العقبة .

(٢) قال ابن إسحاق : وكان أول من لقى أبا جهل — كما حدثنى ثور بن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبد الله بن أبى بكر أيضاً قد حدثنى ذلك ، قالا .. قال معاذ ابن عمرو بن الجموح أخو بنى سلمة .. سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرجة وهم يقولون .. أبو الحكم لا يخلص إليه ، قال .. فلما سمعتهم جعلته من شأنى فصمدت نحوه ، فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه (أى أطارتها) بنصف ساقه ، فو الله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة (أى بذرة التمر) تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها ، قال .. وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى ، فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى ، وأجهدنى القتال عنه ، فلقد قاتلت عامة يومى وإنى لأسحبها خلفى ، فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها ، ثم مر بأبى جهل (وهو عقير) معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته فتركه وبه رمق .

غير أن ابنه عكرمة الذى كان بجانبه كر على ابن الجموح فضربه بسيفه ضربة فصلت يده من العاتق ، وبالرغم من ذلك ظل البطل يقاتل بيد واحدة وعاش حتى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه .

أما أبو جهل فقد شغل عنه قومه الفرار بأنفسهم ، فتركوه صريعاً بالعراء ومر به معوذ بن عفراء فأوجعه طعناً وتركه يجود بنفسه ، وتفرق المشركون من صناديد مكة وفرسانها منهزمين بعده بدداً ، فاستقبلتهم فجاج الصحراء ، وكأنهم غزلان أهاجها الصياد .

حماقة أبى جهل

وهكذا جنت قريش ثمار حماقة أبى جهل ورعونته ، حيث هزمت هزيمة لم تعرف مثلها فى تاريخها الطويل .

لقد فر المشركون بعد أن مزقتهم سيوف الإسلام ، فتاهوا فى الوديان والوهاد فراراً بأرواحهم ، بعد أن تركوا سبعين قتيلا فى ساحة المعركة ، وسبعين أسيراً تحت رحمة المسلمين .

الأسرى من بنى هاشم

وقد وقع فى أسر المسلمين عدة من رجالات بنى هاشم اشتركوا فى المعركة ضد المسلمين بعد أن خرجوا من مكة مكرهين ، وكان على رأس هؤلاء الأسرى العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ . وكان النبى قد أصدر أمره ـ قبل نشوب المعركة ـ بأن لا يقتل جنده أحداً من بنى هاشم ، ممن خرجوا مع قريش .

وقد جاء فى أمره هذا قوله ..

إنى عرفت رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقى أحد منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله . ومن لقى أبا البحترى بن هشام فلا يقتله .

الابن يقاتل أباه

وكان أبو حذيفة [١] بن عتبة بن ربيعة رضى الله عنه موجوداً فى جيش المسلمين ، فقال عند سماع الأمر النبوى أنقتل آباءنا وإخواننا وعشيرتنا ، ونترك العباس ؟؟ والله إن لقيته لألحمنه بالسيف [٢] ، وكان عتبة بن ربيعة ، والد أبى حذيفة المذكور ، وعمه شيبة وابن عمه الوليد أول من قتل من المشركين مبارزة .

وعندما بلغت رسول الله ﷺ مقالة أبى حذيفة قال – وعنده عمر بن الخطاب [٣] حاضراً – يا أبا حفص ، أيضرب وجه عم رسول الله؟

فقال عمر ، يا رسول الله دعنى أضرب عنقه بالسيف فو الله لقد نافق ، ولكن الرسول لم يسمح بأن يمس أبو حذيفة بأى أذى .

---

(١) أبو حذيفة ، اسمه هشيم وقيل هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان من السابقين إلى الإسلام ، هاجر الهجرتين ، وكان طوالا حسن الوجه ، دعا أباه عتبة إلى البراز يوم بدر فامتنع ، قتل شهيداً فى محاربة المرتدين فى اليمامة :

(٢) الحمتك عرض فلان ، امكنتك منه ، وألحمته سيفى مكنته منه .

(٣) هو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى القرشى ، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، غنى عن التعريف ، ثانى الخلفاء الراشدين أشهر من أن نعرف الناس به ، تولى الخلافة بعد أبى بكر وبويع له بها سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، فسار أحسن سيرة ، وكان مثلا أعلى فى العدل والنزاهة والورع ، قتل فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، طعنه الشقى أبو لؤلؤة ، فيروز الفارسى غلام المغيرة بن شعبة بعد أن كبر يصلى بالناس ، وقتل أبو لؤلؤة بعد أن طعن ثلاثة عشر رجلا فى المسجد مات منهم ستة رضى الله عنهم :

وقد ندم أبو حذيفة رضى الله عنه على ما بدر منه ، وكان يقول دائماً — ما آمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عنى الشهادة ، فقتل شهيداً يوم اليمامة رضى الله عنه .

الاعتراف بالجميل لغير المسلم

وقد نفذت تعليمات الرسول ﷺ فلم يقتل أحد من بنى هاشم فى جيش المشركين ، ولكن الرسول إذا كان قد أمر بعدم قتلهم ، فإنه لم يمنع المسلمين من أسرهم ووضعهم فى القيود ، فقد أسروا جميعهم وسيقوا فى القيود مع الأسرى إلى المدينة .

أما أبو البحترى بن هشام — وهو غير هاشمى — فقد نهى الرسول عن قتله ، اعترافاً بفضله وتقديراً لمواقفه المشرفة التى وقفها أيام محنة الإسلام فى مكة ، قبل الهجرة ، حيث لم يصدر منه أى إيذاء للرسول ﷺ بل كان على رأس النفر من عقلاء المشركين الذين عملوا على تحطيم الحصار الاقتصادى الذى ضربته قريش على بنى هاشم وبنى المطلب فى الشعب ، فقد كان أبو البحترى هذا فى مقدمة الرجال الذين استنكروا هذا الحصار ، وعملوا على تمزيق الصحيفة التى علَّقها أعداءُ محمد ﷺ فى جوف الكعبة ، بعد أن وقَّعت عليها جميع قبائل قريش بمقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب اقتصادياً واجتماعياً ، لوقوفهم (قبلياً) بجانب النبى ، كما هو مفصل فى أول هذا الكتاب .

مقتل أبى البحترى

ولكن أبا البحترى النبيل هذا قد قتل فى المعركة بالرغم من الأوامر

النبوية الصادرة بعدم قتله ، وذلك أن المجذر[1] بن زياد البلوى قد لقيه فى المعركة ، وقال له يا أبا البحترى إن رسول الله قد نهانا عن قتلك ، وكان مع أبى البحترى زميل له يقاتلان سويا — فقال وزميلى؟.

فأبلغه المجذر أن الأمر صادر بشأنه فقط ، أما زميله فلا يمكن تركه بتاتاً .

فرفض أبو البحترى الحياة ، وقال ، إذن ، لأموتن أنا وهو جميعاً ثم اندفع يقاتل وهو يقول :

لن يسلم ابن حرة زميله   حتّى يموت أو يرى سبيله

فاضطر المجذر إلى مقاتلته ، فما زال يجاوله حتّى قتله .

انتهاء المعركة ورأس أبى جهل

وبعد ان انتهت المعركة أمر الرسول بجمع الغنائم والأسلحة التى غنمها المسلمون ، فأخذ الجند فى جمعها .

كما أمر النبى ﷺ بالتحقق من مصير الطاغية أبى جهل ، وأخبر من لم يعرفه ، بأن به علامة فارقة — أثر جرح فى ركبته أصابه على أثر عراك حدث بينه وبين النبى وهما غلامان صغيران فى مكة — فانتشر الجند فى أرجاء المعركة يبحثون عن أبى جهل ..

---

(١) هو المجذر بن زياد بن عمرو بن أخزم البلوى ، وبلى — بفتح الباء وكسر اللام — قبيلة عظيمة من قضاعة من القحطانية ، مساكنها تقع بين المدينة ووادى القرى .. شهد المجذر أحداً وقتل فيها شهيداً ، كان المجذر فى الجاهلية قتل سويد بن الصامت ، فلما كان يوم أحد قتل الحرث بن سويد المجذر غدراً وكان فى جيش المسلمين ثم هرب إلى مكة مرقداً ثم أسلم بعد الفتح فقتله الرسول صلى الله عليه وسلم بالمجذر .

لقد ارتقيت مرتقاً صعباً

وبينما عبد الله بن مسعود[1] يبحث مع الباحثين ، إذا به يجد دعامة الشرك مجندلا وبه آخر رمق ، فاقترب منه ، وبعد أن وضع رجله على عنقه ليحتز رأسه قال له :

هل أخزاك الله ، يا عدو الله ؟؟

فقال أبو جهل ، وبما أخزانى ، أأعمد من رجل قتلتموه؟؟[2] .

أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟؟!

فقال ابن مسعود ، لله ولرسوله وللمؤمنين .

فقال أبو جهل لابن مسعود ـ وكان باركاً على صدره ليحتز رأسه ـ لقد ارتقيت مرتقاً صعباً يا رويعى الغنم ـ وكان ابن مسعود من رعاة الغنم فى مكة .

فرعون هذه الأمة

وبعد أن وضع ابن مسعود رأس أبى جهل بين يدى الرسول ، قال له ، هذا رأس عدو الله أبى جهل بن هشام فقال النبى ـ آلله الذى لا إله

---

(١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى أبو عبد الرحمن ، صحابى شهير ، كان من أكابر الصحابة علماً وعقلا وورعاً ، ومن السابقين الأولين فى الإسلام ، وهو من أهل مكة ، كان أول من جهر فى مكة بقراءة القرآن ، كان خادماً مخلصاً للرسول صلى الله عليه وسلم ، وصاحب سره (سكرتيره بلغة هذا العصر) ورفيقه فى حله وترحاله ، وغزواته ، وكان يدخل عليه فى كل وقت ، وكان قصيراً جداً ، بحيث يكاد الجلوس يوارونه ، تولى وظيفة بيت المال فى الكوفة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم توفى رضى الله عنه فى خلافة عثمان نحو ستين عاماً .

(٢) أأعمد من رجل قتلتموه يعنى بها : وهل أعظم من رجل قتله قومه ؟ .

إلا هو ؟؟ فأكد له ابن مسعود ذلك ، ثم قال رسول الله وقد وقف على رأس الطاغية ، الحمد لله الذى أخزاك الله يا عدو الله ، هذا فرعون هذه الأمة .

القتلى فى القليب والأسرى فى القيود

وبعد أن جمع المسلمون الأسلاب والغنائم ووضعوا الأسرى فى القيود أمر الرسول ﷺ بنقل جثث قتلى البغى والعدوان وطرحها فى قليب مهجور بالقرب من ساحة المعركة .

وقد كان جمهور جند الإسلام حاضراً يشهد سحب جثث المشركين وإلقاءها فى القليب .

وقد تجلت فى معركة بدر مناظر رائعة ، برزت فيها قوة العقيدة وثبات المبدإ ، فقد قاتل الابن أباه والأخ أخاه ، وكان أحد هؤلاء أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة واقفاً مع رسول الله ﷺ يشهد إلقاء الجثث فى القليب.

نموذج رائع للشباب المؤمن

وبينا هو كذلك واقفاً مستبشراً ، إذا بوجهه يتغير وتعلوه سحابة من الكآبة والحزن ، فقد رأى جثة أبيه عتبة بن ربيعة تسحب بين الجثث لإلقائها فى القليب .

وقد لحظ الرسول ﷺ ذلك فى وجه الشاب المؤمن ، فخاطبه قائلا :

« يا أبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء » أو كما قال ؟؟

فقال الشاب المؤمن - وقد اجتاح الأسى كل جوانب قلبه - لاوالله يارسول الله ، ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكننى أعرف من أبى رأيا وحلماً وفضلا ، وكنت أرجو أن يهديه الله للإسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجوه أحزننى ذلك ، فدعا له الرسول ﷺ بخير وقال له خيراً .

ولقد كان أبو حذيفة صادقاً ، فقد كان أبو عتبة ، هو الذى قال فيه الرسول - كما تقدم - وقد رآه قبل المعركة راكباً جمله الأحمر .. إن يكن فى أحد من القوم خير ، ففى راكب جمله الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا ، كما أن عتبة هذا هو الذى حمل لواء المعارضة فى جيش مكة فى بدر ودعا إلى موادعة النبى والعودة إلى مكة بالجيش دونما قتال ، ولكن أبا جهل جعله - كما تقدم - أمام الأمر الواقع .

ابن الخطاب يقتل خاله

وقد كان من روائع الثبات على العقيدة التى تجلت فى معركة بدر أن قتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة ، كما طلب أبو بكر الصديق مبارزة ابنه عبد الرحمن الذى كان فى جيش المشركين.

أين دعاة العنصرية ؟ .

فأين دعاة القومية العنصرية الذين يزعمون (زوراً وكذباً) أن رابطة الدم واللغة أقوى من رابطة العقيدة والدين ؟ .

أليس أول وقود اشتعلت به معركة بدر الفاصلة ، هو دم الأقربين الذى أسالته سيوف الأسرة الواحدة ؟ .

فهل أسال حمزة وعبيدة وعلى أبناءُ هاشم بن عبد مناف ، دماء إخوانهم شيبة وعتبة والوليد أبناء عبد شمس بن عبد مناف .. هل أسالوا تلك الدماء القريبة إليهم والغالية عليهم ، على مذبح القومية والعنصرية ؟؟ أم أسالوها فى سبيل العقيدة والدين ؟؟

إنه صراع المبادئ والعقائد ، لا صراع القوميات والنعرات ، ذلك الذى خاضته جيوش الإسلام فى ضراوة وتصميم حتّى بنت للعرب قبل غيرهم (وعلى قمة الزمان) أعظم مجد شهدته الدنيا من لدن آدم حتّى يومنا هذا .

لقد رسم يوم بدر أروع نموذج حى للثبات الصادق على العقيدة ، لقد آخى الإسلام فى هذا المعركة بين الأبعدين وباعد الكفر بين الأشقاء والأقربين .

شد يديك به

بعد انتهاء معركة بدر ، مر الصحابى الشهير مصعب بن عمير [١] بأخيه أبى عزيز بن عمير [٢] الذى خاض المعركة ضد المسلمين ، مر به

(١) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى أحد السابقين إلى الإسلام ، كان قد أسلم قديماً والنبى فى دار الأرقم وكان شاباً يكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه ، ولما علم أهله بإسلامه أوثقوه ولم يزل محبوساً إلى أن هرب إلى الحبشة مع من هاجر ، هاجر الهجرتين ، شهد بدراً ثم شهد أحداً وكان صاحب لواء المسلمين . استشهد يوم أحد (رضى الله عنه) .

(٢) اسمه زرارة ، واختلف فى إسلامه ، قال أبو عمر بن عبد البر له صحبة وسماع من النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال الدارقطنى إنه قتل كافراً يوم أحد والله أعلم .

وأحد الأنصار يضع القيود فى يده ، فقال مصعب للأنصارى شد يديك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب :

أهذه وصاتك بى ؟؟ فقال مصعب إنه (أى الأنصارى) أخى دونك.

ما قاله الرسول لأهل القليب

وذكر ابن إسحاق أن النبى ﷺ – بعد أن تم إلقاء جثث قتلى المشركين يوم بدر فى القليب – وقف عليهم وقال :

يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقاً ، وفى رواية أخرى أنه قال :

يا أهل القليب ، بئس عشيرة النبى أنتم ، كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس .

فقال له أصحابه أتكلم قوماً قد ماتوا؟؟ فقال لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً ، قالت عائشة رضى الله عنها والناس يقولون إنه قال لقد سمعوا ما قلت لهم .



الفصل الخامس

- مخلفات المعركة .
- عدد قتلى الفريقين وأسماؤهم .
- عدد أسرى المشركين وأسماؤهم .
- عدد البدريين من الصحابة وأسماؤهم .
- القرآن يتحدث عن المعركة .

وهكذا انتهت معركة بدر التى خاضها المسلمون ، وهم على غير استعداد لها .. انتهت بنصر عظيم للمسلمين ، وهزيمة ساحقة لأعدائهم الذين خسروا فى هذه المعركة سبعين قتيلا بينهم أكثر من عشرين من قادتهم وزعمائهم ، كما وقع فى أسر المسلمين أيضاً سبعون محارباً بينهم كثير من الزعماء والقادة .

قتلى الفريقين فى المعركة

لقد خسر المسلمون فى معركة بدر أربعة عشر رجلا .. ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ، أما شهداءُ المهاجرين فهم :

أ — من بنى المطلب بن عبد مناف ، رجل واحد ، وهو :

١ – عبيدة بن الحارث بن المطلب [١] .. قطع رجله عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس بن عبد مناف (أثناء المبارزة) ، فحمله الجيش جريحاً حتى مات بوادى الصفراء ، والجيش فى طريقه إلى المدينة .

ب – من بنى زهرة بن كلاب ، رجلان ، وهما :

١ – عمير بن أبى وقاص [٢] ، أخو سعد بن أبى وقاص .

٢ – ذو الشمالين [٣] ابن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى (حليف لهم) .

ج – من بنى عدى بن كعب بن لؤى ، رجلان :

١ – عاقل بن البكير [٤] . حليف لهم . وهو من بنى سعد بن ليث ابن عبد مناة بن كنانة .

---

(١) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، أبو الحارث ، كان من فرسان قريش وأبطالها فى الجاهلية والإسلام ، ولد بمكة ، وكان إسلامه سابقاً على دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وكان ثانى قائد عقد له النبى صلى الله عليه وسلم لواء فى الإسلام ، وذلك حينما بعثه للقيام بدورية استطلاع فى السنة الأولى من الهجرة قوامها ستون راكباً ، وهى الدورية التى التقت بأبى سفيان فى موضع يقال له (ثنية المرة) وكان أبو سفيان فى أكثر من مائتى راكب .

(٢) هو عمير بن أبى وقاص بن أبى أهيب الزهيرى ، قتله عمرو بن عبد ود العامرى الذى قتله يوم الخندق على بن أبى طالب ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد رد عميراً ولم يسمح له بالقتال عندما استعرض جيشه لصغر سنه ، فبكى عمير تألماً لمنعه من الاشتراك فى المعركة وعند ذلك سمح له الرسول صلى الله عليه وسلم بالقتال فاستشهد رضى الله عنه .

(٣) ذو الشمالين هذا من قبيلة خزاعة ، ثم من هذيل ، من العدنانيين الذين تقع منازلهم الآن فى وادى فاطمة ، والحبيت بالقرب من القنفذة ، والرواك الواقعة إلى الشرق الجنوبى من بحر والصيم – بكسر الصاد – وعبد عمرو هذا وهو ، ذو اليدين الذى نبه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سلم من ركعتين فى صلاة رباعية وقال له .. : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟

(٤) عاقل هذا ، كان أول من بايع النبى صلى الله عليه وسلم فى دار الأرقم بمكة أيام المحنة ، فكان من السابقين الأولين فى الإسلام وكان اسمه غافلا ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عاقلا ، يرجع نسب عاقل بن البكير إلى عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة .

٢ – مهجع [١] مولى عمر بن الخطاب .

د – من بنى الحارث بن فهر ، رجل واحد . وهو :

١ – صفوان بن بيضاء [٢] .

عدد شهداء الأنصار وأسماؤهم :

أما شهداءُ الأنصار فهم :

أ – من بنى عمرو بن عوف (بطن من الخزرج) رجلان ، وهما :

١ – سعد بن خيثمة [٣] .

٢ – مبشر بن عبد المنذر بن زنبر [٤] .

---

(١) قال ابن حجر فى الإصابة : مهجع العكى مولى عمر بن الخطاب ، قال ابن هشام : أصله من عك فأصابه سبأ ، فمن عليه عمر بن الخطاب فأعتقه ، فكان من السابقين فى الإسلام ، وهو أول شهيد قتل يوم بدر ، وقد روى عن ابن العباس أن مهجع هو الذى أنزل الله تعالى فيه قوله ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ﴾ الآية .

(٢) هو صفوان بن وهب بن ربيعة بن هلال الفهرى قتله يوم بدر طعيمة بن عدى النوفلى .

(٣) هو سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك الخزرجى ، كان من السابقين فى الإسلام وأحد النقباء الإثنا عشر الذين كفلوا قومهم فى بيعة العقبة ، استهم سعد وأبوه خيثمة يوم بدر ، فخرج سهم سعد (وكان شاباً) فقال له أبوه آثرنى اليوم ، (أى اسمح لى بأن أخرج إلى بدر بدلا منك) فقال له سعد : يا أبت لو كان غير الجنة لفعلت ، فخرج سعد رضى الله عنه فقتل شهيداً فى بدر ، وهنا يجب أن يقف الشباب المسلم (عند هذا الخبر) وقفة اعتبار وتدبر ، ليرى أى شباب كان الإسلام يعتمد عليه ، ومن يتمعن فى تاريخ هذا الشباب المسلم من أمثال سعد بن خيثمة ، سيدرك سر ذلك الإعصار الذى أطاح بإمبراطوريتين عظيمتين فى أقل من عشرين سنة على أيدى أولئك البدو الذين انطلقوا من الكهوف وأغوار الوديان حفاة شبه عراة .

(٤) هو مبشر بن المنذر بن زنبر الخزرجى الأنصارى أخو أبى لبابة الصحابى المشهور الذى رده النبى صلى الله عليه وسلم من الروحاء وهم فى طريقهم إلى بدر ، وجعله أميراً على المدينة مدة غيابه .

ب - ومن بنى الحارث بن الخزرج (بطن من الخزرج) رجل واحد، وهو :

١ - يزيد بن الحارث ، وهو الذى يقال له (ابن فسحم) [١] .

ج - ومن بنى سلمة (بطن من الخزرج) رجل واحد ، وهو :

١ - عمير بن الحمام [٢] .

د - ومن بنى حبيب (بطن من الخزرج) رجل واحد ، وهو :

١ - رافع بن المعلى [٣] .

هـ - ومن بنى النجار (بطن من الأوس) رجل واحد ، وهو :

١ - حارثة بن سراقة بن الحارث [٤] .

و - ومن بنى غنم (بطن من الأوس) رجلان ، وهما :

١ - عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد .

٢ - أخوه ، معوذ بن الحارث .. وهذان الأخوان هما أبناء عفراء [٥]

---

(١) هو يزيد بن الحارث (أو الحرث) بن قيس بن مالك الأنصارى الخزرجى وهو المشهور (بابن فسحم) آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد عمرو المعروف بذى الشمالين :

(٢) هو عمير بن الحمام (بضم الحاء وتخفيف الميم) بن الجموح بن زيد بن حرام الخزرجى الأنصارى ، وهو الذى قذف بتمرات كان يأكلهن وهو فى الصف ، وغاص فى المشركين فقاتلهم حتى قتل بعد أن قال بخ بخ أفما بينى وبين الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء (كما ذكرنا ذلك فى صلب الكتاب) :

(٣) هو رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة الخزرجى الأنصارى ، قتله عكرمة ابن أبى جهل

(٤) هو حارثة بن سراقة بن الحارث الأنصارى الأوسى النجارى ، لم أطلع له على ترجمة أكثر من هذا فى الإصابة :

(٥) عوف ومعوذ هذان اشتركا فى قتل أبى جهل بعد أن جرحه أحد الأنصار كما تقدم .

عدد قتلى المشركين وأسماؤهم

أما خسائر المشركين من القتلى فى معركة بدر فقد بلغت سبعين رجلا وهم كما يلى :

أ ـ من بنى عبد شمس بن عبد مناف إثنا عشر رجلا ، وهم :

١ ـ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .. جرحه عبيدة بن عبد المطلب.

٢ ـ شيبة بن ربيعة بن عبد شمس .. جرحه عبيدة بن الحارث ، وذفف عليه على بن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب .

٣ ـ الوليد بن عتبة .. قتله على بن أبى طالب .

٤ ـ حنظلة بن أبى سفيان بن حرب .. قتله زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ .

٥ ـ الحارث بن الحضرمى . (حليف لبنى عبد شمس) .. قتله النعمان بن عصر .

٦ ـ عامر بن الحضرمى (حليف لهم أيضاً) .. قتله عمار بن ياسر[1]

---

(١) هو عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسى اليمانى ، أبو اليقظان ، (حليف بنى مخزوم) وأمه سمية كانت مولاة لهم . كان عمار من السابقين فى الإسلام ، هو وأبوه ، وكانوا ممن يعذب فى الله فى مكة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يمر عليهم فيقول : « صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة » هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شهد اليمامة فى جيش خالد بن الوليد فقطعت أذنه بها ، ثم استعمله عمر على الكوفة ، وكان أول من أظهر إسلامهم بمكة سبعة ، منهم عمار بن ياسر ، كما ذكره ابن ماجه ، وفيه تواترت الأحاديث أنه قتلته الفئة الباغية . وقد قتل فى صفين وهو فى جيش الإمام على رضى الله عنه وكان عمار (يغفر الله له) من الذين شغبوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه واشترك فى محاصرته مع (مالك الأشتر النخعى) يوم الدار حتى قتله المجرمون تلك القتلة التى نتجت عنها تلك الفتنة العمياء التى لا يزال المسلمون يخبون فى ظلامها حتى اليوم ويعانون الفرقة من جرائها حتى هذه اللحظة .

٧ – عمير بن أبى عمير .

٨ – وابن لعمير هذا .. والاثنان موليان لبنى عبد شمس.

٩ – عبيدة بن سعيد بن العاص .. قتله الزبير بن العوام .

١٠ – العاص بن سعيد بن العاص .. قتله على بن أبى طالب .

١١ – عقبة بن أبى معيط .. قتله عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح ، قتله صبراً فى مكان يقال له عرق الظبية وذلك أثناء عودة الجيش الإسلامى إلى المدينة .

١٢ – عامر بن عبد الله النمرى (حليف لهم) .. قتله على بن أبى طالب

ب – ومن بنى نوفل بن عبد مناف رجلان ، وهما :

١ – الحارث بن عامر بن نوفل .. قتله خبيب بن أساف .

٢ – طعيمة بن عدى بن نوفل .. قتله على بن أبى طالب .

ج – ومن بنى أسد بن عبد العزى سبعة نفر :

١ – زمعة بن الأسود بن المطلب ، قتله ثابت بن الجذع ويقال اشترك فى قتله على بن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب .

٢ – أبو البحترى بن هشام (واسمه العاص بن هشام بن الحارث) قتله المجذر بن زياد البلوى .

٣ – الحارث بن زمعة .. قتله عمار بن ياسر .

٤ – نوفل بن خويلد بن أسد ، وهو أخو أم المؤمنين خديجة (وكان من شياطين قريش) قتله على بن أبى طالب .

٥ – عقيل بن الأسود بن المطلب .. قتله حمزة وعلى .

٦ – عقبة بن زيد (رجل من اليمن حليف لبنى أسد)

٧ – ومولى لهم اسمه (عمير)

د – ومن بنى عبد الدار بن قصى أربعة نفر :

١ – النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة .. أسر النضر فى المعركة (وكان حامل لواء المشركين) ، وقد أمر النبى ﷺ بقتله صبراً ، فنفّذ فيه حكم الإعدام على بن أبى طالب فى موضع يقال له (الأثيل) بوادى الصفراء . وكان النضر هذا من شياطين قريش ، ومن أكبر مجرمى الحرب ، ومن أشد الناس إيذاء للمسلمين .

٢ – زيد بن مليص ، مولى عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .. قتله بلال بن رباح [1] (ومولى أبى بكر الصديق يومئذ) .

٣ – نبيه بن زيد بن مليص (حليف لهم) من بنى مازن ثم من بنى تميم .

٤ – عبيد بن سليط (حليف لهم) من قيس .

هـ – ومن بنى تميم بن مرة ، أربعة نفر :

---

(١) هو بلال بن رباح الحبشى ، المؤذن المشهور وهو بلال بن حمامة وهى أمه ، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين فى مكة ، إنقاذاً له من التعذيب الشديد ، ثم أعتقه ، فلزم النبى صلى الله عليه وسلم ، وأذن له ، شهد بلال كل المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبى عبيدة بن الجراح القائد الشهير ، كان يواصل الجهاد مع جيوش الإسلام خارج جزيرة العرب ، فشهد فتوحات الشام مجاهداً حتى مات بها ، ومناقب بلال كثيرة ، وكان من أكثر المؤمنين الأولين تحملا لتعذيب المشركين ، كان أمية بن خلف (رأس الكفر) يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة (فى شدة القيظ) ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره ، ثم يقول : لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد ، فيكون جواب بلال (إزاء ذلك التعذيب الرهيب) : أحد أحد . . فمر به أبو بكر الصديق فاشتراه منه بعبد له أسود جلد ، روى له أصحاب الحديث فى كتبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أربعة وأربعين حديثاً ، توفى بالطاعون فى عمواس زمن ابن الخطاب عام عشرين هـ .

١ - مالك بن عبيد الله بن عثمان (وهو أخو طلحة بن عبيد الله) أسر فمات فى الأسر . فعد فى القتلى .

٢ - عمرو بن عبد الله بن جدعان .

٣ - عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، قتله على ابن أبى طالب .

٤ - عثمان بن مالك بن عبيد الله ، قتله صهيب بن سنان [١] .

و - ومن بنى مخزوم (قبيلة خالد بن الوليد) أربعة وعشرون رجلا وهم :

١ - القائد العام لجيش مكة (أبو جهل بن هشام) واسمه عمرو ابن هشام بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم ، أقعده بضربة بالسيف ، معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله ، ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته ، ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود ، حين احتز رأسه .

٢ - العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، قتله عمر بن الخطاب (وهو خاله) .

٣ - يزيد بن عبد الله (حليف لهم) وكان من بنى تميم .. قتله عمار ابن ياسر .

---

(١) هو صهيب بن سنان بن مالك الصحابى الجليل المشهور . وهو الذى يقال له صهيب الرومى ، اختلف النسابون فى نسبه ، فقيل إنه نمرى من بنى قاسط . وأن الروم سبوه وهو صغيراً لأن أهله كانوا يقيمون بالعراق من جهة الفرس على مياه دجلة ، فنشأ صهيب بأرض الروم فصار ألكن ، ثم اشتراه رجل من قبيلة (كلب) فباعه بمكة ، فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمى فأعتقه ، ويقال إنه رومى الأصل ، هرب من أرض الروم فقدم مكة فحالف ابن جدعان . والذى يجعلنا نميل إلى أنه رومى الأصل ، أنه كان أحمر شديد الصهوبة . وهذه غالباً صفة الروم . كان رضى الله عنه من السابقين فى الإسلام ، ومن المستضعفين ممن يعذب فى الله ، هاجر إلى المدينة مع أمير المؤمنين على ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من أعلام الصحابة ، لما مات عمر أوصى أن يصلى عليه صهيب . مات صهيب سنة ثمان وثلاثين هـ وهو ابن سبعين :

- أبو مسافع الأشعرى (حليف لهم) قتله أبو دجانة [1] .

٥ - حرملة بن عمرو (حليف لهم) وهو من الأسد ، قتله خارجة ابن زيد [2]

٦ - مسعود بن أبى أمية بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب .

٧ - أبو قيس بن الوليد بن المغيرة (أخو خالد بن الوليد) قتله حمزة بن عبد المطلب .

٨ - أبو قيس بن الفاكهة بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب .

٩ - رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، قتله سعد بن الربيع .

١٠ - المنذر بن أبى رفاعة بن عابد . قتله معن بن عدى بن الجد ابن العجلان .

١١ - السائب بن أبى السائب بن عابد ، قتله الزبير بن العوام ، وفى رواية ابن هشام أن السائب هذا ، أسلم وحسن إسلامه (انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٧١١) .

١٢ - الأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله حمزة بن عبد المطلب .

١٣ - حاجب بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم ، قتله على بن أبى طالب .

١٤ - عويمر بن السائب بن عويمر ، قتله النعمان بن مالك القوقلى مبارزة .

١٥ - عمرو بن سفيان (حليف لهم) من طى ، قتله يزيد بن رقيش.

---

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) :

(٢) استشهد خارجة فى معركة أحد :: وانظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) :

١٦ – جابر بن سفيان (حليف لهم أيضاً) وهو من طى ، قتله جابر أبو بردة بن نيار .

١٧ – عبد الله بن المنذر بن أبى رفاعة ، قتله على بن أبى طالب .

١٨ – حذيفة بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله سعد بن أبى وقاص .

١٩ – هشام بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله صهيب بن سنان .

٢٠ – زهير بن أبى رفاعة ، قتله أبو أسيد ، مالك بن ربيعة .

٢١ – السائب بن أبى رفاعة ، قتله عبد الرحمن بن عوف .

٢٢ – عائذ بن السائب بن عويمر ، جرحه فى المعركة حمزة بن عبد المطلب ، ثم أسر فافتدى ثم مات متأثراً بجراحه .

٢٣ – رجل من طى اسمه عمير (حليف لهم من طى) .

٢٤ – رجل آخر أيضاً اسمه خيار ، (حليف لهم من القارة) .

ز – ومن بنى سهم بن عمرو (قبيلة عمرو بن العاص) سبعة نفر ، وهم :

١ – منبِّه بن الحجاج بن حذيفة بن سعد بن سهم ، قتله أبو اليسر أخو بنى سلمة .

٢ – ابنه ، العاص بن منبه بن الحجاج ، قتله على بن أبى طالب .

٣ – أخوه ، نبيه بن الحجاج ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وسعد ابن أبى وقاص ، اشتركا فى قتله .

٤ – أبو العاص بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، قتله على ابن أبى طالب . ويقال النعمان بن مالك القوقلى ، ويقال .. أبو دجانة .

٥ – عاصم بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، قتله أبو اليسر ، أخو بنى سلمة .

٦ – الحارث بن منبه بن الحجاج ، قتله صهيب بن سنان .

٧ – عامر بن عوف بن ضبيرة ، أخو عاصم بن ضبيرة ، قتله عبد الله بن سلمة العجلانى . ويقال أبو دجانة .

ح – ومن بنى عامر بن لؤى رجلان ، وهما :

١ – معاوية بن عامر (حليف لهم من بنى عبد القيس) ، قتله عكاشة بن محصن [1] على ما قاله ابن هشام .

٢ – معبد بن وهب (حليف لهم من بنى كلب بن عوف) قتله خالد وإياس ابنا البكير .

ط – ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص ، أربعة نفر ، وهم :

١ – أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، قتله رجل من الأنصار من بنى مازن .

٢ – ابنه على بن أمية بن خلف ، قتله عمار بن ياسر .

٣ – أوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح ، قتله على بن أبى طالب ، ويقال قتله الحصين بن الحارث وعثمان بن مظعون .

٤ – سبرة بن مالك (حليف لهم) لا يعرف قاتله .

---

(١) هو عكاشة (بضم أوله وتشديد الكاف وتخفيفها) بن محصن بن حرثان ابن قيس ، من بنى أسد بن خزيمة ، حليف بنى عبد شمس من السابقين الأولين ، وهو الذى يضرب به المثل دائماً بالقول (سبقك بها عكاشة) وهذه الكلمة قالها النبى صلى الله عليه وسلم ، عندما قال : إن سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، فقال عكاشة : ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال :.. أنت منهم ، فقام آخر ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : سبقك بها عكاشة فصار يضرب بها المثل للسبق فى الأمر ، استشهد عكاشة فى حرب الردة ، قتله طليحة ابن خويلد الأسدى .

أسرى المشركين وأسماؤهم

أما أسرى المشركين الذين وقعوا فى أيدى جيش المدينة يوم بدر. فهم أيضاً سبعون رجلاً ، وهم كما يلى :

أ ــ من بنى هاشم أربعة نفر ، وهم :

١ ــ العباس بن عبد المطلب [١] .

٢ ــ عقيل بن أبى طالب [٢] أخو على بن أبى طالب .

٣ ــ نوفل بن الحارث بن المطلب [٣] .

---

(١) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ، افتدى نفسه وابن أخيه عقيل بن أبى طالب . ورجع إلى مكة . ويقال إنه أسلم فكتم إسلامه ، فكان عيناً على المشركين ، يبعث بأخبارهم من مكة للنبى صلى الله عليه وسلم ، هاجر قبل الفتح بقليل ، وشهد فتح مكة مع المسلمين . وشهد معركة حنين ، وكان ممن ثبت ساعة انهزام المسلمين أول المعركة ، فكان لصوته الجهورى فضل كبير عندما حض المنهزمين على الثبات كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول من آذى العباس فقد آذانى ، فإنما عم الرجل صنو أبيه ، كان العباس طويلا جميلا ، توفى بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين هـ .

(٢) هو عقيل بن أبى طالب ، أخو أمير المؤمنين (على) تأخر إسلامه إلى عام الفتح ، شهد حنيناً وكان ممن ثبت فيها ، كما شهد معركة مؤتة (فى الأردن) ، كان من أعلم الناس بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها ، وكان شديد الذكاء مشهوراً بالجواب المسكت ، فارق أخاه عليا ولحق بمعاوية أيام الخلاف بينهما ، وشهد صفين مع معاوية ، ويقول بعض المؤرخين إن معاوية قال لعقيل فى يوم من أيام صفين ، أنت اليوم معنا فأجابه (على طريقته فى سرعة الجواب) : وقد كنت معكم يوم بدر ، لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى حديث واحد أخرجه له النسائى وابن ماجه ، مات رضى الله عنه فى أول خلافة يزيد .

(٣) هو نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دفع عنه الفدية عمه العباس ، فأطلق سراحه من الأسر ، كان يتاجر فى الرماح ، أسلم نوفل وكان أسن من أسلم من بنى هاشم ، مات نوفل لسنتين من خلافة ابن الخطاب ، ومشى عمر فى جنازته .

٤ ـ رجل اسمه (عتبة) حليف لهم .

ب ـ ومن بنى المطلب بن عبد مناف خمسة نفر ، وهم :

١ ـ السائب بن عبيد بن عبد يزيد [١] .

٢ ـ نعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب .

٣ ـ عقيل بن عمرو (حليف لهم) .

٤ ـ أخوه تميم (حليف لهم أيضاً) .

٥ ـ ابن لتميم ، لا يعرف اسمه (حليف لهم أيضاً) .

ج ـ ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر ، وهم :

١ ـ عمرو بن أبى سفيان بن حرب .

٢ ـ الحارث بن أبى وجرة .

٣ ـ أبو العاص بن الربيع [٢] .

---

(١) هو السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، جد الإمام الشافعى . كان السائب حامل راية بنى هاشم مع المشركين يوم بدر ، ففدى نفسه من الأسر ، ثم أسلم وحسن إسلامه :

(٢) هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ، واسمه لقيط ، وقيل ياسر ، تزوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما مشركان ، وكان رجلا نبيلا مشهوراً بالأمانة حتى إنه كان يلقب بالأمين ، وكان القرشيون لذلك يأتمنونه على أموالهم ، فكان لذلك يتاجر (مضارباً) فى أموال كثير من القرشيين الموسرين واتفق أن عاد مرة من الشام فى تجارة كثيرة لأهل مكة، فأراد بعض الصحابة التعرض له والاستيلاء على ما معه من أموال باعتبارها أموال العدو ، فأعلنت زوجته أنها قد أجارته فأمن بذلك ، ثم خرج إليه بعض الصحابة من غير سلاح ، وقالوا له : هل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال لمشركى مكة ، فقال بئسما أمرتمونى به ، أن أنسخ دينى بغدرة ، ثم مضى بتجارة أهل مكة حتى وصل إليها وأعطى كل ذى حق حقه . ثم نادى فى أهل مكة قائلا : يا أهل مكة هل أوفيت ذمتى ، قالوا .. اللهم نعم ، فأعلن إسلامه آن ذاك وهاجر إلى المدينة ، فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته زينب بعقد جديد ، وقد توفى أبو العاص سنة اثنتى عشرة من الهجرة .

٥ ـ أبو ريشة بن عمرو (حليف لهم) .

٦ ـ عمرو بن الأزرق (حليف لهم) .

٧ ـ عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى (حليف لهم) .

٨ ـ خالد بن أسيد بن أبى العيص [1] .

٩ ـ أبو العريض ، يسار (مولى العاص بن أمية) .

د ـ ومن بنى نوفل بن عبد مناف أربعة نفر ، وهم :

١ ـ عدى بن الخيار بن عدى بن نوفل .

٢ ـ عثمان بن عبد شمس ابن أخى غزوان بن جابر . (حليف لهم من بنى مازن بن منصور) .

٣ ـ أبو ثور (حليف لهم) .

٤ ـ نبهان (مولى لهم) .

هـ ـ ومن بنى عبد الدار بن قصى ، ثلاثة نفر ، وهم :

١ ـ أبو عزيز بن عمير بن هاشم (أخو مصعب بن عمير) .

٢ ـ الأسود بن عامر (حليف لهم) .

٣ ـ عقيل (رجل من اليمن) حليف لهم .

و ـ ومن بنى أسد بن عبد العزّى أربعة نفر ، وهم :

١ ـ السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد .

٢ ـ الحويرث بن عبّاد بن عثمان بن أسد .

٣ ـ سالم بن شماخ (حليف لهم) .

٤ ـ عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث .

---

(١) هو خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ، وهو أخو عتاب ابن أسيد الذى جعله النبى صلى الله عليه وسلم أميراً على مكة بعد الفتح ، أسلم يوم الفتح ، وكان أخوه عتاب قد أرسله أميراً على حملة التأديب التى أرسلها لمقاتلة المرتدين .

ز – ومن بنى مخزوم بن يقظة عشرة نفر ، وهم :

١ – خالد بن هشام بن المغيرة .

٢ – أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة .

٣ – عثمان بن عبد الله بن المغيرة .

٤ – أبو المنذر بن أبى رفاعة .

٥ – أبو عطاء عبد الله بن أبى السائب .

٦ – المطلب بن حنطب بن الحارث .

٧ – خالد بن الأعلم (حليف لهم) وهو الذى كان أول من فر منهزماً من المعركة ، مع أنه صاحب البيت المشهور الذى يضرب به المثل للثبات.

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا يتقطر الدم .

٨ – الوليد بن الوليد بن المغيرة (أخو خالد بن الوليد) .

٩ – صيفى بن أبى رفاعة بن عابد .

١٠ – قيس بن السائب .

ح – ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص خمسة نفر ، وهم :

١ – أبو رداعة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم .

٢ – وفرة بن قيس بن عدى بن حذافة بن سعد بن سهم .

٣ – حنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعد بن سهم .

٤ – الحجاج بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم .

٥ – رجل ، اسمه (أسلم) مولى نبيه الحجاج .

ط – ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص أحد عشر رجلا وهم :

١ – عبد الله بن أبى بن خلف بن وهب .

٢ – أبو عزة (عمرو بن عبد بن عثمان بن وهيب) .

٣ – الفاكهة (مولى أمية بن خلف) .

٤ – وهب بن عمير .

٥ – ربيعة بن دراج بن العنبس بن أهبان بن وهب .

٦ – عمرو بن أبي بن خلف .

٧ – أبو رهم بن عبد الله (حليف لهم) .

٨ – ورجل (حليف لهم) ذهب عن ابن إسحاق اسمه فلم يذكره .

٩ – نسطاس (مولى لأمية بن خلف) .

١٠ – مولى آخر (لأمية بن خلف) لايعرف اسمه .

١١ – أبو رافع (غلام أمية بن خلف) .

ى – ومن بنى عامر بن لؤى خمسة نفر ، وهم :

١ – سهيل بن عمرو[1] . أسره مالك بن الدخشم .

٢ – عبد بن زمعة بن قيس .

٣ – عبد الرحمن بن منشو بن وقدان .

٤ – حبيب بن جابر .

٥ – السائب بن مالك .

ك – ومن بنى الحارث بن فهر أربعة نفر ، وهم :

---

(١) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود العامرى القرشى ، صحابى جليل خطيب قريش الأول . أسلم بعد الفتح . وكان من زعماء قريش البارزين فى الجاهلية والإسلام . تولى (بالنيابة عن قريش) إبرام صلح الحديبية مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى قال لرسول الله لما أمسك عضادة باب الكعبة يوم الفتح . وخاطب قريشاً قائلا .. ماذا تقولون ؟ قال سهيل : نقول خيراً ونظن خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت ، فقال صلى الله عليه وسلم : أقول كما قال أخى يوسف : لا تثريب عليكم اليوم ، كان سهيل فى جيوش الشام يجاهد ، ولم يزل كذلك حتى مات فى طاعون عمواس غازياً .

١ – العافيل بن أبي قنيع .

٢ – عتبة بن عمرو بن جحلم .

٣ – شافع (رجل من اليمن) حليف لهم .

٤ – شفيع (رجل أيضاً من اليمن) حليف لهم

أسماء من شهد بدراً من المسلمين

لقد شهد معركة بدر من المسلمين ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا . منهم ستة وثمانون رجلاً من المهاجرين ، ومائتان وواحد وثلاثون من الأنصار . منهم مائة وسبعون من الخزرج وواحد وستون من الأوس .

وهذه أسماء جميع البدريين منسوبون إلى قبائلهم :

البدريون من المهاجرين

أ – من بني هاشم بن عبد مناف ثمانية نفر :

١ – سيد المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ﷺ .

٢ – حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

٣ – علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

٤ – زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي (مولى رسول الله ﷺ) .

٥ – انسة الحبشي (مولى رسول الله ﷺ) .

٦ – أبو كبشة الفارسي (مولى رسول الله ﷺ) .

٧ – كناز بن حصين بن يربوع (حليف لهم) وهو من قيس عيلان . وهو المكنى بأبي مرثد .

٨ ـ ابنه مرثد بن أبي مرثد (حليف لهم أيضاً) .

ج ـ ومن بني المطلب بن عبد مناف أربعة نفر :

١ ـ عبيدة بن الحارث بن المطلب . (قتل يوم بدر) .

٢ ـ الطفيل بن الحارث بن المطلب .

٣ ـ الحصين بن الحارث بن المطلب .

٤ ـ مسطح واسمه عوف بن أثاثة بن عباد بن المطلب .

د ـ ومن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ستة عشر رجلا .

١ ـ عثمان بن عفان . تخلَّف على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، لتمريضها في المدينة فضرب له رسول الله ﷺ بسهم وعدّة من البدريين في الأجر .

٢ ـ أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

٣ ـ سالم مولى أبي خذيفة [1] بن عتبة بن ربيعة .

---

(١) هو سالم بن معقل ، مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كان من أجلاء الصحابة وأعلامهم ، ومن السابقين الأولين ، وقد كان لامرأة من الأنصار واسمها (فاطمة بنت يعار) اعتقته سائبة ، فوالى الصحابي الشهير أبي حذيفة ، وكان أبو حذيفة قد تبناه ، كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، فكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه ، فأنكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة ، فلما نزلت آية ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ رد كل أحد تبنى ابناً إلى أبيه ، ومن لم يعرف أبوه رد إلى مواليه ، كان سالم هذا عظيم المنزلة بين الصحابة ، فكان يؤم المهاجرين في الصلاة في مسجد قباء وفيهم أبو بكر وعمر ، وكان من المهاجرين ، هاجر مع عمر بن الخطاب ، وكان ابن الخطاب معجباً به ، كثير الثناء عليه ، حتى إن عمر لما طعن وفكر في أمر الخلافة ، تذكر سالماً وكان قد مات ثم قال عمر لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى (أي لأوصى له بالخلافة) وهذا يدل على علو منزلة سالم رضى الله عنه ، وكان من حفاظ القرآن المشهورين في عصر النبي ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول . خذو القرآن من أربعة ، من ابن أم عبد ، ومن أبي بن كعب ومن سالم مولى حذيفة ، ومن معاذ بن جبل ، شهد سالم بدراً وقتل في معركة اليمامة شهيداً هو ومولاه أبو حذيفة ، وقد وجد رأس أحدهما عند رجل الآخر وذلك سنة اثنتي عشرة من الهجرة .

٤ ــ عبد الله بن جحش (حليف لهم) .

٥ ــ عكاشة بن محصن . (حليف لهم) .

٦ ــ شجاع بن وهب بن ربيعة (حليف لهم) .

٧ ــ عقبة بن وهب بن ربيعة (حليف لهم) .

٨ ــ يزيد بن رقيش (حليف لهم) .

٩ ــ أبو سنان محصن بن حرثان بن قيس (حليف لهم) .

١٠ ــ سنان بن أبي سنان (حليف لهم) .

١١ ــ محرز بن نضلة بن عبد الله (حليف لهم) .

١٢ ــ ربيعة بن أكثم بن سخبرة (حليف لهم) .

١٣ ــ ثقيف بن عمرو (حليف لهم) .

١٤ ــ مالك بن عمرو (حليف لهم) .

١٥ ــ مدلج بن عمرو (حليف لهم) .

١٦ ــ أبو مخشى (حليف لهم) .

هـ ــ ومن بنى نوفل بن عبد مناف ، رجلان ، وهما :

١ ــ عتبة بن غزوان (حليف لهم) .

٢ ــ خباب مولى عتبة بن غزوان (حليف لهم) .

و ــ ومن بنى أسد بن عبد العزى ثلاثة نفر ، وهم :

١ ــ الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .

٢ ــ حاطب بن أبي بلتعة اليمانى [1] (حليف لهم) .

---

(١) هو زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب ، كان أسن من أخيه عمر ، وقد أسلم قبله ، شهد بدراً والمشاهد كلها ، وقتل شهيداً فى حرب اليمامة ، وكانت راية المسلمين معه ، وحزن عليه أخوه عمر حزناً شديداً ، ولما قتل رضى الله عنه قال عمر سبقنى إلى الحسنيين :: أسلم قبلى واستشهد قبلى ، له فى الصحيح حديث واحد .

٣ - سعد الكلبي (مولى حاطب بن أبي بلتعة) حليف لهم .

ز - ومن بني عبد الدار بن قصي ، رجلان ، وهما :

١ - مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

٢ - سويط بن سعد بن حرملة .

ح - ومن بني زهرة بن كلاب ثمانية نفر ، وهم :

١ - عبد الرحمن بن عوف .

٢ - سعد بن أبي وقاص .

٣ - عمير بن أبي وقاص .

٤ - المقداد بن عمرو بن ثعلبة (حليف لهم) .

٥ - عبد الله بن مسعود بن الحارث الهذلي (حليف لهم) .

٦ - مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد (حليف لهم) .

٧ - ذو الشمالين بن عمرو بن نضلة الخزاعي (حليف لهم) .

٨ - خباب بن الأرت التميمي (حليف لهم) .

ط - ومن بني تيم بن مرة خمسة نفر :

١ - أبو بكر الصديق . واسمه (عتيق بن عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم) .

٢ - بلال بن رباح (مولى لأبي بكر الصديق) .

٣ - عامر بن فهيرة (مولى أبي بكر الصديق) .

٤ - صهيب بن سنان (مولى عبد الله بن جدعان التيمي) .

٥ - طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم. كان غائباً بالشام وقت المعركة فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وعدّه كالبدريين في الأجر .

ى - ومن بني مخزوم خمسة نفر ، وهم :

١ ـ أبو سلمة بن عبد الأسد واسمه عبد الله بن عبد الأسد .

٢ ـ شماس بن عثمان بن الشريد .

٣ ـ الأرقم بن أبي الأرقم ، واسمه (عبد مناف بن أسد) .

٤ ـ عمار بن ياسر .

٥ ـ معتّب بن عوف بن عامر الخزاعى (حليف لهم) .

ك ـ ومن بنى عدى بن كعب (قبيلة عمر بن الخطاب) أربعة عشر رجلا وهم :

١ ـ عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى .

٢ ـ مهجع العكى (مولى عمر بن الخطاب) .

٣ ـ عمرو بن سراقة بن المعتمر .

٤ ـ عبد الله بن سراقة .

٥ ـ واقد بن عبد الله بن مناف اليربوعى (حليف لهم) .

٦ ـ خولى بن أبى خولى حليف لهم .

٧ ـ مالك بن أبى خولى حليف لهم .

٨ ـ عامر بن البكير بن عبد ياليل (حليف لهم) .

١٠ ـ عاقل بن البكير .

١١ ـ خالد بن البكير .

١٢ ـ إياس بن البكير .

١٣ ـ زيد بن الخطاب (أخو عمر بن الخطاب) .

١٤ ـ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . كان غائباً فى الشام فلما قدم ضرب له رسول الله ﷺ بسهم ، وعده مثل البدريين فى الأجر ، فصار بدرياً .

ل ـ ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب خمسة رجال :

١ ـ عثمان بن مظعون .

٢ ـ السائب بن عثمان بن مظعون .

٣ ـ قدامة بن مظعون .

٤ ـ عبد الله بن مظعون .

٥ ـ معمر بن الحارث بن معمر .

م ـ ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص ، رجل واحد :

١ ـ لم يذكر ابن إسحاق اسمه .

ن ـ ومن بني عامر بن لؤيّ سبعة رجال ، وهم :

١ ـ أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى .

٢ ـ عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى .

٣ ـ عبد الله بن سهيل بن عمرو .

٤ ـ عمير بن عوف (مولى سهيل بن عمرو) .

٥ ـ سعد بن خولة (حليف لهم) .

٦ ـ وهب بن سعد بن أبي سرح .

٧ ـ حاطب بن عمرو .

س ـ ومن بني الحارث بن فهر ستة رجال ، وهم :

١ ـ عامر بن عبد الله بن الجراح المشهور (بأبي عبيدة بن الجراح)

٢ ـ عمرو بن الحارث بن زهير .

٣ ـ سهيل بن وهب بن ربيعة .

٤ ـ صفوان بن وهب بن ربيعة .

٥ ـ عمرو بن أبي سرح بن ربيعة .

٦ ـ عياض بن زهير .

فهؤلاء هم البدريون من المهاجرين رضى الله عنهم وأرضاهم ، منهم ثلاثة لم يباشروا القتال فصاروا فى عداد البدريين لهم أجرهم عند الله مثلهم وأخذوا حصتهم فى الغنائم ، وهم (عثمان بن عفان) و (طلحة بن عبيد الله) و (سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) .

أسماء البدريين من الأنصار .

أ ـ من بنى عبد الأشهل (بطن من الأوس) خمسة عشر رجلا ، وهم :

١ ـ سعد بن معاذ .
٢ ـ الحارث بن أوس بن معاذ .
٣ ـ الحارث بن أنس بن رافع .
٤ ـ سعد بن زيد بن مالك .
٥ ـ سلمة بن سلامة بن وقش .
٦ ـ عباد بن بشر بن وقش .
٧ ـ سلمة بن ثابت بن وقش .
٨ ـ رافع بن يزيد بن كرز .
٩ ـ الحارث بن خزنة بن عدى .
١٠ ـ محمد بن مسلمة [١] .
١١ ـ سلمة بن أسلم بن حريش (حليف لهم من بنى الحارث) .
١٢ ـ أبو الهيثم بن التيهان .
١٣ ـ عبيد بن التيهان .
١٤ ـ عمرو بن معاذ بن النعمان .

---

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

١٥ ـ عبد الله بن سهل .

ب ـ ومن بنى ظفر (بطن من الأوس) رجلان ، وهما :

١ ـ قتادة بن النعمان بن زيد[1] .

٢ ـ عبيد بن أوس بن مالك .

ج ـ ومن بنى عبد بن رزاح (بطن من الأوس) ثلاثة رجال وهم :

١ ـ نصر بن الحارث بن عبد .

٢ ـ معتب بن عبد .

٣ ـ عبد الله بن طارق البلوى (حليف لهم) .

د ـ ومن بنى حارثة بن الحارث (بطن من الأوس) ثلاثة نفر ، وهم :

١ ـ مسعود بن سعد بن عامر .

٢ ـ أبو عبس بن جبر .

٣ ـ هانى بن نيار البلوى (حليف لهم) .

هـ ـ ومن بنى عمرو بن عوف (بطن من الأوس) ستة نفر ، وهم :

١ ـ عاصم بن ثابت بن قيس .

٢ ـ قيس أبو الأقلح بن عصمة .

٣ ـ معتّب بن قشير .

٤ ـ أبو مليل بن الأزعر .

٥ ـ عمرو بن معبد الأزعر .

٦ ـ سهل بن حنيف .[2]

و ـ ومن بنى أمية بن زيد (بطن من الأوس) تسعة نفر ، وهم :

١ ـ مبشر بن عبد المنذر بن زنبر .

---

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

(٢) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

٢ ـ رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر .

٣ ـ سعد بن عبيد بن النعمان .

٤ ـ عويم بن ساعدة .

٥ ـ رافع بن عنجدة .

٦ ـ عبيد بن أبى عبيد .

٧ ـ ثعلبة بن حاطب .

٨ ـ الحارث بن حاطب ، رجع من الطريق بأمر رسول الله ﷺ ، فضرب له بسهم وعده من البدريين فى الأجر .

٩ ـ أبو لبابة .

ز ـ ومن بنى عبيد بن زيد (بطن من الأوس) سبعة نفر ، وهم .

١ ـ أنيس بن قتادة بن ربيعة .

٢ ـ معن بن عدى بن الجد البلوى (حليف لهم) .

٣ ـ عبد الله بن سلمة العجلانى (حليف لهم) .

٤ ـ زيد بن أسلم بن ثعلبة العجلانى (حليف لهم) .

٥ ـ ربعى بن رافع بن زيد العجلانى (حليف لهم) .

٦ ـ عاصم بن عدى بن الجد العجلانى (حليف لهم) خرج مع المسلمين إلى بدر فرده رسول الله ﷺ وضرب له بسهم مع أصحاب بدر ، فعد فى البدريين .

٧ ـ ثابت بن أقوم بن ثعلبة العجلانى (حليف لهم) .

ح ـ ومن بنى ثعلبة بن عمر بن عوف (بطن من الأوس)، سبعة نفر ، وهم

١ ـ عبد الله بن جبير بن النعمان .

٢ ـ عاصم بن قيس بن ثابت .

٣ ـ أبو ضياح بن ثابت بن النعمان .

٤ ـ أبو حنة (ويقال) أبو حبة بن ثابت بن النعمان .

٥ ـ سالم بن عمير بن ثابت .

٦ ـ الحارث بن النعمان بن أمية .

٧ ـ خوات بن جبير بن النعمان .

ط ـ ومن بني جحجبى بن كلفة بن عوف (بطن من الأوس) رجلان . وهما :

١ ـ منذر بن محمد بن عقبة .

٢ ـ أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة ، من بني أنيف (حليف لهم).

ى ـ ومن بني غنم بن السلم (بطن من الأوس) خمسة نفر ، وهم :

١ ـ سعد بن خيثمة .

٢ ـ منذر بن قدامة بن عرفجة .

٣ ـ مالك بن قدامة بن عرفجة .

٤ ـ الحارث بن عرفجة .

٥ ـ تميم (مولى لهم) .

ك ـ ومن بني معاوية بن مالك بن عوف (بطن من الأوس) ثلاثة نفر ، وهم :

١ ـ جبر بن عتيك بن الحارث .

٢ ـ مالك بن نميلة (حليف لهم من مزينة) .

٣ ـ النعمان بن عصر (حليف لهم) من قبيلة بلى (بفتح أوله وكسر ثانيه) .

فهؤلاء هم البدريون من الأنصار من قبيلة الأوس خاصة ، رضى الله عنهم وأرضاهم ، وهم واحد وستون محارباً .

أسماء البدريين من الخزرج :

أ ـ من بني امرئ القيس بن مالك ، أربعة نفر ، وهم :

١ ـ خارجة بن زيد .

٢ ـ سعد بن الربيع .

٣ ـ عبد الله بن رواحة .

٤ ـ خلاد بن سويد بن ثعلبة .

ب ـ ومن بني زيد بن مالك رجلان ، وهما :

١ ـ بشير بن سعد بن ثعلبة .

٢ ـ سماك بن سعد بن ثعلبة .

ج ـ ومن بني عدى بن كعب بن الخزرج ثلاثة نفر ، وهم :

١ ـ سبيع بن قيس بن عيشة .

٢ ـ عباد بن قيس بن عيشة .

٣ ـ عبد الله بن عبس .

د ـ ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة رجل واحد ، وهو :

١ ـ يزيد بن الحارث بن قيس .

هـ ـ ومن بني جشم بن الحارث بن الخزرج أربعة نفر ، وهم :

١ ـ خبيب بن أساف بن عتبة .

٢ ـ عبد الله بن زيد بن ثعلبة .

٣ ـ حريث بن زيد بن ثعلبة .

٤ ـ سفيان بن بشر .

و ـ ومن بني جدارة بن عوف بن الحارث أربعة نفر ، وهم :

١ ـ تميم بن يعار بن قيس .

٢ – عبد اللهبن عمير .

٣ – زيد بن المزين بن قيس .

٤ – عبد اللهبن عرفطة بن عدى .

ز – ومن بنى الأبجر (وهم بنو خدرة) رجل واحد وهو :

١ – عبد اللهبن ربيع بن قيس .

ح – ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى عبيد رجلان ، وهما :

١ – عبد الله بن عبد الله بن أبىّ بن سلول [١] .

٢ – أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث .

ح – ومن بنى جزء بن عدى بن مالك ستة نفر ، وهم :

١ – زيد بن وديعة بن عمرو . حليف لهم من غطفان .

٢ – عامر بن سلمة بن عامر . حليف لهم من أهل اليمن .

٣ – أبو حميضة ، معبد بن عباد ، ويقال ابن عبادة بن قشير .

٤ – عامر بن البكير . حليف لهم .

٥ – عقبة بن وهب بن كلدة ، حليف لهم من غطفان .

٦ – رفاعة بن عمرو بن زيد ، حليف لهم .

ط – ومن بنى سالم بن عوف ، رجل واحد ، وهو :

١ – نوفل بن عبد الله بن نضلة .

ى – ومن بنى أصرم بن فهر بن ثعلبة رجلان ، وهما :

---

(١) هو عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول الخزرجى الأنصارى ، كان أبوه رأس المنافقين ، أما هو فقد كان من خيرة شباب الإسلام ، كان صحابياً جليلا شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه لما ظهر نفاقه فلم يأذن له ، بل قال له أحسن صحبته ، قتل عبد الله هـذا شهيداً فى حرب الردة باليمامة سنة اثنتى عشرة ، وكان فيمن كتب للنبى صلى الله عليه وسلم

١ ـ عبادة بن الصامت .

٢ ـ أوس بن الصامت .

ك ـ ومن بني دعد بن فهر بن ثعلبة ، رجل واحد ، وهو :

١ ـ النعمان بن مالك بن ثعلبة .

ل ـ ومن بني لوذان بن سالم عشرة نفر :

١ ـ ثابت بن هزال .

٢ ـ مالك بن الدخشم بن مرضخة (وهو من بني مرضخة) .

٣ ـ ربيع بن إياس بن عمرو بن غنم .

٤ ـ ورقة بن إياس .

٥ ـ عمرو بن إياس (حليف لهم) من أهل اليمن .

٦ ـ المجذر بن زياد البلوى حليف لهم .

٧ ـ عبادة بن الخشخاش بن عمرو .

٨ ـ نحاب ، ويقال له ، (بحاث) بن ثعلبة بن حزمة .

٩ ـ عبد الله بن ثعلبة بن حزمة .

١٠ ـ عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية (حليف لهم) .

م ـ ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان ، وهما :

١ ـ أبو دجانة (سماك بن أوس بن خرشة) .

٢ ـ المنذر بن عمرو بن خنيس . ويقال . المنذر بن عمرو بن خنبش .

ن ـ ومن بني البدى بن عامر بن عوف رجلان ، وهما :

١ ـ أبو أسيد بن ربيعة بن البدى .

٢ ـ مالك بن مسعود بن البدى .

س – ومن بنى طريف بن الخزرج ستة نفر :

١ – عبد ربه بن حق بن أوس .

٢ – كعب بن حمار (ويقال بن جماز بن ثعلبة الغبشانى الجهنى) ، حليف لهم .

٣ – ضمرة بن عمرو (ويقال ابن بشر الجهنى) ، حليف لهم .

٤ – زياد بن عمرو (ويقال أيضاً ابن بشر) الجهنى ، حليف لهم.

٥ – بسبس بن عمرو الجهنى ، حليف لهم .

٦ – عبد الله بن عامر البلوى ، حليف لهم .

ع – ومن بنى جشم بن الخزرج إثنا عشر رجلا ، وهم :

١ – خراش بن الصمة بن عمرو .

٢ – الحباب بن المنذر .

٣ – عمير بن الحمام .

٤ – تميم (مولى خراش بن الصمة) .

٥ – عبد الله بن عمرو بن حرام .

٦ – معاذ بن عمرو بن الجموح .

٧ – خلاد بن عمرو بن الجموح .

٨ – عقبة بن عامر بن نابى [1] .

٩ – حبيب بن أسود (مولى لهم) .

١٠ – ثابت بن ثعلبة بن زيد .

١١ – معوذ بن عمرو بن الجموح .

١٢ – عمير بن الحارث بن ثعلبة .

---

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحُد) :

ف ـ ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب تسعة نفر ، وهم :

١ ـ بشر بن البراء بن معرور بن صخر .

٢ ـ الطفيل بن مالك بن خنساء .

٣ ـ سنان بن صيفى بن خنساء .

٤ ـ عبد الله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء .

٥ ـ عتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء .

٦ ـ خارجة بن حمير الأشجعى ، حليف لهم .

٨ ـ عبد الله بن حمير ، حليف لهم .

٨ ـ الطفيل بن النعمان بن خنساء .

ص ـ ومن بنى خناس بن سنان بن عبيد سبعة نفر ، وهم :

١ ـ يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس .

٢ ـ معقل بن المنذر بن خناس .

٣ ـ عبد الله بن النعمان بن بلدمة .

٤ ـ الضحاك بن حارثة بن زيد .

٥ ـ سواد بن زريق بن ثعلبة .

٦ ـ معبد بن قيس بن صخر بن حرام .

٧ ـ عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام .

أ ـ ومن بنى النعمان بن عبيد أربعة نفر ، وهم :

١ ـ عبد الله بن عبد مناف بن النعمان .

٢ ـ جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان .

٣ ـ خليدة بن قيس بن النعمان .

٤ ـ النعمان بن سنان (مولى لهم) .

ب - ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة أربعة نفر ، وهم :

١ - يزيد بن حديدة .

٢ - سليم بن عمرو بن حديدة .

٣ - قطبة بن عمرو بن حديدة .

٤ - عنترة (مولى سليم بن عمرو) .

ج - ومن بني عدى بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم ستة نفر ، وهم :

١ - عبس بن عامر بن عدى .

٢ - ثعلبة بن غنمة بن عدى .

٤ - سهل بن قيس بن أبي كعب .

٥ - عمرو بن طلق بن زيد بن أمية .

٦ - معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس .

د - ومن بني زريق بن عامر بن زريق سبعة نفر ، وهم :

١ - قيس بن محصن بن خالد .

٢ - أبو خالد (الحارث بن قيس بن خالد) .

٣ - جبير بن إياس بن خالد .

٤ - أبو عبادة (سعد بن عثمان بن خلدة) .

٥ - ذكوان بن عبد قيس بن خلدة .

٦ - عقبة بن عثمان بن خلدة .

٧ - مسعود بن خلدة بن عامر .

هـ - ومن بني خالد بن عامر بن زريق رجل واحد ، وهو :

١ - عباد بن قيس بن عامر بن خالد .

و - ومن بني خلدة بن عامر بن زريق خمسة نفر :

١ - أسعد بن يزيد بن الفاكهة .

٢ ـ الفاكهة بن بشر بن الفاكهة .

٣ ـ معاذ بن ماعص بن قيس .

٤ ـ عائذ بن ماعص بن قيس .

٥ ـ مسعود بن سعد بن قيس .

ز ـ ومن بنى العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ستة نفر ، وهم :

١ ـ رفاعة بن رافع بن العجلان .

٢ ـ خلاد بن رافع بن مالك .

٣ ـ عبيد بن زيد بن عامر .

٤ ـ عبيد بن مالك بن عمرو .

٥ ـ مليل بن وبرة بن خالد .

٦ ـ عصمة بن الحصين بن وبرة .

ح ـ ومن بنى بياضة بن عامر بن زريق ستة نفر ، وهم :

١ ـ زياد بن لبيد بن عامر .

٢ ـ فروة بن عمرو بن وذفة .

٣ ـ خالد بن قيس بن مالك .

٤ ـ رجيلة بن ثعلبة بن خالد .

٥ ـ عطية بن نويرة بن عامر .

٦ ـ خليفة بن عدى بن عمرو . ويقال عليفة .

ط ـ ومن بنى حبيب بن عبد حارثة رجلان ، وهما :

١ ـ رافع بن المعلى بن لوذان .

٢ ـ هلال بن المعلى بن لوذان .

ى ـ ومن بنى النجار (وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج) ثلاثة وخمسون رجلاً وهم :

١ ـ خالد بن زيد بن كليب .

٢ ـ ثابت بن خالد بن النعمان .

٣ ـ عمارة بن حزم بن زيد .

٤ ـ سراقة بن كعب بن عبد العزى .

٥ ـ حارثة بن النعمان بن زيد .

٦ ـ سليم بن قيس بن فهد .

٧ ـ سهيل بن رافع بن أبي عمرو .

٨ ـ عدى بن الزغباء (حليف لهم) من جهينة .

٩ ـ مسعود بن أوس بن زيد .

١٠ ـ أبو خزيمة بن أوس بن زيد .

١١ ـ رافع بن الحارث بن سواد .

١٢ ـ عوف بن الحارث بن رفاعة .

١٣ ـ معوذ بن الحارث بن رفاعة .

١٤ ـ معاذ بن الحارث بن رفاعة ، (وهؤلاء الثلاثة هم بنو عفراء)

١٥ ـ النعمان بن عمرو بن رفاعة ، ويقال (نعيان) .

١٦ ـ عامر بن مخلد بن الحارث .

١٧ ـ عبد الله بن قيس بن خالد .

١٨ ـ عصيمة (حليف لهم من أشجع) .

١٩ ـ وديعة بن عمرو (حليف لهم من جهينة) .

٢٠ ـ ثابت بن عمرو بن زيد .

٢١ ـ ثعلبة بن عمرو بن محصن .

٢٢ ـ سهل بن عتيك بن عمرو .

٢٣ ـ الحارث بن الصمة بن عمرو [١] . ويقول ابن إسحاق أنه أصابه كسر وهو بالروحاء فضرب له النبي ﷺ بسهمه فصار بدرياً .

٢٤ ـ أبي بن كعب بن قيس [٢] .

٢٥ ـ أنس بن معاذ بن أنس.

٢٦ ـ أوس بن ثابت بن المنذر .

٢٧ ـ أبو شيخ (أبي بن ثابت بن المنذر أخو حسان بن ثابت) .

٢٨ ـ أبو طلحة (زيد بن سهل بن الأسود) [٣] .

٢٩ ـ حارثة بن سراقة بن الحارث .

٣٠ ـ عمرو بن ثعلبة بن وهب .

٣١ ـ سليط بن قيس بن عمرو بن عتيك .

٣٢ ـ أبو زيد قيس بن سكن .

٣٣ ـ أبو خارجة عمرو بن قيس بن مالك .

٣٤ ـ ثابت بن خنساء بن عمرو .

٣٥ ـ عامر بن أمية بن زيد .

٣٦ ـ محرز بن عامر بن مالك .

٣٧ ـ سواد بن غزية بن أهيب البلوي (حليف لهم) .

٣٨ ـ الحارث بن ظالم بن عبس (أبو الأعور) ، ويقال أبو الأعور ابن الحارث بن ظالم .

٣٩ ـ سليم بن ملحان بن خالد بن زيد .

---

(١) كان الحارث بن الصمة من الأبطال الذين ثبتوا مع الرسول يوم أحد ، انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

(٢) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

(٣) أبو طلحة هذا من الأبطال المشهورين ، انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

٤٠ ـ حرام بن ملحان بن خالد .

٤١ ـ قيس بن أبي صعصعة .

٤٢ ـ عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف .

٤٣ ـ عصيمة (حليف لهم من بني أسد بن خزيمة) .

٤٤ ـ عمير بن عامر بن مالك .

٤٥ ـ سراقة بن عمرو بن عطية .

٤٦ ـ قيس بن مخلد بن ثعلبة .

٤٧ ـ النعمان بن عبد عمرو بن مسعود .

٤٨ ـ الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود .

٤٩ ـ سليم بن الحارث بن ثعلبة .

٥٠ ـ جابر بن سهيل بن عبد الأشهل .

٥١ ـ سعد بن سهيل بن عبد الأشهل .

٥٢ ـ كعب بن زيد بن قيس .

٥٣ ـ بجير بن أبي بجير (حليف لهم من غطفان) .

حديث القرآن عن المعركة

وقد تحدث القرآن الكريم عن معركة بدر ، فتناول أهم الأحداث التي جرت فيها ، فقد أنزل الله تعالى فيها سورة الأنفال بأكملها وهي خمس وسبعون آية .

قال ابن إسحاق .. فلما انقضى أمر بدر أنزل الله عز وجل فيه من القرآن (الأنفال) بأسرها .

وأول ما تحدث عنه القرآن الكريم اختلاف عسكر بدر من المسلمين حول الغنائم والأسلاب ، فقال تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال ، قل

الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ .

وقد كانت هذه الآية الكريمة بمثابة قرار حاسم لحل الخلاف بين العسكر حول الغنائم ، إذ جعل الله أمرها عائداً إلى النبى ﷺ وعلى المسلمين أن يطيعوا أمره .

وقد قسم النبى ﷺ الغنائم بين الجيش على السواء .

فكان عبادة بن الصامت يقول – إذا سئل عن سورة الأنفال – فينا معشر أهل بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل يوم بدر ، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا ، فرده على رسول الله ﷺ ، قسمه بيننا عن بواء – يقول .. على السواء – ، وكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله ﷺ وصلاح ذات البين .

كذلك أشار القرآن الكريم إلى خروج النبى ﷺ من المدينة لملاقاة عير قريش ، وحرص المسلمين على الاستيلاء على القافلة ، وكراهة البعض ملاقاة قريش ، فقال تعالى :

﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يُحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليُحق الحق ويُبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ .

وقد ذكر القرآن أيضاً دعاء قريش واستفتاح أبى جهل قبل المعركة والذى قال فيه (كما تقدم) .. اللهم اقطعنا للرحم وآتنا بما لانعرف ، فاحنه الغداة (أى اجعل حينه غداً) .. فقال تعالى :

﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، وإن تنتهوا (أى بعدما أصابكم فى بدر) فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد (أى نوقع بكم مثلما أوقعنا بكم فى بدر) ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين ﴾

كذلك تحدث القرآن عن اللقاء العجيب الذى كان غير متوقع (بالنسبة للمسلمين) بين الفريقين فى بدر ، إذ أن المسلمين لم يخرجوا للحرب وإنما خرجوا للاستيلاء على العير ، فوجدوا أنفسهم أمام جيش العدو الذى ما كانوا على ميعاد معه ، فقال تعالى :

﴿ إذ أنتم بالعُدوة الدنيا ، وهم بالعدوة القصوى والركب (أى العير التى نجت) أسفل منكم ، ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا ، ليهلك من هلك عن بيِّنة ، ويحيى من حىَّ عن بينة وإن الله لسميع عليم ﴾ .

كما تحدث القرآن الكريم عن حالة الوجل والخوف التى خاف فيها النبى ﷺ على جيشه الصغير من الفناء فى هذه المعركة ، فاستغاث ربه ، كما تحدث القرآن عن الملائكة الذين شهدوا المعركة لتقوية روح المسلمين المعنوية وتثبيتهم ، فقال تعالى :

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .

كذلك أشار القرآن إلى الطمأنينة التى جهز الله بها الجيش الإسلامى قبل المعركة ، والثبات الذى مدهم به فلقوا عدوهم بقلوب ثابتة ، لم يجد الخوف سبيلا إليها ، فقال تعالى :

﴿ إذ يغشِّيكم النعاس أمنة منه ، وينزّل عليكم من السماء ماءً ليظهركم

به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ .

كذلك تحدث القرآن عن خفقة النعاس التى أصابت النبى ﷺ ، وهو فى العريش (والمعركة قائمة) والتى رأى فيها (أى الخفقة) البشارة بالنصر ، فبشَّر أبا بكر بذلك (كما تقدم) فقال تعالى :

﴿ وإذ يريكهم الله فى منامك قليلا ، ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ، ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلَّم إنه عليم بذات الصدور ﴾ .

كذلك أشار القرآن إلى رمى النبى ﷺ المشركين بالحصباء عند إصدار أوامره بالهجوم عليهم ، فقال تعالى : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وليبلى المؤمنين منه بلاءً حسناً إن الله سميع عليم . ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ﴾ .

قال ابن إسحاق (يصف أمر الرسول بالهجوم على المشركين بعد رميهم بالحصباء) قال :

(ثم إن رسول الله أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشاً بها ، ثم قال .. شاهت الوجوه ، ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال .. شدوا ، فكانت الهزيمة) .

وتحدث القرآن أيضاً عن حالة صار عليها المسلمون عند لقاء عدوهم . حالة لابد من أن يكون عليها كل من يتوق إلى النصر ، وهى احتقار قوة العدو وعدم الخوف منها (وإن كانت كثيرة) تحدث القرآن عن امتنان الله على العسكر الإسلامى بإيجادها عندهم لئلا تهولهم كثرة العدو الغامرة فيتخاذلوا ، فقال تعالى :

﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ﴾ ..

كذلك تحدث القرآن مذكراً المسلمين بنصرهم المؤزر الذى أحرزوه

فى معركة بدر الذى كان سبباً فى تغيير مجرى حياتهم وتدعيم مركزهم السياسى والعسكرى والاقتصادى الذى صاروا بعده سادة المنطقة بعد أن كانوا ضعفاء خائفين لا يأمنون على أنفسهم ، فقال تعالى :

﴿ واذكروا ، إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ .

كما طلب من المسلمين عامة ، وعسكر بدر (خاصة) أن يعطوا الطاعة الكاملة دائماً لله ولرسوله ، وأن لا يختلفوا فيما بينهم ، فيصيبهم الفشل الذى هو (دائماً) من لوازم الخلاف ، كما طلب منهم الابتعاد دائماً عن الغرور والرياء والكبر الذى كان سبباً فى نكبة جيش مكة الذى قاده غرور وبطر أبى جهل إلى هزيمة نكراء لم تشهد مكة مثلها فى تاريخها فقال تعالى :

﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ، وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ .

الفرار من الزحف

كما أن القرآن (أيضاً) فى هذه السورة حذر المؤمنين من الفرار ساعة اللقاء ، وبين لهم فى شدة بأن الهرب ساعة الالتحام بالعدو جريمة وخيانة كبرى جزاء فاعلها جهنم ، فقال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ .

كذلك حث القرآن المسلمين فى هذه السورة التى نزلت فى جو مشحون بروح الحرب .. حثَّ المسلمين فيها على عدم التهاون فى محاربة أعداء الإسلام والتنكيل بهم فقال تعالى :

﴿ فإما تثقفنهم فى الحرب فشرِّد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون. وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين. وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ .

غير أن القرآن إذا كان قد حثّ أتباعه فى ذلك الظرف الخطير على التزام جانب القوة وخوض المعارك لضرب المعتدين الذين يتربصون بالإسلام الدوائر ، فإن دعوته الأساسية للسلم الذى لم يشرع الحرب إلا لتحقيقه ، هذه الدعوة ظل القرآن يدعو لتحقيقها كمطلب أساسى لدعوته فقال تعالى :

﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾ .

كذلك لم يُغفل القرآن فى هذه السورة الثناء على المهاجرين والأنصار الذين بسيوفهم (بعد تأييد الله) حققوا للإسلام أعظم نصر دخل المسلمون عن طريقه التاريخ من بابه الواسع فقال تعالى :

﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا (أى الأنصار) أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ .

كما أن القرآن الكريم عاتب النبى ﷺ فى هذه السورة على تصرفه فى أسرى بدر ، حينما أطلق سراحهم مقابل مبلغ من المال يدفعونه للمسلمين ، حيث كان من الأولى قتلهم لتحطيم معنويات المشركين وكسر شوكتهم الحربية وإعزاز جانب الإسلام ، لاسيما فى ذلك الجو الذى كانت فيه قريش تتحفز لإبادة المسلمين وتحشد الحشود لخضد شوكتهم ، فقال تعالى (معاتباً نبيه ﷺ) :

﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون عرَض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ .

الفصل السادس

- عودة الجيش إلى المدينة .
- الخلاف حول الغنائم والأسرى
- كيف تلقت المدينة أنباء النصر .
- وقع الهزيمة فى مكة .
- الموقف العام فى المدينة بعد النصر .
- محاولة اغتيال النبى صلى الله عليه وسلم .
- أثر الانتصار على سكان الجزيرة .
- نظرة وتحليل ، ورجاء وخاتمة .

الخلاف حول الغنائم

وقد أقام النبى ﷺ مع جيشه ببدر ثلاثة أيام ، وقبل رحيله من مكان المعركة حدث خلاف بين الجيش حول الغنائم .

فقال الذين ظلوا يطاردون العدو بعد الهزيمة ، نحن شغلنا العدو عنكم حتى أصبتم الغنائم ، وقال حرس القيادة ما أنتم بأحق به منا ، لقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكنا خفنا على رسول الله كرّة العدو فقمنا دونه ، وقال الذين جمعوا الغنائم هى لنا ، لأننا نحن الذين استولينا عليها .

ولما اشتد الخلاف أمر الرسول ﷺ بأن يرد الجميع ما بأيديهم

لينظر فى الأمر فيما بعد ، ثم لم يمض وقت طويل حتى نزل حل مشكلة الغنائم من السماء ، فقسمها الرسول ﷺ بين المحاربين على السواء ، وذلك بعد أن أنزل الله عليه سورة الأنفال التى افتتحت بقوله تعالى ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ وقد تم تقسيم الغنائم فى أثناء الطريق بمكان قريب من مضيق وادى الصفراء ، بين المضيق وبين النازية [1] والنبى عائد من بدر إلى المدينة .

عودة الجيش إلى المدينة

وبعد أن أقام ببدر ثلاثة أيام أصدر ﷺ أوامره إلى جيشه الظافر بالتحرك نحو المدينة [2] ، ومن مكان المعركة بعث برسولين ليسبقاه إلى المدينة ليبشرا أهلها بالنصر ، أحدهما من المهاجرين وهو زيد ابن حارثة ، والآخر من الأنصار وهو عبد الله بن رواحة .

قتل عقبة بن أبى معيط

وعندما وصل الرسول ﷺ إلى الصفراء أمر بقتل النضر بن الحارث ابن كلدة ، وهو حامل لواء المشركين يوم بدر ومن أكبر مجرمى تلك الحرب ومن أشد الناس كيداً للإسلام قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه

---

(١) كان رجوع النبى بجيشه من بدر يوم الأربعاء فى الثالث والعشرين من رمضان .

(٢) سمط النجوم العوالى ج ٢ ص ٣٨ :: والصفراء — بالتأنيث — وادى الصفراء بينه وبين بدر — من ناحية المدينة — مرحلة واحدة . والنازية — بالزاى وتخفيف الياء — عين بالقرب من الصفراء :

والنضر هذا ، هو الذى قالت ابنته قتيلة فيه تلك الأبيات المشهورة التى تعد من أروع الشعر المؤثر :

يا راكباً إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن تحية ... ما أن تزال به النجائب تخفق
منى إليك وعبرة مسفوحة ... جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعنى النضر إن ناديته ... أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد يا خير ضنء كريمة ... فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننْت وربما ... منَّ الفتى وهو المغيض المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن ... بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق
صبراً يقاد إلى المنية متعباً ... رسف القيود وهو عان موثق

ويقول بعض الرواة إن النبى ﷺ لما بلغه هذا الشعر الجزل تأثر وقال ، لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه ، وتفيد رواية ابن هشام عدم صحة هذه الرواية ، وهو المعقول لأن الرسول لم يأمر بقتله إلا وهو مستحق ، فلا تكون أبيات من الشعر مغيرة لحكم مشروع .

قتل عقبة بن أبى معيط

ولما وصل ﷺ إلى عرق الظبية أمر بقتل عقبة بن أبى معيط ،

وهو من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتله عاصم بن ثابت ابن أبى الأفلح [١] .

ويقول بعض الرواة إن النبي ﷺ لما أمر بقتل عقبة قال .. أتقتلنى يا محمد من بين قريش ؟ قال نعم ، ثم قال الرسول لأصحابه أتدرون ما صنع هذا بى ؟ .

جاءنى وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقى وغمزها ، فما رفعها حتى ظننت أن عينى ستندران من رأسى ، وجاء مرة أخرى بسلا شاة [٢] فألقاه على رأسى وأنا ساجد فجاءت فاطمة [٣] فغسلته عن رأسى .

---

(١) هو عاصم بن ثابت بن الأفلح الأنصارى ، كان من السابقين الأولين ، وكان محارباً فذاً ، روى أن النبي – ليلة بدر – سأل من معه ، كيف تقاتلون ، فأخذ عاصم ابن ثابت القوس والنبل ، وقال ، إذا كان القوم قريباً من مائتى ذراع كان الرمى ، وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعسة حتى تنقصف فإذا تقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم ، قتل عاصم غدراً فى يوم الرجيع فى أرض هذيل بالحجاز وذلك فى السنة الثالثة من الهجرة ، والقصة مفصلة فى سيرة ابن هشام :

(٢) السلا – بكسر السين – ما يعقب الولادة من أوساخ وقاذورات :

(٣) هى فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى أصغر بنات النبي وأحبهن إليه ولدت والكعبة تبنى والنبي صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة ، تزوجها على رضى الله عنه فى أوائل سنة اثنتين من الهجرة ، وذلك بعد مضى أربعة أشهر على تزوج أبيها صلى الله عليه وسلم من عائشة ، وقد أجمع المؤرخون على أن نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انقطع إلا من فاطمة ، قالت عائشة ما رأيت أحداً أفضل من فاطمة بعد أبيها ، وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل نساء العالمين أربع : مريم ، وآسيا ، وخديجة ، وفاطمة ، توفيت فاطمة رضى الله عنها يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة :

والنضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط ، هما الأسيران الوحيدان اللذان قتلا صبراً من بين أسرى بدر . وكان هذان الرجلان من أشد عباد الله كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وكانا من أكبر دعاة الحرب ومثيريها ضد الإسلام ، والمتربصين بالرسول الدوائر ، وبقاؤهما مصدر خطر كبير على الإسلام ، لا سيما فى تلك الظروف الحربية التى تجتازها دعوة محمد ﷺ فهما إذن من مجرمى الحرب الذين لو أطلق سراحهم لما تورعوا عن سلوك أى طريق فيه تدمير لمحمد وأصحابه ونسف لدعوتهم ، ولا أدل على ذلك مما كانا يرتكبانه من إهانات وتنكيل فى حق محمد ﷺ وهو أعزل آمن فى مكة .

فقتلهما (إذن) ضرورة تحتمها مصلحة دعوة الإسلام الفتية ، لا سيما وأنهما من أكبر مجرمى الحرب المسؤولين عن إشعال نيران معركة بدر التى خاضتها قريش بغياً وعدواناً ، وما كانت لتخوضها لولا عناد أمثال هذين الزعيمين المجرمين اللذين وأمثالهما ساقا مكة إلى الحرب قسراً بدافع الحقد على الإسلام . وإذا كان الرسول قد قتل هذين الأسيرين العريقين فى الإجرام فقط ، وقبل الفداء عن غيرهما من الأسرى ومنّ على البعض الآخر ، فإن القرآن قد نزل بالعتاب على إطلاق سراح الأسرى الذى تم إما بالمنّ وإما بالفداء ، فقد كان القرآن يحبذ الإثخان فى هؤلاء الأسرى ويفضل القتل على قبول الفداء .

وقد جاء هذا العتاب صريحاً فى قوله تعالى ﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم[1] ﴾ .

---

(١) الأنفال ٢٧، ٢٨ ؛

إن الوقوع فى الأسر لا يعنى صدور عفو عام عن الجرائم التى اقترفها الأسرى أيام حريتهم ، وهؤلاء الطغمة من كبراء مكة لهم ماض شنيع فى إيذاء الله ورسوله ، وقد أبطرتهم منازلهم فساقوا عامة مكة إلى حرب ما كان لها من داع فكيف يتركون بعد أن استمكنت الأيدى من خناقهم ؟[1] .

لقد كانت غزوة بدر هى المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين، وكان المسلمون قلة والمشركون كثرة ، وكان نقص عدد المحاربين من المشركين بالقتل أو بالأسر كسباً ضخماً فى هذه الحالة لا يعدله مال.

وكان هنالك معنى آخر يراد تقريره فى النفوس وتثبيته فى العقول؛ ذلك هو المعنى الكبير الذى أشار إليه عمر رضى الله عنه فى صرامة ونصاعة (وحتى يعلم الله أن ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين) لهذين السببين الكبيرين نحسب أن الله كره للمسلمين أن يفادوا أسارى بدر[2]

فقتل الأسيرين إذن ـ النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إنما هو تنفيذ لما كان يريد القرآن تنفيذه وأمر تتطلبه ظروف المسلمين الحربية التى أجبروا فيها على خوض المعارك ، التى أثارها هؤلاء البغاة وأشعلوا أوارها بالقرب من ديار المسلمين.

وفود التهنئة

ولما وصل النبى إلى الروحاء[3] لقيه رؤوس المسلمين من أهل المدينة يهنئونه بما فتح الله عليه ، فقال لهم سلمة بن سلامة ، ما الذى

---

(1) فقه السيرة ص ١٨٢ .

(2) فى ظلال القرآن ج ١٠ ص ٢٥ .

(3) الروحاء موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

تهنئوننا به ؟ فو الله إن لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن[1] فتبسم الرسول ﷺ ثم قال ، يا ابن أخى أولئك الملأ[2] .

وقال أسيد بن الحضير ؛ (وكان فيمن قدم إلى الروحاء للتهنئة) يا رسول الله الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك ، والله يا رسول الله ما كان تخلفى عن بدر وأنا أظن إنك تلقى عدواً ، ولكن ظننت أنها عير ، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت ، فقال رسول الله : صدقت[3] .

كيف تلقت المدينة أنباء النصر

عند وقوع معركة بدر كان سكان المدينة يتألفون من عناصر ثلاثة : المسلمون .. واليهود .. والمنافقون .

وقد كان اليهود والمنافقون يتمنون ، بل ويتوقعون الهزيمة للمسلمين والنصر والغلبة للمشركين فى هذه المعركة .

وقد نظم هؤلاء – قبل وصول البشير بنصر المسلمين – حملة من الإرجاف وبلبلة الأفكار أشاعوا فيها خبر قتل النبي وتمزيق جيشه فى معركة بدر .

وبينما كان المسلمون يترقبون – فى تلهف وهم على أحرّ من الجمر – أنباء المعركة ، وبينما كانت الإشاعة والإرجاف بهزيمة المسلمين تملآن أرجاء المدينة ، بشكل كادت تذهب له عقول المسلمين خوفاً على نبيهم

---

(1) جمع بدنة ، والبدنة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة ، تطلق على الذكر والأنثى :

(2) أى الأشراف :

(3) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٤ :

وجيشهم الفتى الصغير .. إذا بصوتى عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة [1] يهزان أنحاء المدينة تهليلا وتكبيراً معلنين-انتصار المسلمين الكامل وهزيمة المشركين الساحقة وقرب قدوم النبي ﷺ وجيشه سالمين غانمين

فعمت البهجة والسرور نفوس المسلمين ، وزالت عنهم جميع الهواجس المزعجة التي انتابتهم نتيجة الإشاعات الكاذبة والإرجاف المقصود الذي نظمه اليهود والمنافقون .

وبالرغم من وصول البشير بنصر المسلمين وهزيمة المشركين ، فقد حاول اليهود والمنافقون تكذيب أنباء الانتصار التي وصل بها البريد النبوي من بدر .

فاستمروا في إرجافهم ، حتى إن أحد المنافقين عندما رأى زيد ابن حارثة ـ أحد المبشرين بالنصر ـ راكباً القصواء ناقة رسول الله ﷺ بحضور أبي لبابة الأنصاري قال : لقد قتل محمد وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب ، وجاء فلا [2] وقالت اليهود ما جاء زيد إلا فلا .

---

(1) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصة استرقاقه أن أمه زارت قومها وزيد معها فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية على بيوت بني معن فاحتملوا زيداً وهو غلام صغير ، فباعوه في سوق عكاظ ، اشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة ، فلما تزوجها رسول الله وهبته له ، وكان أبوه حارثة قد حضر إلى مكة وطلب من النبي أن يقبل الفداء فيه ويعيده إليه ، فقال ، ادعوه فخيروه ، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارني فو الله ما أنا بالذي اختار على من اختارني فداء ، وعند تخيير زيد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك قبل الهجرة ، عاش زيد في بيت النبوة ، فكان من السابقين الأولين في الإسلام ، ثم صار من القادة البارزين ، كان أول القادة الثلاثة الذين أداروا دفة معركة مؤتة وكان أول هؤلاء القادة استشهاداً حيث قتل وهو يقود المعركة ضد الرومان :

(2) رجل فل ، وقوم فل ، منهزم ومنهزمون ، يستوي فيه الواحد والجمع .

ولشدة الإرجاف وقوة الإشاعة بقى كثير من المسلمين مترددين فى تصديق خبر انتصار المسلمين .

قال أسامة بن زيد[1] لقد جئت أبى (وهو أحد مبعوثى النبى من بدر بخبر النصر) حتى خلوت به فقلت له أحق ماتقول ؟؟ فقال أى والله ، حق ما أقول .

قال أسامة فقويت نفسى ورجعت إلى ذلك المنافق ، فقلت له ، أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين ، لنقدمنك إلى رسول الله ﷺ إذا قدم فليضربن عنقك ، فقال المنافق (متخاذلا) إنما هو شىء سمعته من الناس يقولونه .

طلائع الجيش المنتصر

وبالرغم من تأكيد الرسولين (ابن حارثة وابن رواحة) خبر نصر المسلمين وهزيمة المشركين ، فقد ظل اليهود والمنافقون يقاومون ما قرع آذانهم من بشائر الفوز المحقق ، واستمروا فى مكابرتهم حتى أخرستهم الحقيقة الملموسة المجسدة التى لا تجدى معها إشاعة أو إرجاف .

---

(١) أسامة هذا هو ابن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد أسامة فى الإسلام ، وقد أعطاه الرسول (قبل موته بقليل) القيادة على جيش عظيم لغزو أطراف الشام ، تولى أسامة قيادة هذا الجيش وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وكان عمر بن الخطاب ممن انضوى تحت لوائه ، وقد مات الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يفصل جيش أسامة من المدينة فبقى مرابطاً فى ضواحى المدينة حتى بويع أبو بكر بالخلافة ، ثم أمر هذا الجيش بأن يواصل سيره إلى الجهة التى رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيادة أسامة ، إلا أن أبا بكر استأذن أسامة فى السماح لابن الخطاب (الذى كان أحد جنوده) أن يبقى معه فى المدينة ففعل : اعتزل أسامة الفتنة بعد قتل عثمان ووقف على الحياد بين الفريقين حتى توفاه الله فى أواخر خلافة معاوية رضى الله عنه .

فقد أسقط فى أيدى هؤلاء اليهود والمنافقين ، عندما رأوا طلائع الجيش المحمدى المنتصر تزدحم بها طرقات المدينة ، وأمامها يساق أسرى البغى والعدوان مقرنين فى الأصفاد ، تعلو وجوههم ذلة الهزيمة .

وقد كاد اليهود والمنافقون يتهمون أبصارهم عندما رأوا سهيل بن عمرو ، وعمرو بن أبى سفيان والعباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث ، والوليد بن الوليد وغيرهم من سادات مكة وقادتها ، قد شدت أيديهم إلى الوراء يتعثرون فى خطاهم بين أفواج أسرى الشرك .

حقاً لقد كانت النهاية التى انتهت بها معركة بدر ، حدثاً خطيراً اهتزت له الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها .

الرسول المنتصر يدخل المدينة

وقبل وصول الأسرى مع طلائع الجيش إلى المدينة بيوم واحد دخلها صلى الله عليه وسلم يحيط به قادة جيشه وهيئة أركان حربه .

وقد استقبلته المدينة استقبالا رائعاً ، أما اليهود والمنافقون فقد اسودت وجوههم واستبد بهم الغل والحقد فأفقدهم رشدهم وأذهب صوابهم .

معاملة الأسرى

أما الأسرى فقد فرقهم النبى على جماعته وأوصى بهم خيراً .

قال أبو عزيز وهو أحد الأسرى ، وأخو مصعب بن عمير ، حامل لواء المسلمين يوم بدر .. قال : كنت فى رهط من الأنصار حتى أقبلوا من بدر ، فكانوا ، إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم ، خصونى بالخبز وأكلوا

التمر ، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، فما تقع فى يد رجل كسرة من الخبز إلا نفحنى بها ، قال فأستحى فأردها عليه ، فيردها على ما يمسها .

الاختلاف حول مصير الأسرى

وبعد أن استقر الرسول ﷺ بالمدينة عقد مجلساً استشارياً أعلى شهده كبار الصحابة ، لبحث موضوع الأسرى وتقرير مصيرهم ، وقد شهد هذا المجلس أبو بكر وعمر وعثمان[1] وعلى وعبد الله بن رواحة وغيرهم من كبار الصحابة وقادة الجيش المنتصر .

وقد اختلف أعضاء هذا المجلس حول مصير الأسرى . فقد كان فريق يرى إبادة هؤلاء الأسرى جميعهم ، وعلى رأس هذا الفريق عمر ابن الخطاب الذى قال :

« يا رسول الله .. كذبوك وأخرجوك ، قدمهم واضرب أعناقهم »

وشاطر عمر هذا الرأى ، القائد عبد الله بن رواحة الأنصارى الذى قال :

---

(١) هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى القرشى ، غنى عن التعريف .. الخليفة الراشد الثالث ، وزوج ابنتى رسول الله ، رقية وأم كلثوم أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم « لكل نبى رفيق ورفيقى فى الجنة عثمان » ، لم يشهد بدراً لأنه تخلف ارض زوجته رقية التى توفيت يوم قدوم البشير إلى المدينة بانتصار المسلمين فى بدر ، وكتب له النبى صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره كأى محارب فى معركة بدر ، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب ، قتل بالمدينة ظلماً فى تلك الفتنة العمياء التى أثارها المجرمون والتى لا يزال المسلمون يخبون فى ظلامها حتى اليوم ، وكان قتله رضى الله عنه فى التاسع عشر من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين هجرية ، قتله المجرمون وهو ابن اثنين وثمانين سنة :

يارسول الله .. انظر واديا من حطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً ، وكان العباس بن عبد المطلب (وهو أحد الأسرى) يسمع ، فقال لابن رواحة قطعتك رحمك .

وكان فريق آخر يرى الرأفة بهم والتأنى فى شأنهم ، وعلى رأس هذا الفريق أبو بكر الصديق الذى قال :

يارسول الله .. قومك وأهلك ، استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم .

القرار الأخير

وبعد أن عرف الرسول رأى الفريقين شكرهما وأثنى على اجتهادهما، حيث شبه رأى الفريق الأول الذى يرى إبادة الأسرى برأى نبي الله نوح الذى طلب من الله تدمير قومه بقوله : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ . [1]

وشبه الفريق الثانى الذى يرى الرأفة بالأسرى ، بنبي الله عيسى الذى قال فى قومه : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [2] .

إلا أن الرسول اتخذ بشأن هؤلاء الأسرى رأيا وسطاً بين الرأيين، فقد خير الأسرى بين القتل أو الفداء ، حيث قال لهم : أنتم اليوم عالة فلا يفلتن منكم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق .

وهكذا انتهت مشكلة الأسرى ، وأبلغت المدينة مكة هذا القرار، وتم على أساسه فيما بعد إطلاق سراح الأسرى جميعاً ، إما بواسطة الفداء

---

(١) نوح ٢٥ .

(٢) المائدة ١١٨ .

الذى دفعه الموسرون ، وإما بواسطة المنّ الذى تكرم به ﷺ وأطلق سراح بعض الأسرى من غير فداء لفقرهم .

كما اتفق مع المثقفين من الأسرى على إطلاق سراحهم مقابل قيامهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة .

آية العتاب بشأن الأسرى

غير أنه بعد صدور قرار الرسول بشأن الأسرى نزل وحى من السماء فيه عتاب بشأن هذا القرار .

فقد روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ، غدوت إلى النبى ﷺ وأبى بكر وهما يبكيان فقلت ، يارسول الله أخبرنى ، ما الذى يبكيك أنت وصاحبك ؟ ، فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت . فقال ﷺ الذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء ، عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة – لشجرة قريبة – ، وأنزل الله تعالى ﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ﴾ الآية.

كيف تلقت مكة نبأ هزيمة جيشها

لقد فر من ساحة المعركة يوم بدر من مشركى مكة حوالى ثمانمائة وخمسين مقاتلا ، بعثرتهم الهزيمة الساحقة فى وديان تهامة وشعابها . واتجهوا صوب مكة مذعورين ، لا يدرى الواحد منهم كيف يدخلها خجلاً ، للذى منوا به من اندحار على كثرتهم وقلة أعدائهم .

ففى الوقت الذى تلقت فيه المدينة نبأ انتصار المسلمين بالغبطة

والسرور والابتهاج ، كانت مكة فى ذهول شديد ، عند تلقى الأنباء الأولية عن هزيمتها ، واستعصى على عقول أهلها تصديق تلك الأنباء ، إلى درجة أنهم اتهموا الناقل الأول لأنباء الهزيمة بالجنون .

فما كان يخطر لهم على بال ، وما كانوا يتصورون أن ألف مقاتل يضم خيرة شباب قريش وأمهر قادتها وأشجع زعمائها سيندحر هكذا (وبهذه الصورة المخزية) أمام ثلاثمائة مقاتل من أهل المدينة الذين يفوقهم جيش مكة فى كل شيء أضعافاً مضاعفة .

اسألوه إن كان يعقل

كان أول من صك أسماع أهل مكة بهزيمة جندهم ، الحيسمان بن إياس الخزاعى [1] ، الذى كان أحد الفارين وأول القادمين من ساحة المعركة .

تجمع حوله أهل مكة وأحاطوا به كتلا متراصة يسألونه (فى لهفة) عن نتيجة المعركة ، وقال قائلهم : ما وراءك يا حيسمان ؟ .

فأبلغهم (وهو يلهث من شدة الإعياء) خبر الهزيمة الساحقة التى نزلت بجيشهم ، وبينما كان يعد عليهم بعض أسماء الصرعى من زعماء مكة وقادتها ، وقف عليه صفوان بن أمية [1] ــ وهو أحد زعماء المشركين

---

(١) الحيسمان ــ بفتح الحاء وضم السين ــ ابن إياس بن عبد الله الخزاعى ، كان شريفاً فى قومه ، أسلم فحسن إسلامه .

(٢) هو صفوان بن أمية بن خلف الجمحى القرشى ، قتل أبوه يوم بدر مشركاً ، كان أحد الذين قاوموا فى الخندمة يوم فتح مكة ، كان من أشد الناس عداء للإسلام ، وكان أحد الذين أهدر الرسول دمهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة ، فهرب يوم الفتح ، ثم عفا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فعاد إلى مكة وحضر وقعة حنين مع المسلمين قبل أن =

الذين لم يشهدوا بدراً ـ وبمجرد استماعه إلى حديث الحيسمان عن الهزيمة أكد للحاضرين أنه مجنون ، وليؤكد ذلك ، قال لهم ، اسألوه عن إن كان يعقل ؟؟ فقالوا له ما فعل صفوان بن أمية ؟ .

قال ، هو ذاك جالس فى الحجر ، وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

فأسقط فى أيدى أهل مكة ، وهاج الناس وماج بعضهم فى بعض من هول الصدمة ، وزاد الأمر تأكيداً أن قدم أبو سفيان بن الحارث [1] ، وهو أحد القادة الذين أداروا دفة القتال ضد النبي يوم بدر ، فأيد ما أذاعة الحيسمان عن هزيمة الجيش المكى .

وقع الهزيمة على نفس أبى لهب

قال أبو رافع [2] مولى رسول الله ﷺ ، قال كنت رجلاً ضعيفاً أعمل الأقداح ، أنحتها فى حجرة زمزم ، فو الله إنى لجالس إذ أقبل أبو لهب (عم رسول الله ﷺ) وهو يجر رجليه بشر ، حتى جلس على طنب الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهرى .

فبينما هو جالس ، إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث قد قدم ،

= يسلم ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، كان من كرماء الجاهلية وفصحائها ، شهد معركة اليرموك وكان قائد أحد الكراديس ، مات بالمدينة فى اليوم الذى قتل فيه عثمان .

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة أرضعتهما حليمة السعدية ، كان ممن يؤذى النبى ويهجوه ، وكان شديد الأذى للمسلمين ، أسلم عام الفتح ، وشهد معركة حنين مع النبى صلى الله عليه وسلم وكان ممن ثبت مع الرسول ، مات سنة خمس عشرة من الهجرة وقيل سنة عشرين .

(٢) كان أبو رافع عبداً لسعيد بن العاص بن أمية ، فأعتق كل من بنيه نصيبه فيه إلا خالد بن سعيد فإنه وهب نصيبه للنبى صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، فكان أبو رافع يقول أنا مولى رسول الله .

فقال له أبو لهب بن عبد المطلب ، هلم إلى فعندك ، لعمرى ، الخبر.

قال فجلس والناس قيام عليه ، فقال يا ابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ .

فقال الحارث ، والله ما هو إلا أن لقينا القوم ، فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وأيم الله ـ مع ذلك ـ مالمت الناس ، لقينا رجال بيض على خيل بُلق بين السماء والأرض ، والله لا يقوم لها شيء .

قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدى ، ثم قلت ، تلك والله الملائكة ، قال فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربة شديدة ، فثاورته فاحتملنى فضرب بى الأرض ، ثم برك على يضربنى ، وكنت رجلا ضعيفاً ، فقامت أم الفضل [1] (زوج العباس بن عبد المطلب) إلى عمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فعلت فى رأسه شجة منكرة ، وقالت استضعفته أن غاب عنه سيده ، فقام مولياً ذليلا فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته [2] .

---

(١) أم الفضل ، اسمها لبابة بنت الحارث الهلالية ، يقال إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة ، تزوج النبى شقيقتها ميمونة ، كانت من رواة الحديث ، أخذه عنها كثير من الصحابة ، كانت أم الفضل من شريفات النساء ، ماتت فى خلافة عثمان قبل زوجها العباس :

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٩٢ .. وقد روى ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية أن أبا لهب لما مات تركه ابناه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتى أنتن ، وكانت قريش تتقى العدسة (مرض معد مشهور عند العرب) كما تتقى الطاعون ، حتى قال لهما رجال من قريش ، ويحكما ألا تستحيان إن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفنانه ؟ فقالا إنا نخشى عدوة هذه القرحة ، فقال أحدهم انطلقا فأنا أعينكما عليه ، فو الله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه بعيداً ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة .

وبعد أن تأكدت قريش من نتيجة المعركة ، وعرف كل بيت فى مكة مصابه فيها أقامت المناحات ، وهى المآتم – وتلك عادة جاهلية أزالها الإسلام .

ناحت قريش على قتلاها فترة قصيرة من الزمن ، بعدها أصدر قادة مكة أمراً بأن لا ينوح أحد على قتيل من قتلى هذه المعركة البتة ، وأن يلتزم الناس السكون تجلداً ، ولئلا يشمت محمد ﷺ وأصحابه بهم .

لقد كانت فاجعة مكة فى معركة بدر فاجعة مروّعة حقاً ، ما منيت بمثلها تاريخها الطويل إذ لم يكد ينجو بيت فيها من مأتم على ابن أو زوج أو أخ أو أب أو قريب .

ولهذا هال زعماء مكة وأزعجهم أن سمعوا جبال هذه المدينة تردد أصوات النائحات الثكالى أينما ذهبوا بشكل تنهار له أقوى الأعصاب ، حيث انقلبت مكة من أقصاها إلى أقصاها إلى مناحة مفزعة رهيبة .

فسارع هؤلاء الزعماء إلى إصدار خطر كامل منعوا بموجبه البكاء على قتلى بدر ، لئلا يشمت بهم المسلمون .

ولقد بلغ المصاب من الهول إلى درجة أن بعض أشراف مكة فقد أكثر من ابن له فى هذه المعركة التى أشعلها أبو جهل دونما مبرر إلا الخيلاء والغرور .

فقد ، فَقَدَ صفوان بن أمية فى هذه المعركة أباه أمية وأخاه على ابن أمية ، وفقد أبو سفيان بن حرب ابنه حظلة وأسر ابنه عمرو ، كما فقد عكرمة بن أبى جهل أباه (واسمه عمرو بن هشام) وعمه

العاص بن هشام ، كما فقد خالد بن الوليد أخاه الوليد بن الوليد .

أبكى أن يضل لها بعير ؟

وكان أشد الناس مصاباً فى هذه المعركة ، الأسود بن المطلب ، فَقَدَ فى هذه المعركة ثلاثة من أبنائه دفعة واحدة .

حيث قتل فيها ابنه زمعة [1] ، وعقيل ، والحارث ، وكان الأسود هذا شيخاً طاعناً فى السن وشريفاً فى قومه .

وكان الحزن يحرق جوفه كلما تذكر مصرع أبنائه الثلاثة ، وكان يود لو يسمح له زعماء مكة بإعلان البكاء على أولاده لتخفف عليه وطأة الحزن ، فقد كان لايذوق للنوم طعماً حزناً على أبنائه . وبينما هو على هذا الحال إذ سمع نائحة فى الليل ، فطمع أن يكون قد سمح بالنحيب ليبكى وينوح على أبنائه ، وكان الأسود هذا قد ذهب بصره ، فاستدعى غلاماً له ، وقال له : انظر هل أحل النحيب ؟ - يعنى هل رفع حظر البكاء على قتلى بدر ؟؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلى أبكى على أبى حكيمة - يعنى ابنه زمعة - وكان من أحب أبنائه إليه - فإن جوفى قد احترق .

فذهب الغلام يستطلع الخبر ، ثم عاد ليخبر سيده بأن الحظر لايزال قائماً ، وأن التى تنوح إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته ، فهاجت أحزان الشيخ المفؤود وسالت دموعه ، فقال بعد أن أدرك بذكائه أن صاحبة الجمل الضائع لم يكن بكاؤها - فى الحقيقة على

---

(١) زمعة بن الأسود بن المطلب هذا كان أحد النبلاء الخمسة الذين سعوا لإلغاء الحصار الاقتصادى الذى فرضته قريش على النبى وبنى هاشم وبنى المطلب قبل الهجرة .

جملها – وإنما جعلت من ضياعه وسيلة تتخيل بها للبكاء على قتيل لها فقدته فى معركة بدر ، أنشد قصيدته التى مطلعها :

أتبكى أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود
فما تبكى على بكر ولكن على بدر تقاصرت الجدود

فداء الأسرى

وهكذا عاشت مكة فترة من الزمن فى ذهول وحزن ، وبعد أن هدأت عاصفة الحزن فى النفوس أخذ مشركو مكة يفكرون فى مصير سبعين أسيراً من أبنائهم لا يزالون فى معسكر المدينة .

وبينما هم كذلك إذا بنص القرار الذى اتخذه مجلس المدينة الأعلى بشأن الأسرى يصل إليهم ، وكان هذا القرار يقضى بتخييرهم بين الأسر أو دفع الفداء عنهم ، ومقداره أربعة آلاف درهم عن كل أسير .

وهنا شرعت مكة فى الاتصال بالمدينة وأخذ مندوبوها يتوافدون إلى المدينة لإطلاق سراح الأسرى ودفع الفداء عنهم .

كيف فدى العباس بن عبد المطلب نفسه

وكان العباس بن عبد المطلب (عم النبى) أحد الأسرى ، وهو من أغنياء قريش ، فدى نفسه ودفع الفداء عن ابنى أخيه عقيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، ، كما دفع الفداء عن

حليفه عتبة بن عمرو بن جحدم [1] أبره بذلك رسول الله ﷺ ، فقال ، لا مال لى .

فقال له رسول الله ﷺ ، أين المال الذى وضعته عند أم الفضل ، وقلت لها إن أصبت فللفضل كذا ، ولعبيد الله كذا ، وقال والذى بعثك بالحق ، ما علم به أحد غيرى وغيرها ، وإنى لأعلم إنك رسول الله . وفدى نفسه وابنى أخويه وحليفه [2] .

وكان المسلمون ، أثناء معركة بدر ، قد استولوا على أربعين أوقية من الذهب أخذوها من العباس بن عبد المطلب عند أسره ، وعندما جاء وقت إطلاق الأسرى بالفداء ، طلب العباس من الرسول ﷺ ، أن يحسب كمية الذهب التى صودرت منه يوم بدر من الفداء ، فرفض الرسول ﷺ طلبه ، وقال لا . ذلك شىء أعطاناه الله عز وجل (أى أنه أصبح غنيمة للمقاتلين المسلمين بعد استيلائهم عليه) [3]

زينب بنت الرسول وزوجها الأسير

وكان من بين الأسرى أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس ، زوج زينب بنت الرسول ﷺ ، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت أم

---

(١) كان مقدار الفداء الذى دفعه العباس عن نفسه وعن ابنى أخويه وحليفه مائة أوقية من الذهب ، وهذا يعنى أن مقدار الفداء الذى تقرر دفعه عن كل أسير هو خمس وعشرون أوقية من الذهب .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٩٢ .

(٣) وذكر ابن كثير أن المسلمين أبلغوا الرسول صلى الله عليه وسلم رغبتهم فى إعفاء العباس من الفداء وإطلاقه مجاناً ، لقربه من رسول الله ، فرفض صلى الله عليه وسلم ذلك وكلف العباس بأن يدفع الفداء كغيره من الأسرى .

المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، فسألت الرسول ﷺ أن يزوج أبا العاص ابنته زينب ففعل .

وكان ذلك قبل أن يوحى إليه ﷺ حيث كانت زينب وأبو العاص على شركهما ، فلما نزل الوحى آمنت زينب بأبيها ، وبقى أبو العاص على شركه ، ولم يستطع الرسول التفريق بينهما ، لأنه كان مغلوباً بمكة قبل الهجرة .

ولما وقع أبو العاص بن الربيع فى الأسر بعثت زوجه زينب (وهى بمكة) فى فدائه بقلادة لها كانت خديجة رضى الله عنها جهزتها بها يوم زفافها ، فلما رآها الرسول ﷺ رق لها رقة شديدة فقال للمسلمين إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا ، فأطلقوا سراح زوجها وردّوا إليها قلادتها ، وأخذ الرسول على أبى العاص أن يبعث بزينب إلى المدينة ففعل ، وفرق الرسول بينهما ، وعندما أسلم أبو العاص فيما بعد رد عليه الرسول زينب بعقد جديد .

انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً

وكان من بين الأسرى سهيل بن عمرو بن عبد شمس العامرى[1] وكان شجاعاً وهو أحد أشراف مكة ، وخطيب قريش المشهور ، وكان لخطاباته الشهيرة تأثير كبير فى محاربة دعوة الإسلام .

لذلك لما جاء وقت دفع الفداء عنه وتقرر إطلاق سراحه ، طلب عمر

---

(١) سهيل هذا هو الذى (بالنيابة عن قريش) عقد صلح الحديبية مع النبى صلى الله عليه وسلم وكان من سادات مكة ، أسره يوم بدر مالك بن الدخشم . أسلم سهيل عام الفتح وحسن إسلامه ، وكان كثير الصوم والصلاة والصدقة ، قتل شهيداً فى معركة اليرموك رضى الله عنه .

ابن الخطاب من الرسول ﷺ أن يحدث له عاهة لا يتمكن بعدها
من أن يقوم خطيباً ضد النبي ﷺ حيث قال يا رسول الله ، انزع
ثنيتي (سهيل يدلع لها لسانه) فلا يقوم عليك خطيباً في موضع أبداً.
فرفض الرسول ﷺ طلب ابن الخطاب رضى الله عنه وقال :

لا أمثل فيمثل الله بي وإن كنت نبياً ، ثم قال النبي لعمر (دعه
فعسى أن يقوم مقاماً تحمده) ولقد صدق الرسول ﷺ فيما أشار إليه
من موقف سهيل المحمود ، وهذا من أعلام النبوة .

فعند موت النبي ﷺ هم بعض أهل مكة بالارتداد عن الإسلام
وبدأت الفتنة تظهر قرونها على أيدى المتربصين من ضعاف الإيمان

ولما بلغ سهيلا ذلك ـ وكان سيداً مطاعاً وشجاعاً مهاباً ـ وقف خطيباً
وقال (فى حزم وصرامة) : يا أهل مكة ، لا تكونوا آخر الناس إسلاماً وأولهم
ارتداداً ، والله من رابنا أمره شىء ضربنا عنقه كائنا من كان .. أو كما
قال . فكان لموقفه البطولى هذا أكبر الأثر فى قتل الفتنة فى مهدها .

إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم

وكان سهيل بن عمرو هذا من أرجح الناس وأصدقهم لهجة .

حضر الناس (مرة) باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيهم
سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب وأولئك الشيوخ من قريش
فخرج آذنه يأذن لأهل بدر .. لصهيب الرومى وبلال الحبشى ، وأهل
بدر ، وكان (عمر) يحبهم ، وكان قد أوصى بهم .

فقال أبو سفيان ، ما رأيت كاليوم قط ، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد
ونحن جلوس لا يلتفت إلينا ، فقال سهيل بن عمرو :

أيها القوم إنى والله قد أرى الذى فى وجوهكم ، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم ، دُعِيَ القوم ودعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم ، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذى تنافسون فيه ، ثم قال : أيها القوم إن هؤلاء قد سبقوكم بما ترون ، ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه ، فانظروا هذا الجهاد فالزموه ، عسى الله عز وجل أن يرزقكم الشهادة ، ثم نفض ثوبه ولحق بالشام ، وخرج بجماعة أهله ــ إلا ابنته هند ــ إلى الشام مجاهداً حتى ماتوا كلهم هنالك [1] .

أثر المعركة على سكان الجزيرة

وهكذا انتهت معركة بدر بهذا الإنتصار الحاسم للمسلمين ، الذى تدهورت له سمعة قريش العسكرية والسياسية فى بلاد العرب .

لقد دهش العرب قاطبة للنصر الحاسم غير المتوقع الذى ناله المسلمون فى هذه المعركة .

وكان اليهود والمنافقون أشد الناس إستياء لهذا النصر المبين .

وبالرغم من تباين الوقع الذى تلقت به أحزاب الكفر نبأ انتصار المسلمين فى هذه المعركة ، فقد كان الاستياء عاماً بينهم ، والإجماع منعقداً منهم على الوقوف فى وجه المسلمين .

فقد صمم الجميع على أن لا يمكنوا المسلمين مرة أخرى من تحقيق أى نصر يزيد من قوتهم ويقوى من شوكتهم .

إلا أن هؤلاء الأعداء قد تباينوا فى سلوكهم إزاء المسلمين بعد هذا

---

(١) الاستيعاب فى أسماء الأصحاب المطبوع مع الإصابة فى تمييز الصحابة ج١ ص١١٠

النصر ، إذ ذهب كل فريق يعمل فى سبيل الإيقاع بالمسلمين وتفريق جمعهم وخضد شوكتهم بالطريقة التى يراها كفيلة ببلوغ غايته .

مكة بعد الهزيمة

فى مكة انطوى أهلها على أنفسهم يندبون قتلاهم ويداوون جراح قلوبهم ، بعد أن مرغت الهزيمة كبرياءهم وجدعت أنف غرورهم ، ولكنهم مع هذا لم يستكينوا ، فبعد أن أفاقوا من هول الصدمة أخذوا يواصلون الاجتماعات ، ويعقدون المؤتمرات للنظر فى الطريقة التى يغسلون بها عار الهزيمة التى أنزلها المسلمون بهم ، والتى لم تزدهم إلا حقداً على محمد ﷺ وبغضاً للإسلام .

فأعلنوا التعبئة العامة التى كانت نتيجتها معركة أحد الرهيبة ، كما أن الهزيمة قد ضاعفت من نقمتهم على المسلمين الذين يعيشون بينهم فى مكة ، فأخذوا يشددون على من يدخل الإسلام من أهل مكة ويضاعفون من اضطهادهم والتنكيل بهم .

فعاش فى مكة - آن ذاك - كل مسلم إما مستخفياً بإسلامه ، وإما ذليلاً مستضعفاً ، عرضة للتنكيل والإهانة ، لأن الدولة هناك كانت للمشركين .

الموقف فى المدينة بعد المعركة

أما فى المدينة فقد كان الأمر على العكس تماماً - من حيث السيطرة فقد أصبحت سلطة المسلمين - بعد معركة بدر - هى النافذة ، مما

اضطر كثيراً من غير المسلمين إلى التظاهر بالإسلام مع الانطواء على بغض الإسلام وإضمار الكيد للمسلمين .

وفى مقدمة هؤلاء رأس النفاق عبد الله بن أبى بن سلول[1] الذى نصح أصحابه — بعد معركة بدر — بأن يعلنوا إسلامهم حين قال مشيراً إلى اشتداد شوكة المسلمين — بعد معركة بدر — هذا أمر قد توجه (أى استمر) فلا مطمع فى إزالته ، ثم أعلن إسلامه ، وتبعه على ذلك جميع أحزاب النفاق فتظاهروا بالإسلام .

ولكنهم مع هذا ظلوا فى الباطن يتربصون بالإسلام الدوائر ، وقد لجأ هؤلاء المنافقون (فى محاربة النبى وصحبه) إلى سلوك سبل الدس والمخاتلة ، فظلوا يرسمون الخطط سراً للإيقاع بالنبى ﷺ ، وينتهزون الفرص لتفكيك وحدة أصحابه وإضعاف قوتهم ، كما هو مفصل فى قصص المنافقين التى قصها القرآن ورونها أمهات التاريخ .

اليهود بعد المعركة

على أنه إذا كانت هذه الفئة فى المدينة وضواحيها من عبدة الأوثان وقلة من اليهود ، قد تظاهرت بالإسلام ، وكفّت عن معالنة النبى بالعداء

(١) هو عبد الله بن أبى بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجى ، أبو الحباب ، المشهور بابن سلول — بفتح السين وضم اللام — وسلول جدته لأبيه ، رأس المنافقين فى الإسلام من أهل المدينة كان سيد الخزرج فى آخر جاهليتهم ، وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر ، تقية ، ولما تهيأ النبى رضى الله عنه لوقعة أحد انخزل ابن أبى وكان معه ثلاثمائة رجل فعاد بهم إلى المدينة ، وفعل ذلك يوم التهيؤ لغزوة تبوك ، وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم ، وكلما سمع بسيئة نشرها ، وله فى ذلك أخبار ، مات بالمدينة سنة تسع من الهجرة ، وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وكان ابن الخطاب لايرى ذلك ، فنزلت (ولا تصل على أحد منهم) : الآية

فإن فئة أخرى وكلها من اليهود ظلوا على دينهم أحراراً ، لم يكرههم الرسول على الدخول فى الإسلام ، كما هى شرعة الإسلام ﴿ لا أكراه فى الدين ﴾ .

المعاهدة بين النبى واليهود

كان النبى ﷺ عندما وصل إلى المدينة مهاجراً ، وجد بها يهوداً قد اتخذوا منها وطناً ، فعقد معهم كما قلنا معاهدة ، كان من أهم بنودها أن يمتنع كل من الفريقين عن إيصال أى أذى للفريق الآخر وأن لا يعين أحد منهما عدوا على الفريق الآخر .

لم يحدّث المسلمون أنفسهم بنقض عهود اليهود ولا فكروا فى طردهم من أرض الجزيرة (بالرغم من أن المسلمين أصبحوا سادة الموقف بعد المعركة) بل على العكس توقع المسلمون منهم أن يكونوا عوناً لهم فى حرب الوثنية المخرّفة ودعم عقيدة التوحيد ، ورجا المسلمون أن يصدق اليهود محمداً فيما يثبته الله من تنزيه ومجد ، وأن تكون صلتهم بالكتب القديمة والفتهم لأحاديث المرسلين سبباً فى إقناع العرب الأميين بأن الرسالات حق والإيمان بها واجب ، وهذه المشاعر الحسنة تتمشى مع القرآن النازل يومئذ يؤسسها ويؤكدها قول القرآن ﴿ ويقول الذين كفروا لست مرسلا ، قل .. كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ [1] .

---

(١) الرعد آية ٤٣ :: عن كتاب فقه السيرة ص ١٨٤ .

ولكن هذه الفئة من اليهود وعلى رأسها المرابى الكبير ، كعب بن الأشرف النبهانى [1] قد خالفت نصوص هذه المعاهدة وأعلنت سخطها على النبى ﷺ ، وجاهرت بعدائها له وأظهرت تألمها للهزيمة التى حاقت بالمشركين فى بدر .

وأخذ هؤلاء اليهود يحرضون المشركين (وخاصة أهل مكة) على الفتك بالنبى والقضاء على دعوته ، ويقدمون لهم كل مساعدة ممكنة ، ويدلونهم على عورات المسلمين ، ناكثين بذلك كل العهود والمواثيق التى أعطوها لمحمد ﷺ على أنفسهم .

وهكذا أفقد النصر الذى أحرزه المسلمون اليهود صوابهم ، فاشتد حقدهم على الإسلام ، مما ضاعف نشاطهم ضده وضد حاملى دعوته ، واكتشف المسلمون عدة مؤامرات دبرها اليهود بغية القضاء عليهم وعلى نبيهم .

وظل المسلمون (بالرغم من هذا) ضابطين لأعصابهم حتى تفاقم الأمر ، واتسعت شقة الخلاف بين الفريقين ، ولم تنته الحرب الباردة بين الفريقين إلا بتلك الأحداث الدامية الخطيرة التى جاءت نتيجة للحماقات المتكررة التى كان اليهود يرتكبونها ضد الإسلام والمسلمين ، والتى كانت ثمارها إبادة فريق منهم ونفى الفريق الآخر من المدينة

---

(١) هو كعب بن الأشرف الطائى من بنى نبهان كانت أمه من بنى النضير . شاعر جاهلى .: دان باليهودية ، وكان سيداً فى أخواله ، يقيم فى حصن له قريب من المدينة ، ما زالت بقاياه إلى اليوم ، قتل سنة ثلاث من الهجرة خارج حصنه :

وتطهيرها من شرور دسائسهم ومؤامراتهم ، كما حدث لبنى قريظة وبنى قينقاع وبنى النضير ، كما سنفصل ذلك فى أول حديثنا عن معركة أحد وغزوة الأحزاب إن شاء الله.

موقف الأعراب بعد المعركة

أما الأعراب – وخاصة الضاربين حول المدينة – فقد كان وقع انتصار المسلمين شديداً على نفوسهم.

فقد اضطربوا لهذا الانتصار وأصابهم الذعر ، وخافوا أن تقوم للإسلام دولة فى المدينة تحول بينهم وبين ما ألفوه (حسب شريعة الغاب) من السلب والنهب الذى هو مصدر رزقهم وعليه يقوم كيانهم.

وهذا هو المصدر الرئيسى لقلقهم من انتصار المسلمين ، أما مسألة الكفر أو الإيمان فإنها ليست ذات أهمية بالنسبة لهؤلاء الأعراب ، إذا قيست بمسألة حرصهم وإصرارهم على إخضاع المنطقة لرماحهم ينهبون ويسلبون فى ظلها ، كما هى شرعة الجاهلية فى جميع مناطق الأعراب. فباعث قلق الأعراب من انتصار المسلمين فى هذه المعركة وانتشار نفوذهم لم يكن باعثاً سياسياً أو عقائدياً ، وهذا عكس ما عليه أهل مكة الذين يعتبرون أنفسهم حراس الوثنية وسدنة الكعبة ، والزعماء الروحيين لجميع المشركين فى الجزيرة بحكم وجودهم فى منطقة الحرم التى يعظمها ويحج إليها جميع الوثنيين على اختلافهم فى تعدد الآلهة التى يعبدون من دون الله.

كما أن قريشا كانت تعتبر من الناحية السياسية والمدنية والعسكرية

فى الدرجة الأُولى بالنسبة لجميع سكان الجزيرة ، مما أعطاها مركزاً ممتازاً بين جميع قبائل العرب فى كل هذه الميادين .

ولهذا كان حقد قريش على محمد وبغضهم للإسلام قائماً على بواعث عقائدية وسياسية فى الدرجة الأُولى ، ومن هنا صاروا أشد سكان الجزيرة حرصاً على القضاء على محمد وقتل دعوته .

إحاطة الأخطار بالمسلمين

وهكذا وجد النبى ﷺ وصحبه أنفسهم ، بعد انتصارهم فى بدر وسط دائرة من الأخطار تحيط بهم من كل جانب .

فهم وإن كان انتصارهم فى بدر قد عزز مركزهم فى المدينة أكثر من أى وقت مضى ، حيث أصبحت وما حواليها خاضعة لنفوذهم ، إلا أنهم أصبحوا أكثر من ذى قبل عرضة لشتى الدسائس والمؤامرات والاستفزازات والتحرشات العلنية من الوثنيين واليهود ، الذين أدركوا بعد معركة بدر — أنهم أمام قوة خطيرة تهدد نفوذهم وسلطانهم .

مؤامرة لاغتيال النبى

وبينما كان النبى وصحبه يتعرضون فى المدينة وما حولها لشتى التحرشات والدسائس والاستفزازات كانت مكة ضدهم تغلى كالمرجل ، تهدد وتتوعد حيث أعلنت التعبئة العامة لغسل عار الهزيمة (بغزو محمد ﷺ فى عقر داره) .

بل لقد بلغ الغيظ والحقد إلى أبعد من هذا ، فقد قررت مكة

اختصار الطريق للتخلص من النبي ﷺ فدبرت مؤامرة لاغتياله فى المدينة .

وهذه أول مؤامرة تدبرها مكة لاغتيال النبي بعد معركة بدر .

بطل المؤامرة

وقد اختارت مكة لتنفيذ هذه المؤامرة الخطيرة شيطاناً من شياطين قريش ، وفارساً من فرسانها المشهورين بعدائهم الشديد وبغضهم العارم للنبي ودينه .. وهو عمير بن وهب الجمحى ، الذى زاده كرها للنبي وحقداً عليه أن أسر المسلمون ابنه وهباً يوم بدر .

فقد اتفق مع بعض زعماء مكة (وفى مقدمتهم صفوان بن أمية الذى قتل أبوه وأخوه يوم بدر) على أن يقوم باغتيال النبي فى المدينة .

وقد كان من السهل تنفيذ هذه المؤامرة ، لولا عناية الله .

ذلك أن الوقت الذى حدّد فيه تنفيذ المؤامرة ، كان وقتاً ليس من المستنكر فيه وجود أى مشرك مكى فى المدينة ، فقد كان المنتدبون من مكة لدفع فداء الأسرى ، وإطلاق سراحهم موجودين بكثرة فى المدينة .

لهذا كانت خطة المؤامرة تقضى بأن يذهب عمير بن وهب إلى المدينة بحجة دفع الفداء عن ابنه [1] والعودة به إلى مكة .

وهناك يقوم باغتيال النبي ﷺ بطريقة انتحارية حيث تعهد لصفوان بن أمية بقتل النبي أينما وجده وبين أى قوم لقيه ، وفى مقابل

(١) ابنه هذا اسمه وهب ، أسلم فيما بعد ، اشترك فى فتح مصر تحت قيادة عمرو ابن العاص ، وتولى قيادة حملة بحرية للمساهمة فى فتح عمورية ، وذلك سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، مات بالشام مجاهداً .

ذلك تعهد له صفوان بن أمية بتسديد ما عليه من ديون ، ثم إعالة عياله طيلة حياتهم إن هو قتل .

فشل المؤامرة

وفعلا وصل بطل المؤامرة إلى المدينة متظاهراً بأنه جاء لدفع الفداء عن ابنه وهب وإطلاق سراحه .

وكان أول من ارتاب فى أمره وقرأ (بفراسته) نوايا الشر فى وجهه ، عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد كان ابن الخطاب واقفاً مع نفر من المسلمين ، قريباً من المسجد ، يتحدثون عن يوم بدر وما كتب الله لهم فيه من نصر حاسم .

وبينما هم كذلك ، إذ حانت التفاتة من ابن الخطاب ، رأى فيها عمير بن وهب قد أناخ راحلته على باب المسجد النبوى متوشحاً سيفه ، فارتاب فى أمره وقال لرفقائه : هذا عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشر ، وهو الذى حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر [1] .

وفور رؤية ابن الخطاب لعمير بن وهب دخل على النبى ، وهو فى المسجد وقال :

يا رسول الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه .

فقال النبى ﷺ ، ادخلوه على .

---

(١) وفعلا كان عمير هذا قائد سلاح الاستكشاف فى جيش مكة أيام بدر ، فهو الذى قدر للمشركين جيش مكة بثلاثمائة مقاتل ، يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ، وذلك عندما جال بفرسه حول جيش المدينة بالقرب من المكان الذى حدثت فيه المعركة :

فخرج ابن الخطاب من المسجد ليدخل عمير بن وهب على النبي (كما أمر) وقبل أن يدخله طلب من الصحابة الموجودين عند باب المسجد أن يسارعوا بالدخول إلى المسجد ليتولوا حراسة رسول الله ﷺ ويراقبوا حركات عمير بن وهب عند دخوله على الرسول قائلا :

أدخلوه على رسول الله فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون .

ثم قاد ابن الخطاب عمير هذا بحمائل سيفه بعد أن لببه بها فى عنقه حتى أوقفه على النبي ﷺ ، وبمجرد وقوفه على النبي ﷺ طلب من ابن الخطاب أن يطلقه قائلا : أرسله يا عمر .. ثم قال النبي ﷺ : أدن يا عمير .

فدنا .. ثم قال : أنعم صباحاً يا محمد .. وكانت هذه تحية الجاهلية. فقال الرسول ﷺ قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير .. بالسلام تحية أهل الجنة .

كيف أسلم بطل المؤامرة

ثم قال النبي ﷺ ما جاء بك يا عمير ؟

قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم ، فأحسنوا فيه .

قال : فما بال السيف فى عنقك ؟ .

قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ؟

قال : اصدقنى ، ما الذى جئت له ؟

قال : ما جئت إلا لذاك .

قال : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت ، لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ذلك .

فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان .

والله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق .

فقال الرسول ﷺ فقهوا أخاكم فى دينه وعلموه القرآن ، وأطلقوا أسيره ففعلوا [1] وهكذا فشلت المؤامرة الخبيثة ، وبدلا من أن يعود بطلها إلى مكة مبشراً رءوس الكفر بقتل النبى ﷺ عاد إليهم مسلماً ، يتحدى مكة كلها بإسلامه ، فقد جاهر أهل مكة بأنه قد أسلم، وكان شجاعاً مهيباً ، ولذلك لم يجرؤ أحد من أشراف مكة على التعرض له عندما قام يدعو إلى الإسلام علنا فى مكة حيث كان من المحظور التظاهر بالإسلام فضلاً عن الدعوة إليه ، وخاصة بعد معركة بدر .

قال ابن كثير فى تاريخه : إن عمير هذا بعد أن هداه الله للإسلام استأذن الرسول ﷺ فى العودة إلى مكة ليكون داعية إلى الإسلام قائلا :

« يا رسول الله إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣١٤ :

وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم » .

فأذن له الرسول ﷺ فلحق بمكة ، (وكان صفوان يتوقع وصوله بين آونة وأخرى) فكان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب (قبل عمير) فأخبر صفوان عن إسلامه ، فغضب غضباً شديداً وحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه نفعاً أبداً .

قال ابن إسحاق ، فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذى من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

نظرة وتحليل

وهكذا انتهت معركة بدر ، هذه النهاية التى غيرت موازين القوى الروحية والسياسية والعسكرية والاجتماعية فى الجزيرة العربية ، وقفزت بسمعة المسلمين العسكرية إلى الذروة وجعلتهم سادة الموقف ، وخاصة فى منطقة يثرب .

كما تدهورت لها (من ناحية أخرى) سمعة قريش العسكرية والسياسية فى أنحاء الجزيرة .

معركة عفوية

ومما لاجدال فيه أن معركة بدر هى معركة عفوية غير مقصودة (أصلا) من جانب المسلمين ، وإنما أجبروا على خوضها دونما سابق استعداد أو قصد مبيت .

فهم عندما خرجوا من المدينة ، إنما كان قصدهم العير ، وهى قافلة

للعدو آتية من الشام إلى مكة ، لم يزد حرسها على أربعين مقاتلا .

وهو أمر لايستحق من الاستعداد أكثر مما استعد به جيش المدينة عندما غادرها للاستيلاء على القافلة .

ولقد كان المسلمون – وخاصة المهاجرين الذين هاجروا وكل واحد منهم صفر اليدين بعد أن صادر مشركو مكة كل أموالهم – كانوا حريصين كل الحرص على الاستيلاء على هذه القافلة الضخمة التى تتألف من ألف بعير محملة بمختلف السلع والأرزاق .

وكان الصحابة يومها فى ضيق من العيش ، يدل على هذا أن النبى ﷺ لما فاتته العير وانتهى إلى بدر قال :

اللهم إنهم جياع فأشبعهم ، اللهم إنهم حفاة فأحملهم ، اللهم إنهم عراة فأكسهم[1] .

فقد كانوا يريدون العير ، ولكن الله أراد غير الذى أرادوا ، حيث وجدوا أنفسهم (بدلا من العير وما تحمله من أرزاق وأموال يحلمون بالاستيلاء عليها) أمام جيش لجب عرمرم ، لايحمل تجارة ولا أرزاقا ، وإنما يحمل ألف سيف يجرها ألف مقاتل من صفوة شباب مكة وأمهر قادتها بحثاً عن الموت ، فأجبروا على خوض معركة يفوقهم فيها العدو عدداً وعدة أضعافاً مضاعفة .

غير ذات الشوكة

وهذا هو الذى عناه الله تعالى بقوله :﴿ وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين[2] ﴾.

(١) فقه السيرة ص ١٨٠ .
(٢) الأنفال آية ٧ .

لقد أراد المسلمون أن تكون لهم العير التى لا شوكة لها .

ولكن الله أراد أن تكون ملحمة لا غنيمة ، وأن تكون موقعة بين الحق والباطل ، ليحق الحق ويثبته ، ويبطل الباطل ويزهقه ، وأراد أن يقطع دابر الكافرين ، فيُقتل منهم فريق ويؤسر منهم فريق ، وتذل كبرياؤهم ، وتخضد شوكتهم ، وتدول دولتهم ، تخفق راية الإسلام عالية جهاراً نهاراً ، عن استحقاق لا مصادفة ، وبالجهد والجهاد ، لا بالمال ولا بالأنفال .

نعم أراد الله للفئة المؤمنة أن تصبح أمة وأن تصبح دولة ، وأن يصبح لها سلطان وقوة ، وأراد لها أن تقيس قوتها الحقيقية إلى قوة أعدائها ، فترجح ببعض قوتها على قوة أعدائها . وأن تعلم أن النصر ليس بالعدد ولا بالعدة ، وليس بالمال والخيل والزاد ، إنما هو بمقدار اتصال القلوب بالقوة الكبرى ، التى لا تقف لها فى الأرض قوة ، وأن يكون هذا عن تجربة واقعية ، لا كلاماً ولا اعتقاداً .

لتتزود الفئة المؤمنة من هذه التجربة الواقعية لمستقبلها كله ، ولتوقن أنها تملك فى كل زمان وفى كل مكان أن تغلب خصومها وأعداءها مهما تكن هى من القلة ويكن عدوها من الكثرة . ومهما تكن هى من ضعف القوة المادية ويكن عدوها من الاستعداد والعتاد ، وما كان هذا المعنى ليستقر فى القلوب كما استقر بالمعركة الفاصلة بين قوة الإيمان ، وقوة الطغيان .

وينظر الناظر اليوم وبعد اليوم ليرى الآماد المتطاولة بين ما أراده المسلمون لأنفسهم يومذاك ، وما أراده لهم الله ، بين ما حسبه المسلمون خيراً ، وما قدره الله من الخير .

ينظر فيرى هذه الآماد المتطاولة ، ويعلم كيف يخطئ الناس حين يحسبون أنهم قادرون على أن يختاروا لأنفسهم الخير ، ما لم يوفقهم الله إليه ، وحين يتضررون مما يريده الله لهم ، وقد يكمن وراءه الخير الذى لا يخطر لهم ببال ولا بخيال .

فأين ما أرادوه لأنفسهم مما أراده الله لهم ؟؟ لقد كانت تمضى — لو كانت لهم غير ذات الشوكة — قصة غنيمة .. قصة قوم أغاروا على قافلة تجارة فغنموها (فحسب) .

فأما معركة بدر فقد مضت فى التاريخ كله ، قصة نصر حاسم ، قصة فرقان بين الحق والباطل ، قصة انتصار الحق على أعدائه ، المدججين بالسلاح ، المزودين بكل زاد ، وهو فى قلة العدد ، وضعف فى الزاد والراحلة ، قصة انتصار القلوب حين تتصل بالله ، وحين تتخلص من ضعفها الذاتى ، بل قصة انتصار حفنة من القلوب من حولها الكارهون للقتال ، ولكنها بيقينها انتصرت على نفسها ، وانتصرت على من حولها وخاضت المعركة والكفة راجحة رجحاناً ظاهراً فى جانب الباطل ، فقلبت بيقينها الميزان ، فإذا الحق راجح غالب .

إلا أن غزوة بدر بملابساتها هذه ، لتمضى مثلا فى التاريخ ، ألا وإنها لتقرر دستور النصر والهزيمة ، وتكشف عن أسباب النصر وأسباب الهزيمة ، الأسباب الحقيقية ، لا الأسباب الظاهرة المادية ، ألا وإنها لكتاب مفتوح تقرؤه الأجيال فى كل زمان وفى كل مكان ، لا تتبدل دلالتها ولا تتغير طبيعتها ، فهى آية من آيات الله ، وسنة من سننه الماضية فى خلقه ، ما دامت السماوات والأرض [1] .

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ج ٦ ص ٨٣ :

أسباب النصر الظاهرية

لا جدال فى أن القوتين المتصادمتين فى معركة بدر ، قد كانتا غير متكافئتين من ناحية العدد والاستعداد والعُدد .

فقد كان عدد جيش مكة حوالى ألف مقاتل خرجوا من مكة وهم مستعدون للحرب ، بينما كان عدد جيش المدينة ثلاثمائة مقاتل يزيدون قليلا ، غادروا المدينة وهم على غير استعداد للحرب ، إذ لم يدر بخلَدَ أحد منهم أنه سيخوض مثل هذه المعركة الرهيبة .

فما هى (إذن) أسباب النصر الرئيسية فى هذه المعركة ، وقد انعدمت – فى جانب المسلمين – كل الأسباب المادية التى بها عادة يتم النصر فى المعارك ؟ .

مجمل الأسباب

يمكننا – على ضوء الاطلاع على مراحل المعركة منذ البداية – أن نلخص أسباب هذا النصر – بعد التأييد الإلهى فيما يلى :

١ –عدم التحمس فى جيش مكة .. فبالرغم من أن هذا الجيش اللجب[1] قد خرج من مكة وهو يتدفق حماساً للقتال دفاعاً عن العير، وحفاظاً على سمعة قريش التى سيصيبها الانهيار لو أن محمداً تمكن من الاستيلاء على تلك القافلة القرشية الضخمة ، فإن هذا الجيش قد فتر حماسه للقتال عندما بلغته أنباءُ نجاة العير من قبضة جيش النبى ﷺ .

لا سيما بعد أن جاهر كثير من قادة هذا الجيش فى رابغ وفى بدر

---

(١) اللجب – بفتح الجيم – صهيل الخيل وكثرة أصوات الأبطال ، وجيش لجب ، أى ذو كثرة وجلبة .

نفسها بضرورة عودته دونما اصطدام بجيش المدينة ، حيث لم يعد أى مبرر لهذا الاصطدام بعد نجاة العير التى خرجوا لإنقاذها .

وهذا كان رأى الأخنس بن شريق الثقفى الذى انشق على جيش مكة فى رابغ ورجع بجميع حلفائه من أفراد قبيلة بنى زهرة ، عندما لم يصْغ أبو جهل لنصحه ، كما كان هذا الرأى أيضاً ، رأى عتبة ابن ربيعة وغيره من أشراف مكة الذين قاموا بمحاولة صادقة وهم فى بدر لكى يتجنب جيش مكة خوض هذه المعركة ، ونادوا علناً داخل معسكر قريش بأنه من غير الصواب خوض معركة تصطدم فيها الأسرة الواحدة ، دونما داع لها ولا مبرر[1] ، ولكنهم غلبوا على أمرهم ، حيث تغلبت الرعونة على الرزانة والتعقل .

وهذا يعنى أن جيش مكة أو أكثره قد خاض هذه المعركة على كره منه ، أو غير متحمس لخوضها على الأقل ، وهذا فى علم الحروب وفلسفة المعارك من أهم الأسباب التى تؤدى إلى الهزائم العاجلة .

٢ ـ الاعتداء .. لقد كانت الحروب من أكره الأشياء إلى النفوس فى كل زمان ومكان ، ولهذا كانت الكريهة اسما من أسمائها ، وكان العقلاء (فى كل عصر) لا يخوضونها إلا لأسباب موجبة قاهرة ، لأنهم يعلمون تمام العلم أن الباغى هو المصروع عادة .

ومعركة بدر هذه ، كان البغى والعدوان والخيلاء والغطرسة باعثها الأول من جانب قادة قريش وإن شئت قل ، من جانب أبى جهل السيد المشئوم المطاع .

---

(١) كان مما قال عتبة بن ربيعة ـ ناصحاً قريشاً بالعدول عن قتال محمد وصحبه ـ يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون شيئاً بأن تلقوا محمداً وأصحابه ، والله لأن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه ، لأنه قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته .:

فقد خرج جيش مكة وغايته الأساسية الدفاع عن ألف بعير بأحمالها ، وإنقاذها من الوقوع فى قبضة جيش المدينة ، وهذا وحده (فى نظر جيش مكة) مما يسبغ الشرعية على المعركة وينفى عنصر البغى عنها ، ويجعل هذا الجيش يخوضها وهو مقتنع بضرورة خوضها .

ولكن هذا الجيش لما وصل إلى رابغ وهى تبعد عن مكان المعركة حوالى مائة وخمسة وعشرين ميلا بلغه نبأ نجاة القافلة ، فزال الموجب والمبرر للقتال ، ونادى العقلاء بعودة الجيش إلى مكة من مكانه فى رابغ ، كما حاولوا مرة أخرى موادعة محمد ﷺ (وقد تقابلوا معه وجها لوجه) والعودة إلى مكة دونما قتال ، ولكن أبا جهل أصر (أمام كلا المحاولتين) على أن تخوض مكة هذه المعركة باغية معتدية ، فخاضتها وكانت نتيجة يتوقعها العقلاء دائماً لكل جيش يقاتل بدافع البغى والعدوان .

٣ـ العقيدة ، وهى أهم أسباب النصر .. لقد خاض المسلمون هذه المعركة وهم على صلة وثيقة بالله سبحانه وتعالى .

فقد خاضها كل واحد منهم وهو على يقين بأنه لاشك فائز بإحدى الحسنيين ، إما الموت ، وهو الشهادة التى بها يدخل الجنة ويعيش فيها عيشة أشرف وأفضل من عيشة الحياة الدنيا من جميع الوجوه[1] وإما

---

(١) ولقد عبر عن صدق هذه العقيدة السامية الراسخة التى لا يقف فى طريق حاملها شيء ، عبر عنها أصدق تعبير ، عمير بن الحمام الذى كان واقفاً فى الصف يوم بدر والذى قذف بتمرات من يده كان يريد أكلهن ، قذف بهن وقال (بخ بخ) أفما بينى وبين الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ثم أخذ سيفه وغاص فى جيش المشركين يقاتل حتى قتل رضى الله عنه ، وذلك بعد أن سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى الخطاب الذى ألقاه على جيشه قبيل المعركة بقليل ، والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم (أى المشركين) اليوم رجل صابراً محتسباً ، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة .

النصر الذى به يعود مرفوع الرأس موفور الكرامة وقد ساهم فى نشر العقيدة التى فى سبيل نشرها استطاب الموت واستعذب موارده .

وهذا دونما شك من أهم بواعث الروح المعنوية التى يعتبرها العسكريون (فى كل زمان ومكان) من أهم العناصر التى يجب أن تتوفر فى كل جيش لضمان النصر فى أية معركة يخوضها .

فالعقيدة الصادقة هى مصدر الزخم والقوة لكل أمة دخلت التاريخ من باب المجد واستوت فى قمة الزمان على عرش السؤدد المقامة دعائمة على المحبة والعدل والنزاهة ، وهذا هو الذى سجله التاريخ للعرب (قبل غيرهم) عندما ساروا فى حربهم وسلمهم على هدى العقيدة الصحيحة والمبدإ الثابت السليم الذى جاء به الإسلام .

أما المشركون فليسوا كالمسلمين – يدافعون عن عقيدة صحيحة أو يقاتلون فى سبيل مبدإ سليم – وإنما يقاتلون بطراً ورياءً وسمعة وسفها[1] فحسب .

وهذا لا يمكن البتة ، أن يكون باعثاً لشئ من الروح المعنوية الحقة التى هى العنصر الضرورى الذى يجب توفره للحصول على النصر فى أية معركة حربية .

فالروح المعنوية – التى معدنها الفياض العقيدة الصالحة – إذا انعدمت فى جيش فإن أمل قادته فى النصر على أعدائهم ، الزاحفين

---

(١) ولا أدل على ذلك من خطاب أبى جهل الذى ألقاه فى رابغ – عندما حاول العقلاء العودة بالجيش إلى مكة بعد نجاة العير – والذى قال فيه ، والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليها ثلاثاً . فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا .

تحت لواء العقيدة الصحيحة ، يكون ضعيفاً هو الذى حدث فعلاً فى بدر ، ويحدث غالباً فى كثير من المعارك حتى يومنا .

٤ ـ الأسلوب الجديد فى القتال .

لقد دخل المسلمون معركة بدر بأسلوب جديد لم يعرفه العرب فى تاريخهم ، وقد فاجأ النبى أعداءه فى بدر بهذا الأسلوب ، فكان لهذه المفاجأة أثر كبير فى انتصار المسلمين ، ويمكن تلخيص هذا الأسلوب المبتكر فيما يلى :

١ ـ القيادة .. قال السيد اللواء الركن محمود شيت خطاب [1] فى كتابه (الرسول القائد) : كان النبى ﷺ هو القائد الأعلى للجيش، وكان المسلمون يعملون فى المعركة ، كَيَدٍ واحدة تحت قيادة واحدة ، يوجههم فى الوقت الحاسم للقيام بعمل حاسم ، وهذا هو واجب القائد الكفء .

وكان ضبط المسلمين تجاه تنفيذ أوامره مثالاً رائعاً للضبط الحقيقى المتين ، وإذا كان الضبط أساس الجندية ، وإذا كان الجيش الممتاز

---

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب من كبار ضباط الجيش العراقى ، ذو نزعة إسلامية قوية ، رجل صلب العود يعتبر مثالا حياً للثبات على العقيدة ، نال من التعذيب والتنكيل من الشيوعيين فى عهد قاسم ما لا يمكن لبشر أن يتحمله إلا من كان على مستواه فى متانة العقيدة وقوة الإيمان ، والسبب فى تعذيبه أنه مسلم يكفر بالشيوعية وكل مبدأ يخالف الإسلام ، ظل صامداً فى وجه الشيوعية والديكتاتورية رافضاً التعاون مع قاسم طيلة حكمه حتى ثورة أربعة عشر رمضان التى كان أحد العاملين فيها ، وقد شغل أخيراً منصب وزير البلديات : يعد كتابه (الرسول القائد) من أروع ما خطته الأقلام المسلمة فى تاريخ الرسول العسكرى ، حيث لم يسبقه أحد إلى الطريقة التى سلكها فى وصف المعارك التى قادها الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أثبت للقارئ (بفلسفة عسكرية شيقة) أن محمداً ـ بالإضافة إلى كونه نبياً مرسلا ـ هو أعظم قائد عسكرى عرفته البشرية . أكثر الله من أمثال هذا الضابط المؤمن فى رجالنا العسكريين .

هو الذى يتحلى بضبط ممتاز ، فقد كان جيش المسلمين حينذاك جيشاً ممتازاً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانى .

إن معنى الضبط – فيما أرى – هو إطاعة الأوامر وتنفيذها بحرص وأمانة وعن طيبة خاطر .

وقد كان المسلمون ينفذون أوامر قائدهم بحرص شديد وأمانة رائعة وبشوق وطيبة خاطر ، ومن حقهم أن يفعلوا ذلك لأن قائدهم يتحلى بصفات القائد المثالى .

ضبط للأعصاب فى الشدائد ، وشجاعة نادرة فى المواقف ومساواة لنفسه مع أصحابه واستشارتهم فى كل عمل حاسم .

كما أن النبى قد أنشأ له قيادة جعل مقرها رابية تشرف على ساحة المعركة وجعل لهذا المقر حرساً بقيادة قائد مسئول (هو سعد بن معاذ) .

أما المشركون فلم تكن لهم قيادة عامة ، حيث كان أكثر قادة مكة مع جيش المشركين ولكن الذى يظهر أن أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة هما أبرز ما فى القادة ، وكان يمكن أن يكون أحدهما قائداً عاماً لجيش مكة ، لولا الاختلاف بينهما . فى وجهات النظر ، والعداوة العنصرية التى كانت بينهما ، ولهذا قاتل جيش مكة قتالا فوضوياً دونما قيادة موجهة أو تنظيم سابق .

٢ – تعبئة جديدة .. قال صاحب كتاب (الرسول القائد) [١]

طبق الرسول فى مسير الاقتراب من المدينة إلى بدر ، تشكيلاً جديداً لا يختلف بتاتاً عن التعبئة الحديثة فى حرب الصحراء .

كانت له مقدمة وقسم أكبر ومؤخرة ، واستفاد من دوريات

(١) ص ٧٧ .

الاستطلاع للحصول على المعلومات ، وتلك هي الأساليب الصحيحة لتشكيلات مسير الاقتراب في حرب الصحراء .

أما في المعركة فقد قاتل المسلمون بأسلوب (الصفوف) بينما قاتل المشركون بأسلوب الكر والفر ، ولابد لنا من بيان الفرق بين الأسلوبين ، لمعرفة عامل من أهم عوامل انتصار المسلمين .

القتال بأسلوب الكر والفر ، هو أن يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو ، النشابة منهم[1] والذين يقاتلون بالسيوف ويطعنون بالرماح مشاة وفرساناً ، فإن صعد لهم العدو أو أحسوا بالضعف نكصوا ، ثم أعادوا تنظيمهم وكروا ، وهكذا يكرون ويفرون حتى يكتب لهم النصر أو الفشل .

والقتال بأسلوب الصفوف ، يكون بترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثة أو أكثر ، على حسب عددهم ، وتكون الصفوف الأمامية من المسلحين بالرماح لصد هجمات الفرسان ، وتكون الصفوف المتعاقبة الأخرى من المسلحين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الأعداء .

وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها ، حتى يفقد زخم المهاجمين[2] بالكر والفر شدته .. عند ذلك تتقدم الصفوف متعاقبة للزحف على العدو .

يظهر من ذلك أن أسلوب الصفوف يمتاز على أسلوب الكر والفر بأنه يؤمن الترتيب (بالعمق) فتبقى دائماً بيد القائد قوة احتياطية يعالج بها المواقف التي ليست بالحسبان ، كأن يصد هجوماً مقابلا للعدو أو

---

(١) النشابة : هم الذين يرمون بالقوس .

(٢) الزخم : الدفع الشديد .

يضرب كميناً لم يتوقعه أو أن يحمى الأجنحة التى يهددها العدو بفرسانه أو بمشاته ثم يستثمر الفوز بالاحتياط من الصفوف الخلفية عند الحاجة .

إن أسلوب الصفوف يؤمن السيطرة على القوة بكاملها ، ويؤمن احتياطاً للطوارئ ويصلح للدفاع والهجوم فى وقت واحد ، أما أسلوب الكر والفر[1] (وهو ماسارت عليه قريش فى حربها يوم بدر) فيجعل القائد يفقد السيطرة ولا يؤمن له أى احتياط للطوارئ .

ويقول اللواء الركن (محمود شيت خطاب) إن تطبيق الرسول لأسلوب الصفوف فى معركة بدر ، عامل مهم من عوامل انتصاره على المشركين ،، والتاريخ العسكرى يخبرنا بأن انتصار القادة العظام – كالإسكندر وهنيبال قديماً ، ونابليون ومولتكه وروMل ورنشتد حديثاً ، هو أنهم طبقوا أسلوباً جديداً فى القتال غير معروف ، أو قاتلوا بأسلحة جديدة غير معروفة . اهـ .

وهكذا صار للخطة التى ابتدعها الرسول فى التعبئة وسار عليها فى حربه يوم بدر وامتاز بها على المشركين الذين لم يسبق لهم أن ساروا على مثلها فى شىء من حروبهم ، صار لها أثر كبير فى انتصار المسلمين فى هذه المعركة .

هذه الأسباب الأربعة (فى نظرنا) هى – من الناحية العسكرية – أهم الأسباب التى أدت إلى هزيمة المشركين فى هذه المعركة ، تلك الهزيمة الساحقة التى بها بدأ الانهيار فى صرح دولة الشرك .. وحققت للمسلمين ذلك النصر الرائع الذى به دخل المسلمون التاريخ من بابه الخالد .

---

(١) أسلوب الكر والفر هو الأسلوب المتبع عند الهنود الحمر بأمريكا .



خاتمة ورجاء

وختاماً فإنا (فى محاولة لرفع طبقات الأتربة السميكة التى أهالها خصوم الإسلام على كنوز تاريخنا الإسلامى الثمينة) نتقدم بهذه الرسالة إلى الشباب المسلم المثقف من كل جنس ولون ، ونهيب به أن يحطم الحواجز والسدود التى أقامها المخربون بينه وبين النظر الجدى فى صفحات هذا التاريخ المشرق الخالد ، فركزوا اهتمامه على تاريخ غير أمته ، وأشغلوه بالنظر فى سير أبطال ومفكرين لا تربطهم أية صلة بحاضره أو ماضيه ، أو أعطوه صورة مشوهة عن تاريخه الإسلامى فجعلوه يزهد فيه وينفر من النظر فيه ، فحرموه من الانتفاع بكنوز هذا التاريخ الثمين .

كما أننا فى الوقت نفسه ، نتوجه إلى المسئولين عن التربية والتعليم فى جميع البلاد الإسلامية — أن يعيدوا النظر فى برامج تعليمهم وخاصة فيما يتعلق منها بالتربية الدينية والتاريخ الإسلامى الصحيح .

فإن هاتين الناحيتين الهامتين (بالنسبة لنا كأمة إسلامية) قد تم إهمالهما وعدم الاعتناء بهما فى جميع مراحل التعليم فى أكثر الأقطار الإسلامية ، وذلك تنفيذاً لمخطط تخريبى تم رسمه ضد الإسلام

وتاريخه الخالد ، قبل أن تحصل أكثر البلاد الإسلامية على حريتها واستقلالها .

ولقد ظل كثير من الأقطار الإسلامية (بعد انتزاعها استقلالها السياسى من الغاصبين) تسير - مع الأسف الشديد - فى برامجها التعليمية حسب هذا البرنامج التخريبى الذى وضعه المحتلون قبل رحيلهم ، ولهذا ترى برامج التعليم فى كثير من الأقطار الإسلامية مجردة تماماً من التربية الدينية وخالية من حصص التاريخ الإسلامى الصحيح .

وإذا ما احتوت بعض هذه البرامج فى بعض البلاد العربية على بعض حصص التربية الدينية والتاريخ الإسلامى ، فإن تدريس هذه الحصص يتم بطريقة سطحية وبدون أى حماس أو تركيز بحيث لا يعلق بذهن الطالب أى شيء يذكر من هذه الحصص أثناء تدريسها ، لا سيما وأن الرسوب فيها لا يعد رسوبنا بالنسبة لغيرها من الحصص ، فلا يؤثر رسوب الطالب فى الحصص الدينية والتاريخ الإسلامى على شهادته كما يؤثر فيها رسوبه فى اللغة الإنكليزية والرسم والجغرافيا وما شابهها .

فهل هناك تخريب أعظم من سلوك هذا الطريق ، بالنسبة لنا كأمة إسلامية يستحيل عليها أن تعيش عزيزة مستقرة من غير السير على هدى دينها والأعتزاز بتاريخها ؟ ؟ .

ولعله من المؤلم جداً ، أن بعض الأقطار التى لم تخضع طيلة تاريخها للاستعمار قد أخذ يصيبها ما أصاب غيرها حيث سرى نفس ذلك الداء إلى كيانها التعليمى ، وأخذت فى اغتيال بعض الحصص الدينية من برامج تعليمها تدريجياً .

فلا تمر سنة إلا ونرى تخفيضاً لهذه الحصص واستبدالها بحصص

ليس فيها أية تقوية أو تعضيد لكيانها السياسى ، كحصص الرسم وتربية الدواجن وغيرها من الأمور الثانوية التى يمكن إضافتها إلى حصص التدريس دون اللجوء إلى اغتيال الحصص الدينية .

ويخطئ – بل يساهم فى تخريب الكيان – من يزعم أن إضعاف الحصص الدينية وعدم الاهتمام بالتاريخ الإسلامى فيه تقوية لكيان الدولة السياسى أو رفع لمنزلتها بين الأمم المتحضرة .

إن هذا الزعم والترويج له هو من جانب حملات التخريب التى يقوم بتنفيذها قوم دربوا خصيصاً لتنفيذها ، وقدر لهم فى غفلة من الزمن أن يشغلوا مناصب قيادية حساسة فى حقول التعليم .

وإلا فهل يعقل أن دولة قامت ، أول ماقامت على أساس من الإسلام والدعوة إليه وتقوية جانبه والتمسك بآدابه وتنفيذ أحكامه ، ولم يبن لها كيان ولم يكن لها شأن إلا عندما أخذت تسير على هديه وتحمل رايته .. هل يعقل أن الدولة التى هذا شأنها سيكون فى مصلحتها اغتيال الحصص الدينية من برامج التعليم فيها ؟ .

نقولها صريحة مرة أخرى ، للمسئولين عن التربية والتعليم فى البلاد الإسلامية – العربية منها وغير العربية – إن تجريد برامج التعليم من حصص التربية الدينية والفقة الإسلامى ، وعدم الاهتمام بالتاريخ الإسلامى لن يكون إلا عوناً لانتشار المذاهب الهدامة المخربة بين الشباب المثقف الذى – باتباع هذه السياسة التعليمية الخطيرة – سيتجرد بالتدريج من كل وازع دينى أو حافز خلقى ، وهذا لن تكون له نتيجة فى البلاد الإسلامية إلا القلاقل والفتن التى لا ثمرة لها إلا الكوارث والنكبات التى كادت أن تكون العلامة الفارقة كما هو الواقع المشاهد .

فما يعيشه العالم العربى اليوم من قلق واضطراب ، لا سبب له إلا الانحراف بالشباب – فى مراحل التربية والتعليم – عن الطريق المستقيم الذى رسمه الإسلام ودعا أمته إلى السير عليه فى جميع مراحل حياتها .

وإنى هنا أقسم بالله ثلاثاً ، غير حانث ولا آثم – أن الأمة الإسلامية (سواء كانت عربية أو غير عربية) لن تذوق الاستقرار طعماً ولن تعرف للهدوء والطمأنينة معنى إذا لم ترجع إلى الإسلام وتتمسك به ديناً ودولة وخلقاً ومعاملة ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .. والله حسبنا ونعم الوكيل .









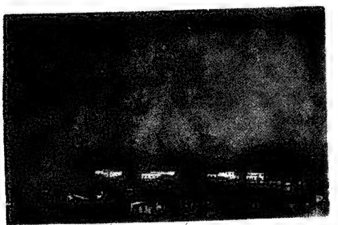
العدوة الدنيا ، وهى الممر بين الجبلين المشار إليه بالسهم ، وهذه العدوة هى التى سلكها الرسول ﷺ فى طريقه إلى بدر ، والتى عناها الله تعالى بقوله ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم (أى المشركين) بالعدوة القصوى والركب (أى العير التى نجا بها أبو سفيان) أسفل منكم﴾ .



العدوة القصوى ، وهى الكثيب الذى بين الجبلين المشار إليه بالسهم ، وهذا الكثيب هو الذى سلكه المشركون بجيشهم فى طريقهم إلى بدر ، والذى لما رآهم الرسول ﷺ ينحدرون منه قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم نصرك الذى وعدتنى اللهم أحنهم الغداة . ومن الجدير بالذكر أن المسافة بين العدوتين حوالى خمسة كيلو مترات كما أن المساحة التى دارت فيها المعركة تقدر بميل مربع .



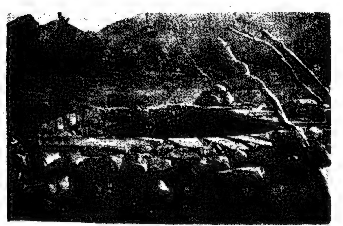
منظر آخر لجانب من قرية بدر اليوم وفى هذا المكان بالذات دارت المعركة حوالى مقر قيادة الرسول المبنى اليوم مكانه مسجد كما هو واضح فى الصورة ، وقد قام ببناء هذا المسجد السيد حسن الشربتلى ، كما ظهرت فى هذه الصورة سلسلة الجبال التى توارى خلفها أبو سفيان بعير قريش هاربا ، والتى عناها الله تعالى بقوله ﴿ والركب أسفل منكم ﴾ لأن هذه السلسلة تقع أسفل العدوة الدنيا التى كان بها المسلمون ، وقد ظهر الجبل الذى يقال أن الملائكة نزلت عليه يوم بدر لتقوية روح المسلمين المعنوية ، وقد رسمنا لهذا الجبل بسهم كما يراه القارئ . ومن الجدير بالذكر أن النخيل والمنازل المشاهدة فى الصورة هى حادثة بعد المعركة بعدة قرون .



منظر عام لقرية بدر اليوم، وقد ظهر فيه الجبل الواقع غربى العدوة الدنيا والعرصة التى سلكها الرسول فى طريقه من العدوة الدنيا إلى مكان المعركة الواضح فى المنظر الآخر لجانب من قرية بدر ، كما ظهر فى هذا المنظر طريق السيارات المعبد المؤدى إلى المدينة من مكة .



فج الروحاء الذى سلكه الرسول بجيشه فى طريقه إلى بدر .



بئر الروحاء الذى استراح عندها الرسول ﷺ ثم غادرها منحرفا إلى فج النازية تاركا طريق مكة بيسار يريد بدراً



فج النازية الذى سلكه الرسول ﷺ بجيشه عندما غير خط سيره بعد أن استراح عند بئر الروحاء وترك الطريق الرئيسى المؤدى إلى مكة بيسار .



مضيق الصفراء المشهور الذى انصب منه الرسول ﷺ بجيشه إلى وادى الصفراء بعد أن قطع وادى النازية ثم وحقان يريد بدراً . وقد ظهر فيه طريق السيارات المعبد المؤدى من مكة إلى المدينة .



منظر آخر لجانب من النخيل الواقع فى الطرف الجنوبى لقرية بدر . وقد ظهر أيضا فى هذه الصورة جانب من المكان الذى دارت فيه المعركة والذى يقوم عليه اليوم جانب من هذا النخيل الذى لم يكن موجودا قبل معركة بدر . كما ظهر أيضا فى الصورة جانب من سلسلة الجبال الغربية التى توارى خلفها ركب أبى سفيان عندما هرب بالعير لئلا تقع فى قبضة جيش المدينة .



عرق الظبية المشهور الذى يقال أن الرسول ﷺ أمر عنده بضرب عنق مجرم الحرب الثانى (عقبة بن أبى معيط الأموى) وقد أشار الرجل الواقف بأصبعه إلى المكان الذى يقال أنه الموضع بالذات الذى ضربت فيه عنق ابن أبى معيط .. ومن الغريب أنه قد أقيم – منذ العصور السحيقة – قبر فى هذا المكان ظل عرب البادية المحيطين به يقصدونه للتبرك حتى جاء العهد السعودى فهدم هذا القبر وأزيلت معالمه .



وادى الصفراء المشهور الذى سلكه الرسول ﷺ بجيشه إلى بدر ، وهو الوادى الذى أمر فيه بضرب عنق مجرم الحرب (النضر بن الحارث العبدرى) فى رجوعه منتصراً من بدر ، ومن هذا الوادى انحرف بجيشه ذات اليمين تاركا هذا الوادى وطريق مكة الرئيسى بيسار سالكا – فى خروجه إلى بدر – وادى ذفران الذى عقد عند خروجه منه مجلسه العسكرى المشهور قبل أن يصل بدرا عندما بلغه زحف جيش مكة لإنقاذ العير .



الفج المؤدى إلى وادى ذفران ، وهو الفج الذى اتجه إليه الرسول بجيشه بعد أن قطع وادى الصفراء وتركه عن يساره ليختصر الطريق إلى بدر عن طريق وادى ذفران الواقع غربى وادى الصفراء .

الفهارس

أهم مراجع هذا الكتاب

اسم الكتاب	اسم المؤلف
تفسير ابن كثير	ابن كثير
فتح القدير (تفسير)	محمد بن علي الشوكاني
في ظلال القرآن (تفسير)	سيد قطب
الكشاف	الزمخشري
صحيح البخاري	البخاري
صحيح مسلم	مسلم
زاد المعاد	ابن القيم
تاريخ العرب قبل الإسلام	الدكتور جواد علي
سيرة ابن هشام	محمد بن إسحاق
الأغاني	أبو الفرج الأصبهاني
الصداقة والصديق	أبو حيان التوحيدي
صبح الأعشى	أحمد بن علي القلقشندي
المغني في الفقه	ابن قدامة
الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف	علاء الدين المرداوي
كشاف القناع	منصور بن يونس البهوتي
شبهات حول الإسلام	محمد قطب
جمع الفوائد	محمد بن محمد بن سليمان
غاية المنتهى	الشيخ مصطفى السيوطي الرحيباني
الطبري (تاريخ)	محمد بن جرير الطبري
القانون الدولي العام	الدكتور سموحي فوق العادة
محمد نبي ورجل دولة	الدكتور مونتجمري وات
حقائق الإسلام وأباطيل خصومه	عباس محمود العقاد
ما يقال عن الإسلام	عباس محمود العقاد
فقه السنة	السيد سابق
الرسول القائد	اللواء الركن محمود شيت خطاب

اسم الكتاب	اسم المؤلف
الأدب المفرد	البخارى
تفسير الإمام محمد عبده	السيد رشيد رضا
حياة محمد ورسالته	مولانا محمد على
السيرة الحلبية	ابن برهان الدين
فقه السيرة	محمد الغزالى
سمط النجوم العوالى	عبد الملك بن حسين العصامى
البداية والنهاية	إسماعيل بن كثير
الكامل فى التاريخ	محمد بن الأثير
جوامع السيرة	على بن حزم
آثار المدينة	عبد القدوس الأنصارى
وفاء الوفاء	على بن أحمد السمهودى
دائرة معارف القرن الرابع عشر – العشرين	محمد فريد وجدى
لسان العرب	ابن منظور الأفريقى المصرى
نيل الأوطار	محمد بن على الشوكانى
مجلة الحج العدد (١٢) السنة (١٨)	
اليهود فى القرآن	عفيف عبد الفتاح طبارة
الطبقات الكبرى	ابن سعد
معجم البلدان	ياقوت الحموى
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع	صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق
معجم النساء	عمر رضا كحالة
الأعلام	خير الدين الزركلى
ديوان الحماسة	أبو تمام الطائى
العرب قبل الإسلام	جورجى زيدان
الأبطال	توماس كارليل
حضارة العرب	جوستاف لوبون
التشريع الجنائى فى الإسلام	الشهيد عبد القادر عودة
الاصابة	ابن حجر العسقلانى
الإستيعاب	ابن عبد البر
أيام العرب فى الإسلام	محمد ابو الفضل – على البجاوى
الروض الأنف	السهيلى
نهاية الأرب	القلقشندى

اسم الكتاب	اسم المؤلف
معجزة محمد رسول الله	عبد العزيز الثعالبي
قصص الأنبياء	عبد الوهاب النجار
تاريخ ابن خلدون	عبد الرحمن بن خلدون
مروج الذهب	المسعودي
معجم قبائل العرب	عمر رضا كحالة
معجم البكري	البكري

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ف)

(ق)

(هـ)

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

